الطويل في غابات الأقزام

في مجاهيل الصحراء الكبرى

3300 كم في مجاهيل الصحراء الكبرى الخروج فيها عن الطريق يعني الموت

سلسلة توثيقية لرحلات الداعية

خليل الطويل

يا نفس! ما الذي جعلك تأتين إلى أعماق هذه الصحراء الخاوية والمجهولة ؟! ثم لماذا كل هذه المغامرة الشاقة دون وجود الاستعدادات المناسبة لمثل هذه الرحلة ؟

هذه التساؤلات لم يُقَدّر لها أن تجد طريقاً إلى نفسي لولا تلك الدعوية الاستكشافية والتي صاحبها ضياع في أعماق الصحراء الكبرى بشمال تشاد لأكثر من يوم، أحسست خلالها بالخوف من المجهول القادم، تمكن ذلك الخوف من نفسي وظهر في وجوه أصحابي من فرسان ورجال الصحراء ،وبدأ اليأس يجد طريقه إلى داخلي، فالمسافات بعيدة ونحن في قلب الصحراء حيث تحفنا كثبانها الرملية من كل الجهات ، ونحن نسير في أحضانها ، والرياح الرملية الصفراء العاتية قد استمر هيجانها وغطت السماء واختفى معها قرص الشمس في وضح النهار . أبصارنا تقف عاجزة عن الرؤية إلا من بضعة أمتار لا تتجاوز الأربعة ، أما الماء فقليل بالنسبة لسبعة أشخاص. لم يكن وضعنا يحتاج إلا أن يزداد سوءاً حين بدأت السيارة تئن تحت وطأة شراسة الصحراء وطول المسافات، ومع ظهور جراحاتها كاد هاجس الوقوع في الرمال الصيادة وهي رمال ناعمة متحركة وخطيرة تغوص فيها إطارات السيارة أن يفتك بأعصابنا؛ فقد أخفيت في نفسي خوف مصارعة الموت عطشاً حينما تراءى أمام مخيلتي في تلك اللحظات، عندها بادرت بسؤال صاحبي في الرحلة الدكتور حقار محمد أحمد(1) وقلت له يا دكتور : ما الذي جعلنا نغامر بحياتنا في هذه الصحراء المهلكة دون إعداد مناسب للرحلة ؟! بماذا أجاب الدكتور ؟! وما أثر جوابه في نفسي ؟! وما العجائب والغرائب والمواقف التي وقعت لنا ؟ وما هي أهداف هذه الرحلة ونتائجها ؟

هذا ما ستقرؤه في ثنايا هذه الرحلة التي قطعنا خلالها أكثر من (3300كم) ثلاثة آلاف وثلاثمائة كيلو متر تقريباً في (12 يوماً) اثني عشر يوما سيراً متواصلاً في بحور الرمال المهلكة وفي عمق هذه الصحراء المجهولة إلا من بعض الباحثين والمستكشفين، والمنصّرين من الغربيين.

© خالد محمد عبدالله الطويل، ١٤٣١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الطويل، خالد محمد عبدالله
الطويل في غابات الاقزام. / خالد عبدالله الطويل
الرياض، ١٤٣١هـ

... ص ، .. سم
ردمك: ٣-٤٥٢٧-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١ - افريقيا - وصف رحلات ٢ - ادب الرحلات أ.العنوان
ديوي ٠٤، ٩١٦ ١٩٧٥ / ١٤٣١

رقم الإيداع : ١٩٧٥ / ١٤٣١
ردمك: ٣-٤٥٢٧-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطويل في غابات الأقزام

3300 كم في مجاهيل الصحراء الكبرى الخروج فيها عن الطريق يعني الموت

سلسلة توثيقية لرحلات الداعية

خليل الطويل

خالد بن محمد الطويل
رئيس لجنة أفريقيا بالهيئة العالمية للتعريف بالإسلام – مكتب الرياض – رابطة العالم الإسلامي
عضو شعبة أفريقيا – الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض
موفد لجنة الأمير سلطان بن عبد العزيز الخاصة للإغاثة بتشاد (سابقا)

لا شك أن من المفارقات العجيبة والمذهلة ذلك البون الشاسع بين ما تنفقه الكنائس بمجالسها العالمية، والدول التي تقف خلفها ماديا وسياسيا وأيضا عسكريا، وبين ما تنفقه المؤسسات الخيرية الإسلامية، وخاصة الخليجية منها، وقد لا أكون مبالغا إن قلت؛ إن المملكة العربية السعودية بشكل خاص والدول الخليجية بشكل عام تشكل العمود الفقري للعمل الخيري بمؤسساتها الخيرية الأهلية التي أذهلت الحاسد، ونالت احترام المحايد، وتقدير المنصف حتى من غير المسلمين في العالم. وهذا لا يعني إنكار الجهود العربية والإسلامية الأخرى.

لا أقول ذلك تعصبا أو تعاطفا مع المؤسسات أو المنطقة التي أنتمي إليها، بل عن دراية وخبرة من خلال التجوال في أفريقيا منذ أكثر من عشر سنوات عايشنا فيها الشعوب الأفريقية، ووجهاءها من السلاطين، والملوك والمسؤولين الصغار منهم والكبار من صناع القرار وقادة الدول، وما كل ما يُعلم يقال، كما أنَّ من لا يستطيع من المسؤولين الأفارقة حتى من غير المسلمين أن يقول الحقيقة عن المؤسسات الخيرية الإسلامية في العلن يقولها لنا في الجلسات الودية، ويشدد على أهمية هذه الأعمال الخيرية التي توصل المساعدات لمستحقيها مباشرة، وهذا ما يميز المؤسسات الخيرية الإسلامية، فأثرها، وتأثيرها يمتد حتى لغير المسلمين، وعلى وجه الخصوص الشعوب الأفريقية.

فالنصراني أو الوثني عندما يستفيد من مساعدات هذه المؤسسات، أو يراها توزع على المحتاجين لا يملك إلا أن يدخل في الإسلام، وإن بقي على دينه فإنه ينظر نظرة إعجاب وإكبار للإسلام، ثم لهذه الدولة المباركة المملكة العربية السعودية التي أرسلت شبابها لتقديم الخدمات الإنسانية بدون مقابل؛ وذلك لأنه قارن بين ما تلقاه وما رآه من كثير من المؤسسات الغربية الكنسية من نظرة فوقية واستعلاء، وما يدور حوله من نهب ممنهج من دول هذه المؤسسات الكنسية الغربية لثروات بلاده واستنزافها لخيرات هذه الدول الأفريقية منذ بداية حركة الكشوف الجغرافية الأوروبية للقارة الأفريقية في القرن الرابع عشر وما بعده.

فهو يعرف في قرارة نفسه أن كثيراً من هذه الكنائس إنما هي طلائع الاستعمار ووسيلة لنهب الثروات ومصدر الفقر والذل لهذه الشعوب الأفريقية، وما سطره التاريخ عن الاستعمار الغربي لدول أفريقيا وما صاحبه من استعباد الأوروبيين لشعوب القارة الإفريقية وتجارة الرقيق شاهد على ذلك.

ووصية ملك بلجيكا «ليوبلد الثاني» الذي أرسل المبشرين من القساوسة بعد تقرير القس «ديفيد ليفنجستون» الذي ادعى أنه مستكشف ومؤرخ، وضحى بسنوات عمره، وغامر بحياته، وقضى شبابه في اكتشاف جنوب القارة الأفريقية، وقضى سنوات كثيرة في غاباتها برفقة زوجته، وقطع آلاف الأميال بأقدامه أو في القوارب الخشبية في الأنهار والمستنقعات والأحراش، وعانى من الأمراض والأوبئة ما أنهك قواه! ومع ذلك لم يفت هذا في عضده فأنشأ مراكز التنصير، وأرسل التقارير التي كانت سببا

بسم الله
الرحمن الرحيم

الفهرس

تقديم الدكتور / إبراهيم أبو عباة	11
تمهيد ولمحات عن الرحلة	13
ماذا يريد بابا الفاتيكان من تشاد ...؟!!	19
نبذة عن تشاد :	21
سنوات وعيوننا على صحراء شمال تشاد وقبائلها	23
وجهة الرحلة ...؟!!	24
قصتنا مع القسيس مارك أورتمان والمجلة الفرنسية	24
انطلاقة رحلة مغامرة دخول الصحراء	27
المسجد يناديني ...!!	31
البحث عن دليل متمرس في الصحراء	32
ماذا يقول هارولد ريتشارد ديكسن عن بدو الصحراء ...؟!!	33
السير في الصحراء بدون معالم واضحة للطريق	35
قصة طريفة ...!!	36
بين خطورة الضياع والتيه ،ومخلفات الحرب من ألغام وذخائر لم تنفجر	38
الضياع في هذا الوادي يعني الهلاك في صحراء ليبيا عطشاً ...!!	39
وادي الدوم ...!! مقبرة الآليات والمدرعات ...؟!!	41
نبع الماء يصارع الرمال (المنطقة لم تمطر منذ 40 سنة...!!)	42
عواء الذئب الصحراوي الأبيض يكسر سكون الوادي المظلم	42
انتبه : « خروجك من الطريق يعني الموت » ...!!	43
أطفئ النور حتى لا تتعرض إلى إطلاق النار ...!!	43
التماسيح الصحراوية الضخمة النادرة ...!!	44

عبور وادي الرعب ...!!	45
المرور على السلطان مالك الكهوف	47
هل يوجد تماسيح لا تأكل البشر ...؟!!	49
الفقاعات الهوائية تعني قرب التماسيح ...!!	51
الصحراء الكبرى وتجارب المستكشفين	53
خاطرة : المستكشفون الغربيون الأوائل لأفريقيا وتضحياتهم ...!!	55
شهادة المبشر المسيو فور على مخططات البعثة الإنجيلية ...!!	57
في ضيافة السلطان مالك الكهوف	57
أجمل بحيرة صحراوية في العالم ...!!	59
المياه الكبريتية والينابيع العذبة	62
اختبار شاق للدليل أبو عطا ...!!	63
الأرض في الصحراء تتفجر ينابيع ...!!	65
الاقتراب من منطقة الموت واحتياطات لابد منها	65
بداية صعبة ...!!	67
وزير الدفاع يقول: الطائرة رهن إشارتكم ولكن ...؟!!	68
لابد من القيادة بحذر ...!! فقد وصلنا منطقة الموت ...!!	68
هيجان الرياح ... ورحلة الضياع والتيه ...!!	69
الدليل أبو عطا في حيرة وصمت ...!!	70
اختلف الدليلان ...!! وهنا كان الخطر...!!	71
اللجوء إلى الله تعالى	72
قصة شجرة الأراك (السواك) ...!!	72
صعوبات تواجه السيارة ...!!	72
اجتمع علينا الخوف والجوع والبرد ...!!	73
قيادة السيارة في الرمال تحتاج لجهد شاق ...!!	74
جواب الدكتور ...؟!! نزل كالماء البارد على صدري ..!!	74
الدليل أبو عطا ... رجل من النوادر في الصحراء ...!!	75
خاطرة : الإسلام يتقدم رغم شراسة التنصير	77
إحصائيات مختصرة جدا عن التنصير ومؤسساته	78
قرص الشمس اختفى من شدة الرياح الرملية العاتية ...!!	79

العلامات طمرتها الرمال ... والدخول في صحراء النيجر يعني الهلاك...!! 80
بئر بالطاقة الشمسية يعيد الحياة للمدينة 80
المؤسسات الخيرية الإسلامية شموع مضيئة في بحور الظلام الدامس 81
الخطيئة الكبرى ووصية الملك ليوبولد الثاني ملك بلجيكا !! 82
«منتسكيو» أحد قادة الثورة الفرنسية يقول ... ؟!! 86
خاطرة : لابد من الاهتمام بالباحثين والرحالة ...!! 88
ترجمة الرسالة الموجهة من ميشيل فالي إلى صديقه خالد الطويل : 92
حليب الإبل الملوث كاد يقتلني. ...!! 94
الفرح بوصولنا ولقاء الوداع 95
رسالتي للقارئ الكريم 97
خاطرة : العالم بحاجة إلينا (الجنرال ميشيل سيمو يقول: لقد قصَّرتم كثيراً) 99
ثمرات المؤسسات الخيرية الإسلامية والرحلات الدعوية 101
رسالة إلى ولاة أمورنا 107
الخاتمة 109
لمحات من سلسلة كتب ستصدر بإذن الله تعالى بعد هذا الكتاب 111
الكتاب الثاني : رحلات إلى غابات الأقزام في أفريقيا 111
الكتاب الثالث : صراع مع النمل من أجل البقاء 119
الكتاب الرابع : شاهد عيان رحلة إلى لاجئي دارفور 125
الكتاب الخامس : جئت من هناك (النيجر مأساة حقيقية) 133
الكتاب السادس : رحلات إلى الجزر المنسية في بحيرة تشاد 141
الكتاب السابع : رحلات إلى منطقة البحيرات العظمى 145
الكتاب الثامن : رحلات إلى رؤساء القبائل والملوك والسلاطين في أفريقيا 149
الكتاب التاسع : من غرائب وطرائف القصص الواقعية في أفريقيا 155
شكروعرفان 159
قالوا عن الكتاب ...!! 163
رأي ...!! 167
المراجع 169
السيرة الذاتية للكاتب ! 171

تقديم الدكتور/إبراهيم أبو عباة

الحمد لله رب العالمين الذي أمرنا بالسير في الأرض والمشي في مناكبها، أفضل الصلاة وأتم السلام على من أرسله ربه رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...

أما بعد:

سرني وأسعدني ما قام به الأخ الشيخ/خالد بن محمد الطويل من جهد دعوي وخيري متميز تمثل في هذه الرحلة الشاقة إلى الصحراء الكبرى بشمال تشاد قطع فيها أكثر من (3300) كم في صحراء قاحلة جرداء تعرض فيها لكثير من المصاعب وعانى فيها مع رفقته عناء السفر ومشقة الترحال وتعرضوا فيها لعدد من المواقف الحرجة من ضياع في تلك الصحراء الموحشة وخوف ورعب.. وبعد كل موقف تأتي عناية الله - عز وجل - لتنقذ هذه المجموعة المباركة لعلم الله بسمو أهدافهم ونبل غاياتهم فهم إنما قاموا بهذه الرحلة الشاقة وتحملوا كل هذا العناء من أجل خدمة دينهم وتلمس حاجات إخوانهم المسلمين.

وقد أعاد الشيخ/خالد بهذه الرحلة سيرة آبائه وأجداده المسلمين الذين سبقوا العالم في الترحال والتطواف في ظروف شديدة القسوة فهذا محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الشهير (بابن بطوطة) المولود في طنجة سنة 703هـ الموافق 1304م ، قد ارتدى ثوب الترحال وأخذ يجوب أنحاء العالم وهو لا يزال فتى لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره في رحلة طويلة امتدت ثمانية وعشرين عاماً قطع خلالها (140.000) كم أكثرها في البحار وتعرض للأخطار والمهالك في الصحاري والغابات ومن قطاع الطرق وقراصنة البحر وقد سجل هذه الرحلة المثيرة في كتاب سماه (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) واشتهر (برحلة ابن بطوطة) وقد ترجمت إلى كثير من اللغات وهذه الرحلة المشهورة للعالم والرحالة المسلم ابن بطوطة سبقت رحلة الرحالة (فرناندو ماجلان) والذي دار حول الكرة الأرضية عام 1521م أي بعد رحلة ابن بطوطة بحوالي (200) سنة مما يؤكد سبق المسلمين في كل ميدان وأن رحلاتهم إنما هي لمصلحة البشرية في كل مكان ولم تتوقف رحلات المسلمين واستكشافاتهم في العصر الحديث فهذا شيخ الرحالة العرب/محمد ابن ناصر العبودي يطوف قارات العالم الست في رحلات دعوية متواصلة وزيارات أخوية متتابعة أثمرت كنوزاً من المعرفة والثقافة سجلها الشيخ بأسلوبه الأدبي الرفيع فجاءت في أكثر من (65) كتاباً مطبوعاً و(82) كتاباً مخطوطاً يجد فيها القارئ كل ما يحتاج إلى معرفته في تلك البلدان وعن أحوال أهلها، وتأتي رحلة الشيخ خالد الطويل امتداداً لتلك الجهود المباركة لتؤكد للعالم أجمع بأن همة المسلمين عالية وأن شبابهم على قدر كبير من المسؤولية والأمانة ويبرهن للعالم بأن المملكة العربية

السعودية قبلة المسلمين ومهبط الوحي لا زالت على العهد حباً ووفاءً وإخلاصاً للمسلمين في كل مكان وأنها غنية برجالها الشرفاء وشبابها الأوفياء وأن عطاءها في مجال الخير والتنمية والبناء مستمر في التدفق انطلاقاً من رسالتها السامية وسياستها الرشيدة القائمة على خدمة الإسلام والمسلمين في كل مكان وتقديم العون والدعم للإنسان أينما كان، ومن هنا جاءت هذه الرحلة المباركة.

ولقد وفق الشيخ/خالد في رفقة خَيِّرَة على رأسها الأخ الدكتور/حقار محمد أحمد العالم النابه والداعية المسدد الذي أعرفه منذ أكثر من خمسة عشر عاماً مجاهداً في نشر رسالة الخير متحلياً بالحكمة والصبر متميزاً بالخلق الرفيع والأدب الجم وهو بلا شك مكسب في مثل هذه الرحلات الدعوية فهو من أهل المنطقة (وأهل مكة أدرى بشعابها) لقد سعدت بقراءة هذه الرحلة وسعدت كثيراً عندما طلب مني الشيخ خالد كتابة مقدمة لها، لقد عشت مع أحداثها ومواقفها ومغامراتها لحظة بلحظة فوجدت فيها من الأحداث والمواقف ما يستحق التسجيل لتتاح للقارئ الكريم فرصة الاطلاع عليها والإفادة منها.

أسأل الله ـ عز وجل ـ أن يبارك في جهد أخي خالد ويجزيه خير الجزاء على هذا العمل الجليل والجهد المبارك... كما أسأله تعالى أن يعينه على مواصلة مثل هذه الرحلات ليكتشف لنا مزيدا من أحوال إخواننا المسلمين الذي يعيشون في ظروف صعبة فحقهم علينا أن نبحث عنهم وأن نصل إليهم ونتعرف على أوضاعهم ونعرف المسلمين بهم لمساعدتهم فهم الأولى والأجدر بالدعم والمساعدة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه
د/إبراهيم بن محمد أبو عباة
رئيس جهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني
1430/5/1هـ

تمهيد:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

في رحلة إلى الصحراء الكبرى بشمال تشاد وفي يوم من أيام عشر ذي الحجة من عام 1424هـ وقفت مع نفسي أسائلها:

يا نفس...! ما الذي جعلك تأتين إلى أعماق هذه الصحراء الخاوية والمجهولة؟! ثم لماذا كل هذه المغامرة الشاقة دون وجود الاستعدادات المناسبة لمثل هذه الرحلة؟

هذه التساؤلات لم يُقَدَّر لها أن تجد طريقاً إلى نفسي لولا تلك الرحلة الدعوية الاستكشافية، والتي صاحبها ضياع في أعماق الصحراء الكبرى بشمال تشاد لأكثر من يوم، أحسست خلالها بالخوف من المجهول القادم، تمكن ذلك الخوف من نفسي وظهر في وجوه أصحابي من فرسان ورجال الصحراء، وبدأ اليأس يجد طريقه إلى داخلي، فالمسافات بعيدة ونحن في قلب الصحراء حيث تحفنا كثبانها الرملية من كل الجهات، ونحن نسير في أحضانها، والرياح الرملية الصفراء العاتية قد استمر هيجانها وغطت السماء واختفى معها قرص الشمس في وضح النهار، أبصارنا تقف عاجزة عن الرؤية إلا من بضعة أمتار لا تتجاوز الأربعة. أما الماء فقليل بالنسبة لسبعة أشخاص. لم يكن وضعنا يحتاج إلا أن يزداد سوءاً حين بدأت السيارة تئن تحت وطأة شراسة الصحراء وطول المسافات، ومع ظهور جراحاتها كاد هاجس الوقوع في الرمال الصيادة (وهي رمال ناعمة متحركة وخطيرة تغوص فيها إطارات السيارة) أن يفتك بأعصابنا؛ فقد أخفيت في نفسي خوف مصارعة الموت عطشاً حينما تراءى أمام مخيلتي في تلك اللحظات، عندها بادرت بسؤال صاحبي في الرحلة الدكتور حقار محمد أحمد(1) وقلت له:

يا دكتور: ما الذي جعلنا نغامر بحياتنا في هذه الصحراء المهلكة دون إعداد مناسب للرحلة ؟! بماذا أجاب الدكتور؟! وما أثر جوابه في نفسي؟! وما العجائب والغرائب والمواقف التي وقعت لنا؟ وما هي أهداف هذه الرحلة ونتائجها؟!

هذا ما ستقرؤه في ثنايا هذه الرحلة التي قطعنا خلالها أكثر من (3300كم) ثلاثة آلاف وثلاثمائة كيلو متر تقريباً، في (12 يوماً) اثني عشر يوماً سيراً متواصلاً في بحور الرمال المهلكة، وفي عمق هذه الصحراء المجهولة إلا من بعض الباحثين والمستكشفين، والمنصّرين من الغربيين. كما ستقرأ عن مواقف وغرائب الرحلة التي أوجزها في الوقفات التالية:

---

(1) من أشهر الدعاة في مكافحة التنصير وتتبُّع القساوسة ومناظرتهم حيث أسلم الكثير منهم على يديه (في إحدى حواراته مع القساوسة أسلم 36 قسيساً محلياً في جنوب تشاد).

وقفات سريعة:

- لماذا المغامرة واقتحام هذه الصحراء المجهولة؟ سؤال طرق مسامعي كثيراً بعد رجوعي للمملكة؛ فما الإجابة؟؟!!
- ما قصتنا مع القسيس مارك أورتمان؟ وما سر بقائه في أقصى شمال تشاد سنوات؟!
- صحراء شمال تشاد مقبرة الآلاف من البشر، ماتوا فيها عطشا وتيها، إلا أنها تبقى الصحراء صانعة الرجال الأشداء والفرسان العظماء.
- الكرم وحب الضيف، الوفاء بالعهد، التواضع والبساطة، الشجاعة والفروسية، سلامة الفطرة وحب الإسلام.... هذا ما يميز القبائل العربية في هذه الصحراء، ومنهم حكام البلاد، رؤساء، وزراء، وقادة الجيش...
- لماذا تشتد كراهية المستعمر لأهل هذه المنطقة، ومن أسقط حكومة الأقلية النصرانية بتشاد؟ وما قصة مذبحة كيكب؟!! (400 عالم تم ذبحهم). وماذا قال عنها المؤرخ الألماني غوستاف ناختيجال عن هذه المذبحة؟؟!
- الأرانب البرية، أسراب طيور الحبارى، قطعان الغزلان بأنواعها، الخيول والجمال، بيئة برية طبيعية جميلة، وبداية مشجعة للرحلة.
- نهر بحر غزال (موسورو) موجود في الخارطة ولكن أين هو ؟ ولماذا اختفى في الواقع؟
- «كوبا اولانقا» قرية تصارع الرياح العاتية، والرمال تغطي أكثر من نصف المسجد الطيني، فهل من منقذ لهذا المسجد؟!
- الاضطرار للسير ليلا والتوقف نهارا..... لماذا؟
- دخول منطقة لم تمطر منذ أربعين عامًا.... ولا أثر فيها لبشر إلا العظام...!!
- الطريق إلى كهوف التماسيح «كهوف آرشي» الذي يمر بوادي الرعب، والذي سبقنا إليه المصور الصحفي الفرنسي المشهور أ. إيف دوج، وسر الصورة التي بيعت بـ(20.000) عشرين ألف فرنك فرنسي.
- لماذا بقي الباحث الفرنسي في كهوف آرشي 6 أشهر؟ وماذا قال في كتابه عن تماسيح هذه الكهوف؟
- لماذا دخلنا في مياه الكهوف الباردة والوحلة، رغم وجود التماسيح، وهل صحيح أنها لا تفترس الإنسان كما يقول الدليل المحلي ابن مالك الكهوف؟!!
- وصلنا إلى الينابيع الصافية.... صوت نخير التمساح وأنفاسه تفاجئنا؛ فما العمل؟!.
- الجلوس مع السلطان مالك الكهوف وابتهاجه بوصولنا.... ولكن ماذا يريد؟ ما هي أقصى أمانيه؟!

- وادي الدوم مقبرة المدرعات والآليات العسكرية المدمَّرة التي تغطيها الرمال.. ما سر هذه الحرب؟ ولماذا وقعت؟ وهل نحن في خطر؟!
- حقول الألغام ...التحذيرات الإرشادية على الطريق تقول لنا : «انتبه « خروجك من الطريق يعني الموت « ..!!
- أجمل بحيرة صحراوية في العالم ومقصد السياح والباحثين الأوروبيين سنويا.. أين هي؟
- ماذا قال محافظ البحيرات الثلاث (وانيانقا الكبرى، البحر الأحمر، وانيانقا الصغرى) عندما قابلنا؟
- مدينة فايا.... واحة جميلة في قلب الصحراء، فما قصة العَلَم والماء في مدخل المدينة؟
- منطقة الرمال المهلكة بين مدينة «فايا» ومدينة «سلاّل»، الصحراء خاوية... العلامات متشابهة... الرياح عاتية... الطرق منعدمة... المياه نادرة... الرمال مرتفعة عالية... المسافة 80 كم رمال كالجبال متواصلة... السير فيها مغامرة حقيقة... منطقة الموت...!! كيف عبرناها؟!
- بدأت رحلة الضياع والخوف والتيه حين اختلف الدليلان... هنا كانت أصعب المواقف، الرؤيا منعدمة، ظلام دامس، رياح رملية عاتية، شديدة البرودة، جوع مع خوف من المجهول...!!
- شجرة الآراك تنقذنا بعد عناية الله، فما حكايتها؟
- حين توشك على الهلاك، وتصارع الموت عطشا، والماء تحت قدميك..!!
- جبال ومرتفعات تبستي كانت هدفنا الرئيسي، فلماذا لم نصل إليها؟
- ثروات تشاد في الشمال، اليورانيوم، الألماس، النحاس، الحديد، العطرون، النخيل، الحيوانات، المياه الجوفية، أخيرا تفجرت آبار البترول في الجنوب وفي الشمال و....
- ولكن طمع القوى الاستعمارية أنتج الحروب وخلف الفقر، والجوع، والأمية، والجهل، وكثرة الأيتام والأرامل والمعاقين...
- الغربيون يقولون عن تشاد النفطية... وجدنا «العربية السعودية» الأخرى في قلب أفريقيا..

خالد محمد الطويل
تاريخ الانتهاء من كتابة اللمحات
25 / 12 / 1425هـ

وبداية لنزول جيوش الاستعمار في الكنغو وما حولها، حتى قضى حياته وهلك في تلك الأدغال بعد انجازات سجلتها له أوروبا وخلدته بريطانيا في تاريخها [1].

وما تلا ذلك من حملات إبادة وخاصة للمسلمين في الكنغو وغيرها إنما هو نموذج بسيط لفضح هذا الاستعلاء والاستغلال الغربي لشعوب القارة الأفريقية، منذ أن بدأت طلائع الاستكشاف والتنصير في هذه القارة واشتدادها خاصة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، ثم بدأت حروب الإبادة والاستعمار والتنافس الغربي بدوله المختلفة للسيطرة على شعوب هذه القارة واسترقاق الأفارقة وجلبهم عبيدا إلى أوروبا.

ولمعرفة حجم المعاناة والمأساة فعلى سبيل المثال لا الحصر فإنه عندما احتاجت الدولة الإسبانية إلى الأيدي العاملة لاتساع أملاكها فقد أصبحت تجارة الرقيق مادة أساسية، وقد وقع الأسبان على عقود مع البرتغاليين تبيح لهم توريد أعداد من الرقيق تراوحت ما بين خمسين ألفا وثمانمائة ألف سنويا إلى المزارع الاسبانية، ثم مزارع قصب السكر البرتغالية في البرازيل [2]. وقد قيل إنه ما كان يصل من هؤلاء الرقيق إلا 10%، والباقون يموتون في رحلة العذاب والتعذيب في الطريق، ويقذف بجثثهم في البحر ليكونوا طعاماً للأسماك. فأصبحت يد الرجل الأبيض تعبث بأرواح الأفارقة بما تحمله من البارود والأسلحة التي لم يكن يعرفها أبناء القارة الأفريقية. أما القادم من بلاد الله أي الجزيرة العربية وخاصة مكة فهو في نظرهم مصدر روحاني، ومورد خير دون مقابل، ويحمل في جنباته من الخيرات والتواضع والبساطة وسلامة النية.

إنها مفارقات عجيبة، ومذهلة بين الفريقين من ناحية الإمكانات، وأيضا من ناحية النتائج...!! نعم أقولها بصوت عالٍ، ومدوٍ: إن النتائج كانت مذهلة، حيث دخل إلى الإسلام كثير من النصارى والوثنيين بأبسط الأسباب والإمكانات، وتصححت مفاهيم خاطئة عن الإسلام والمسلمين بشكل كبير جدا، واهتدى كثير من المسلمين الجهلة للإسلام الصحيح والنهج القويم، بأسلوب هادئ، وبالحكمة والموعظة الحسنة وبدون مصادمات...!!

أما الأرقام والإحصائيات الكبيرة عن الذين تنصروا في منطقة ما فتزول بفضل الله تعالى، ثم بسبب داعية يصل للمنطقة لتبليغ هذه الرسالة، بل - والله - إن إمكاناتهم لتنقلب لصالح المسلمين مصداقا لقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ) سورة الأنفال: من الآية 36. ولكن أين الدعاة...؟!! ومتى يصلون...؟!!

إن الحقيقة المشاهدة التي لا تحتاج إلى دليل، هي أن الغالبية الساحقة من الذين تنصروا ليس لديهم قناعة راسخة بما هم عليه، ولذلك تجدهم يسلمون بمجرد وصول صوت الإسلام إليهم، وهذا يذكرنا

---

[1] انظر: مكتشفو أفريقيا، مورفين كام، ترجمة وتعليق د. السيد يوسف نصر، ط1، 2007، مركز الإسكندرية للكتاب، ص 387.

[2] انظر: كشف القارة الأفريقية، زاهر رياض، 1969، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص 114.

بقول الرسول صلى الله عليه وسلم «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر» [1] والله غالب على أمره...!!

بل إننا لنشعر أحيانا كثيرة بنشوة النصر عندما نقارن بين عمل كنسي تدعمه قارات العالم النصرانية، وبين عمل وراءه مؤسسات أهلية إسلامية بسيطة الإمكانات لكنها تضم بين جنباتها رجالاً مخلصين، عَمَلُ الواحد منهم يوازي عمل مؤسسات بكامل إمكاناتها في أوروبا، رجالٌ ملأ قلوبهم حب الإسلام، ورفعُ رايته، وسرى العمل الخيري مع الدم في عروقهم، وفي شرايينهم، واختلط مع خلايا عظامهم، وشغل همهم وأحاسيسهم، حتى إنك لتظن أنهم لا يستطيعون العيش بدون هذا العمل الرباني المنقذ لكثير من البشر من النار، ويا ليت شعري...!! فلو أدركت الدول الإسلامية التي تدعم العمل الخيري ما تحققه من بعد أمني وعمق استراتيجي لها من خلال هذه الأعمال الخيرية لأنشأت بدل المؤسسة الواحدة عشرات، بل آلاف المؤسسات، مع الضبط والإحكام في العمل، فهي لا تخترق هذه الدول ولا تهدد أمنها، وإنما تكسب الكثير من الأصدقاء والمحبين والمدافعين عنها في بلادهم أو في المحافل الدولية. وقد أدركت القوى العالمية ذلك مبكرا، فيكفي أن نعرف أن الإحصائيات الحديثة عن العمل التطوعي في أمريكا تقول:

«إن هذا القطاع يشغل ما يوازي (11) مليون وظيفة، و(90) مليون متطوع أمريكي، وعطاؤه السنوي زاد عن (240) مليار دولار في عام 2003، ويخصص حوالي (40%) للجوانب الدينية، وقد تجاوزت المنظمات غير الربحية حسب آخر إحصاء (1.560.000) منظمة، ومنها حوالي (13.000) منظمة يهودية في أمريكا» [2].

أما تشاد فيقول القس «اشوغيري» وزير خارجية الفاتيكان، منذ ست سنوات: «إن ما ننفقه في تشاد الآن لكونها من أفقر دول العالم، نسترده بكل يسر خلال السنوات الأربع القادمة، لان أراضي تشاد من أغنى الأراضي في أفريقيا، والمواطنين التشاديين كلهم أو 90% منهم تخرجوا من مدارسنا...».

ماذا يريد بابا الفاتيكان من تشاد؟!!

ها هو بابا الفاتيكان يناشد أمريكا بعدم الإسراع في استخراج البترول التشادي، ويزعم بأن لديه ضمانات كافية من عدم استخراج اليورانيوم التشادي، ويسوغ ذلك بقوله: «إن تشاد منطقة هامة... وهي مقبلة على مرحلة جديدة من الحياة الاقتصادية، وربما تصبح تشاد في عام 2006م ثالث أهم منطقة اقتصادية في أفريقيا حسب الدوائر الاقتصادية الأمريكية، وإن كانت الجمهورية الفرنسية

---

[1] أخرجه أحمد (203/2)، والطبراني في المعجم الكبير (58/2)، والحاكم (77/4) وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في تحذير الساجد ص 158.

[2] ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب، د. محمد بن عبدالله السلومي، ط1، 1426هـ، ص (223، 224).

غير مشجعة هذا الاتجاه... ووسيلتنا إلى هذه المناطق الفقر والحاجة، أرجو من الحكومة الأمريكية ألا تستعجل في استخراج البترول التشادي... وقد ننجز أهدافنا قبل الاستخراج، وعندئذ ثروة البلاد ككل تكون في خدمة ربنا المسيح» [1].

وقد بلغ عدد المنصرين في تشاد عام 2001م فقط (6534) منصراً، منهم (260) يتقنون اللغات المحلية، و(15) منهم يتقنون اللغة العربية الفصحى، و(7) منهم حفظة للقرآن الكريم، و(3) علماء في علم الحديث وأصول الفقه، و(30) منهم من أبناء المسلمين الذين تعلموا في مدارسهم وتنصروا، وعدد المؤسسات التعليمية النصرانية حتى هذا التاريخ بلغت (3577) مؤسسة تعليمية ومهنية [2].

ولكي لا أطيل عليك أيها القارئ الكريم دعني أدخل في ثنايا هذه الرحلة العجيبة...!! مبتدئاً بنبذة عن جمهورية تشاد، ثم بأسبابها وأهدافها...!!

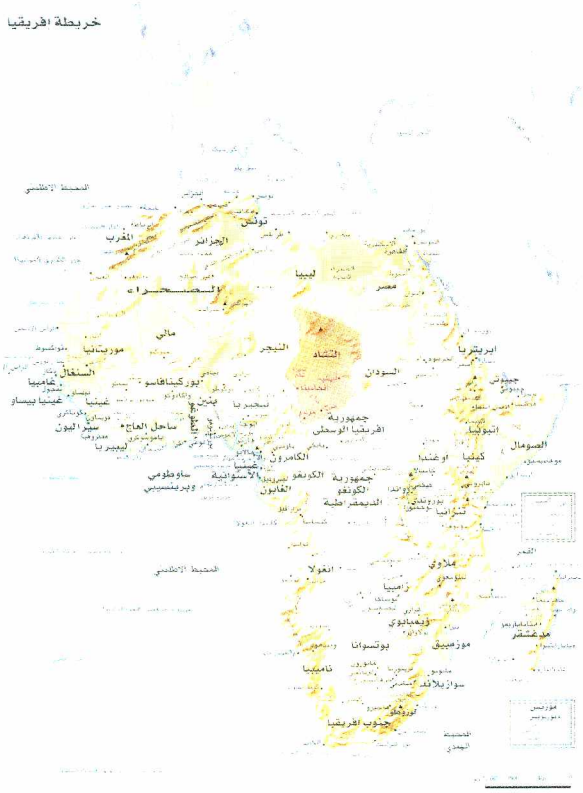

---

[1] انظر: مجلة قراءات أفريقية، العدد الأول من رمضان 1425هـ، 1 أكتوبر 2004م، ص (209).

[2] موضع المختصر للأخبار (2817)، الأثنين 1430/5/29هـ.

نبذة عن تشاد:

كانت جمهورية تشاد ضمن المستعمرات الفرنسية، في قارة أفريقيا، حتى عام 1960م. وبعد استقلالها، عانت حروباً عرقية واضطرابات داخلية، دامت ثلاثة عقود. كما حدث في عام 1973، نزاع بين تشاد وليبيا، التي سيطرت على شريط «أوزو»، الغني بمعدن اليورانيوم، على ما يعتقد...!! ولم تنعم بالسلام إلا عام 1990م، حينما تمكنت الحكومة الانتقالية من السيطرة على معظم الجماعات العسكرية ـ السياسية، أو الاتفاق معها، وتسوية خلافها مع ليبيا، بعد أن فصلت فيه محكمة العدل الدولية، في مصلحة تشاد.

أعدت الحكومة دستوراً ديمقراطياً، وأجرت انتخابات، رئاسية وتشريعية، على أسس تعددية في عامي 1996 و1999، على التوالي. كما يبلغ عدد سكانها 9253493 نسمة طبقا لتقديرات عام 2003م. وعاصمتها أنجامينا.

تقع تشاد في وسط قارة أفريقيا، إلى الجنوب من ليبيا فيحدها من الشرق السودان، ومن الجنوب جمهورية وسط أفريقيا، ومن الغرب الكامرون ونيجيريا والنيجر، فهي إذاً تقع على 15 درجة شمالا، و19 درجة شرقا، وبمساحة قدرها مليون و284 ألف كم2، ومناخها مداري في الجنوب وصحراوي في الشمال.

وهي ذات تضاريس شاسعة جافة، في وسط البلاد، وصحراء في الشمال، وجبال في الشمال الغربي، وأراض منخفضة في الجنوب.

مناخ تشاد مداري في الجنوب، وقاري شديد الحرارة والرطوبة والجفاف في الشمال، مما يعرضها لمواسم الجفاف وموجات الجراد، وتعاني تشاد من شح في مياه الشرب (رغم توفر المياه الجوفية)، وتصريف الصرف الصحي بطرق غير سليمة، مما يسهم في تلوث التربة والمياه، إضافة إلى أنها تعاني من التصحر، وهي بلد مغلق لا يمتلك أي منافذ بحرية، وتعد بحيرة تشاد أهم المسطحات المائية فيها.

ومن أهم اللغات في تشاد الفرنسية والعربية وهما اللغتان الرسميتان. وتستخدم لغة «السارا» و«السانجو» المحليتين في الجنوب إضافة إلى أكثر من مئة لغة أخرى تنتشر في البلاد.

نظام الحكم فيها جمهوري، والنظام القانوني مستمد من القانون المدني الفرنسي والقانون العرفي المحلي.

تعتمد تشاد على المعونات الخارجية ورأس المال الأجنبي في غالبية المشروعات الاستثمارية في

القطاعين العام والخاص، ويستثمر اتحاد شركات تقوده شركتان أمريكيتان نحو 3.7 بلايين دولار في تطوير احتياطي النفط، الذي يقدر ببليون برميل في جنوب تشاد، وتشكل الزراعة 38% من مساهمة الإنتاج المحلي، ومن أهم المنتجات الزراعية: القطن والدخن والفول السوداني والأرز والبطاطا. ومن أهم المنتجات الحيوانية الماشية «الأغنام والماعز والجمال». من أهم الصناعات المنسوجات القطنية وتعليب اللحوم، والعطرون «كربونات الصوديوم» والصابون.

العملة المتداولة هي الفرنك الأفريقي والذي ربط منذ 1999 بالعملة الأوروبية الموحدة (اليورو) بسعر ثابت.

وكونها دولة مغلقة ليس لها منافذ وحدود بحرية، ساهم في ضعف اقتصادها، وفقرها إلى جانب ما خلفه الاستعمار من مشكلات اقتصادية، وبنية تحتية مُدمَّرة، وإجهاض أي محاولات لاستثمار الثروات ومنها البترول وخصوصا شمال تشاد الذي تنتشر فيه القبائل العربية الأصيلة [1]، والتي لها امتداد في شرق وغرب تشاد، حيث ما زالت هذه القبائل تحافظ على تراثها وإسلامها وعروبتها، رغم تأثير شمس الصحراء وحرارتها على لون بشرة سكانها.

دخل الإسلام تشاد في القرن الأول الهجري عام 666م عندما اعتنق الإسلام ملك المملكة السيفية اليمانية على يد تاجر عربي مسلم اسمه «عمر بن أبي ليلى» من العراق، وبذلك كان الإسلام أول دين سماوي يدخل المنطقة، وأكثر من 85% من سكانها مسلمون، ويسكنون في الشرق والغرب والشمال والوسط. أما الجنوب فيسكنه أغلبية وثنية ونصرانية، ولكن الإسلام بدأ ينتشر فيه بقوة ولله الحمد، ويعتبر 73% من مسلمي تشاد من أصول الجزيرة العربية، ولغة الأهالي في بيوتهم والشارع هي العربية حتى بين غير العرب في تشاد.

ومع أن الحركات التنصيرية وصلت إلى جمهورية تشاد برفقة المستعمر منذ عام 1923م إلا أنها لم تنجح في إدخال الوثنيين في الديانة النصرانية إلا عدداً قليلاً بالنظر إلى جهودها المبذولة المتواصلة ليلا ونهاراً.

وتعد تشاد من الدول الفقيرة رغم مواردها وثرواتها الكبيرة، فأراضيها غنية جدا بالبترول والذهب والألماس واليورانيوم. والثروة الحيوانية فيها بكميات هائلة. وبها ستة أنهر وثلاث بحيرات. وتعتبر ثاني أكبر مخزون للمياه الجوفية في أفريقيا حسب ما ذكر بعض الباحثين، وأراضيها عالية الخصوبة. ورئيس الجمهورية مسلم، ونسبة المسلمين في وظائف الدولة 10% فقط.

وعاشت تشاد بعد الاستقلال ثلاثين سنة من الحروب الأهلية، وشهدت الاستقرار منذ عام 1990م، واتجهت نوعا ما إلى استثمار ثرواتها الكبيرة حيث بدأت بتصدير البترول عام 2004م، ودخلت نادي الدول البترولية.

---

[1] مثل القرعان والبدايات والمحاميد وبني سليم وبني مالك وأولاد راشد والكانميين... وغيرهم.

سنوات وعيوننا على صحراء شمال تشاد وقبائلها...!!

منطقة شمال تشاد كنا ومنذ سنوات نرمقها بأنظارنا، ونتحين الفرصة للدخول إليها، خصوصا عندما نسمع عما فيها من عجائب، وثروات، وقبائل ذات شوكة وعزة وشهامة وأنفة، وذلك من صاحبنا الرحَّالة الدكتور حقار.

وقد حدثنا الدكتور في مناسبات كثيرة أثناء تجوالنا معاً في وسط أفريقيا خلال السنوات الماضية عن أهمية هذه المنطقة، وقبائلها، ودورهم في حماية الإسلام والذود عنه، وتحرير البلاد والدفاع عن حماها عند الشدائد...!! ودورهم المشهود في طرد المستعمر الغاصب للأرض والعرض، ثم إسقاط حكومة الأقلية النصرانية التي تحكمت في رقاب الشعب، والتي خلفها الاستعمار، وقد تحملوا نتيجة ذلك كثرة الأيتام والمعاقين، وبذلوا الغالي والنفيس في سبيل ذلك حتى تم الاستقلال عام (1960م).

ومن هنا عرفت سبب كراهية المستعمرين لهذه المنطقة ورجالها، وأدركت سبب إهمالها اقتصاديا والتعتيم عليها، كما أن هذه المنطقة بالرغم من صعوبتها، وقلة الطرق فيها، وانعدامها أحيانا كثيرة، لم تسلم من بعض المُنَصِّرين الذين أغاظهم انتشار الإسلام في معقلهم بجنوب تشاد، فقرروا (حسب ما ذكر أحد الدعاة الموثوقين) في اجتماع سري للكنيسة الكاثوليكية والكنيسة البروتستانتية نقل المعركة إلى عقر دار المسلمين بشمال تشاد، وقالوا بلفظ مشين أعتذر للقارئ الكريم بعدم إيراده هنا حسب ما سمعناه من الناقل...!! (قالوا: لا بد أن ننقل المعركة إلى عقر دار أولاد..... و.....) وهم يقصدون بذلك مسلمي الشمال، وهذا الكلام نابع من الهوس والصدمة التي أصابتهم من تسارع انتشار الإسلام بشكل مذهل في جنوب تشاد الوثني، والذي عملت الكنائس على تنصيره منذ أكثر من تسعين سنة، مما جعل الكثير من المليارات التي أنفقوها في الجنوب تذهب هباءً، بل تحول كثير منها لصالح المسلمين. والواقع الآن يثبت انتشارهم الخطير في شمال تشاد حتى مع البدو الرحل من المسلمين العرب.

لقد أقض مضاجعهم هذا الأمر فأرسلوا الكاردينالات، والقساوسة، والشماسين، ورعاة الكنيسة من الرجال والنساء، - وهذه مسميات لأنواع الدعاة والمُنَصِّرين لديهم - في بعثات طبية، وتعليمية، وبيطرية، ومستشارين، ومهندسين...!! فاستقر بعضهم في الشمال للتنصير في مناطق مختلفة، وكان للدكتور حقار صولات وجولات معهم منذ سنين، حيث قام بتتبعهم كلما سنحت له الفرصة، ولو على الجمال لقلة الإمكانات، فكان يسافر للمنطقة التي استقر فيها القسيس الذي لبس لباس المعلم، أو الطبيب، وتسمى بأسماء المسلمين، وبدأ ينشر السموم في تلك المناطق، وبمجرد وصول الداعية الواعي

ولقائه بالقبائل والأهالي والمسؤولين، وبيان حقيقة هذا المُنَصِّر، وطلب المناظرة معه، عندها ينتهي كل شيء بإذن الله تعالى؛ إذ ما يلبث المُنَصِّر بتوفيق الله إلا ويطرد من المنطقة كلها، وتذهب جهوده في تغيير دين المسلمين لسنوات أدراج الرياح.

وجهة الرحلة...؟!!

الوجهة الأساسية في هذه الرحلة هي اكتشاف منطقة شمال تشاد، هذه المنطقة الهامة المنسية، وتتبع النشاط التنصيري الذي يتزعمه القسيس الفرنسي «مارك أورتمان» (الذي غير اسمه الحقيقي، واتخذ له اسمًا آخر هو «واردقو كانداماي») المتلبس بلباس المسلمين، والوصول إليه، وتعرية أهدافه أمام المسلمين والتحذير من حظر نشاطه التنصيري في أقصى المناطق بشمال تشاد التي استقر بها منذ سنوات.

• أهداف الرحلة باختصار:

1- افتتاح المركز الإسلامي لمؤسسة عيد آل ثاني - رحمه الله رحمة واسعة - الخيرية، الذي أشرف على بنائه مؤسسة المنتدى الإسلامي [1]، وهو أول مركز إسلامي بالشمال.

2- اكتشاف منطقة الشمال، والتعرف على القبائل العربية لأهميتها الاستراتيجية، والدعوية والتعريف بهذه القبائل وتاريخها البطولي في الدفاع عن الإسلام وتحرير الوطن.

3- توجيه أنظار المؤسسات الخيرية لهذه المنطقة، وكسر حاجز الخوف من دخولها.

4- تتبع النشاط التنصيري الذي يتزعمه القسيس «مارك أورتمان»، وكشف هويته الحقيقية أمام القبائل المسلمة.

5- تحديد الاحتياجات الضرورية سواء الدعوية أو الإنسانية أو التعليمية في تلك المنطقة.

قصتنا مع القسيس «مارك أورتمان» والمجلة الفرنسية...!!

تتلخص قصة القسيس مارك «أورتمان» في أن الدكتور حقار كان قد تمكن من اكتشاف حجم

---

[1] المنتدى الإسلامي: هي مؤسسة خيرية سعودية متخصصة في العمل الخيري والتعليم في القارة الأفريقية للدعوة إلى الله تعالى.

أعمال هذا القسيس في شمال تشاد بالرغم من بُعد المنطقة، وانعدام الطرق، حيث يقول الدكتور حقار: إنه من خلال متابعته لمجلة كوغي دي نيجير «Cokrier Denigr» الفرنسية المتخصصة في شؤون التنصير، وقعت عيناه على رسالة شكر وعرفان من أندريه بوني «Andre Bonet» وهو أحد القساوسة الأوروبيين الكبار موجهة لهذا القسيس المستقر في مناطق تبستي، أقصى الشمال التشادي، نظراً لما يقوم به من أعمال جليلة لخدمة الرب المسيح بزعمهم، وذلك من خلال جهوده الجبارة في تنصير المسلمين وصبره على معيشة الصحراء ومصاعبها.

يقول الدكتور: حين علمت بذلك سارعت بتسجيل اسمه، وسألت بعض أبناء القبائل من أهل تلك المنطقة عن هذا الاسم، وأين هو بالتحديد، وبعد فترة أخبروني بأنه لا يوجد شخص بهذا الاسم في هذه المناطق، فقلت: لعل الأمر فيه لبس...!! ومرت الأيام والشهور...!! وإذا بي أجد وثيقة عن الشخص نفسه، فيها رسالة شكر أخرى من نفس القسيس. والعجيب أنه وضع بعد اسمه الحقيقي «مارك أورتمان» اسماً تشادياً بين قوسين وهو «واردقوا كانداماي»...!! فشعرت أن هذا اسم مستعار، فرجعت لأبناء القبائل وسألتهم عن هذا الاسم «واردقوا كانداماي»...!! فكانت المفاجأة...!! حيث أفادوا بعد بحثهم، بأنه رجل جيد يخدم الجهات الرسمية بإصلاح السيارات، فهو ميكانيكي، ويقدم المواد الغذائية، والمساعدات الإنسانية، وهناك طائرة تزوره بين حين وآخر بتلك المنطقة تزوده بما يحتاج.

عندها اتفقت مع الدكتور على زيارة المنطقة؛ لأن وصولنا معناه كشفُ أمره، وضياع جهوده التنصيرية السرطانية في المنطقة، لأن فطرة أبناء هذه القبائل سليمة ونشؤا على عقيدة التوحيد، وهذا من الأسباب التي دعت كاتب هذه السطور للسفر بصحبة الدكتور/حقار، والمستشار الدبلوماسي «أحمد عبادة» والمصور «خالد زاكي الدين» إلى تلك المنطقة.

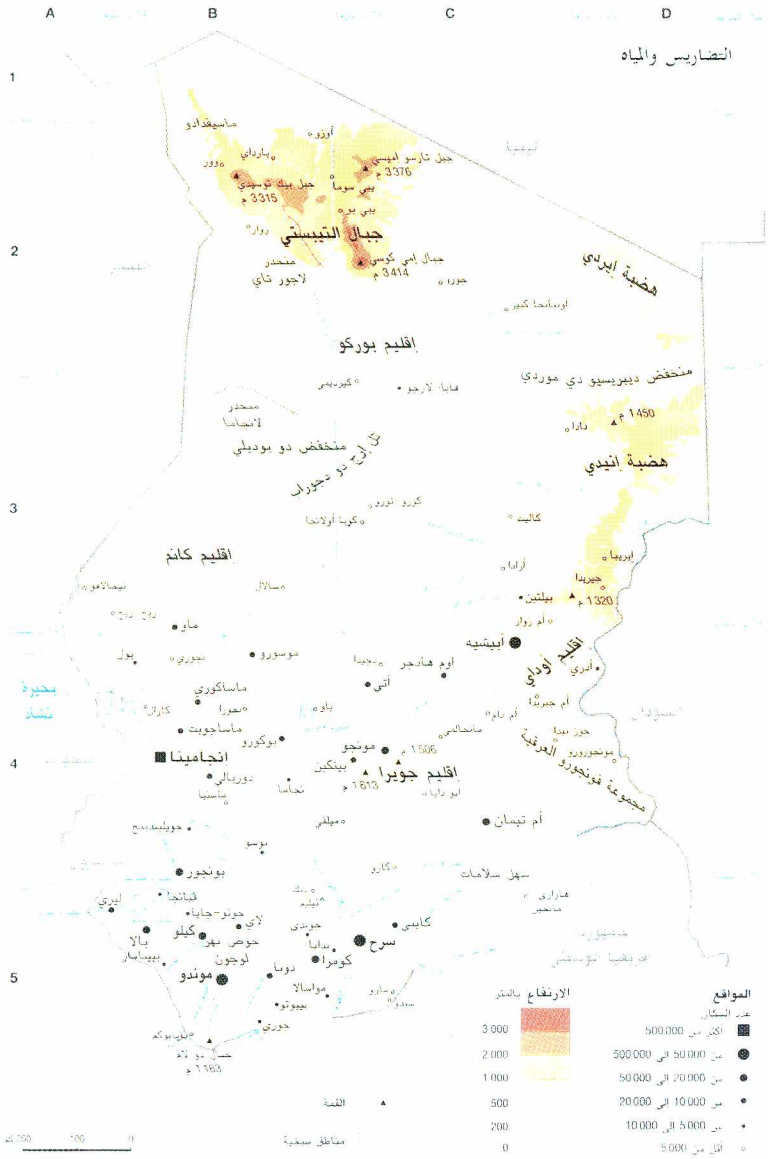
التضاريس والمياه
A
B
C
D
1
2
3
4
5
جبال التيبستي
جبل تارسو اميسي
3376 م
جبل بيك توسيدي
3315 م
بي سوما
بي بو
حبال إمي كوسي
3414 م
منحدر لاجور تاي
هضبة ايردي
منخفض ديبريسيو دي موردي
1450 م
هضبة انيدي
اقليم بوركو
منحدر لانجامينا
منخفض دو بوديلي
اقليم كانم
اقليم أودي
جيريا
1320 م
بيلتين
أبيشيه
أم تيمان
اقليم جويرا
1613 م
مونجو
1506 م
بيتكين
انجامينا
ماساكوري
ماساجويت
بركورو
بونجور
سهل سلامات
كابيسي
سرح
كيلو
حوض نهر
بالا
لوجون
موندو
كومرا
دوبا
مواسالا
بيبوتو
جوري
بحيرة تشاد
مناطق سبخية
القمة
المواقع
عدد السكان
اكثر من 500 000
من 50 000 الى 500 000
من 20 000 الى 50 000
من 10 000 الى 20 000
من 5 000 الى 10 000
اقل من 5 000
الارتفاع بالمتر
3 000
2 000
1 000
500
200
0
كلم 150 100 0

انطلاقة رحلة مغامرة دخول الصحراء

خط السير وطريق الرحلة كان متسلسلاً عبر القرى والمدن التالية:

العاصمة وهي إنجامينا ـ مساقط ـ مَسَكوري ـ شدره ـ بحر غزال (موسورو) ـ كندره ـ مانجورا ـ بئر باسي ـ بئر باطن الجنة ـ كوبا اولانقا ـ كلاييت ام شالوبه ـ فادا ـ كهوف آرشي ـ الرجوع إلى: فادا ـ وادي الدوم ـ وانيانقا الكبير ـ البحر الأحمر ـ وانيانقا الصغير ـ فايا ـ صحراء إيجي [1] ـ ضياع وتيه حتى الوصول إلى: كوبا اولانقا ـ سلال ـ بحر غزال ـ شدره ـ دقنه ـ مسكوري ـ المبيت في: قرية توقمبا ـ مساقط ـ إنجامينا العاصمة.

الصورة بالأعلى: أحد مشاريع الخير من المملكة العربية السعودية بئر بالطاقة الشمسية. بئر كندره حيث لا يوجد كهرباء.

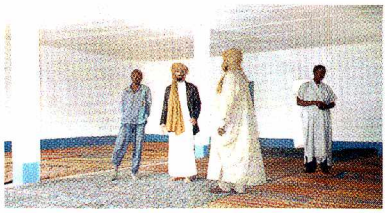

الصورة باليمين: أحد مشاريع الخير في وسط الصحراء من بئر الخير المملكة العربية السعودية.

الصورة باليسار: داخل مسجد عبدالله عبدالعزيز العثمان رحمه الله في مدينة بحر غزال (موسورو) الدهور حتار وخالد الطويل داخل المسجد.

[1] إيجي: تعني المجاعة أي أن من لم يمت بالعطش فسيموت بالجوع لعدم وجود حياة في هذه الصحراء القاحلة.

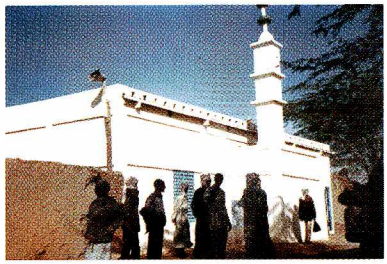

الصورة بالأعلى: أحد مشاريع الخير من المملكة العربية السعودية في قلب الصحراء.

الصورة باليسار: في ضيافة قبائل الرحمان لعربية مجلس مضلة كبيرة.

في أول أيام شهر ذي الحجة من عام 1424هـ بدأت رحلتنا إلى الصحراء الكبرى بشمال تشاد، حيث انطلقنا من العاصمة «إنجامينا» بسيارتنا «الهايلكس الغمارتين» ذات الدفع الرباعي، والتي تعمل بالديزل باتجاه الشمال، حيث ينتهي الطريق المسفلت بعد 90 كيلو متراً فقط إلى مدينة «مساقط» ثم أكملنا الطريق الترابي باتجاه قرية «شدره» فمحافظة «بحر غزال»، حيث وقفنا للإشراف على حفر بئر بالطاقة الشمسية بقرية «كندره» بتمويل من مؤسسة المنتدى الإسلامي؛ وذلك استجابة لطلب مسؤلين في حكومة تشاد لحاجة هذه القرية للمياه، وبعد اللقاء بأهالي القرية أبدوا شكرهم للمملكة وجهودها الخيرة، ثم انطلقنا باتجاه مدينة «كوبا أولانقا».

وكانت الرحلة جميلة حيث تكتحل عيناك برؤية طيور الحبارى والأرانب البرية والغزلان بأنواعها والخيول والجمال، وقد كانت الصحراء جميلة حقًا، وزاد جمالها حسن كرم أهلها؛ فقد كان الأهالي من تلك القبائل يسارعون لتزويدنا بحليب الإبل عند النزول إليهم أو سؤالهم عن الطريق، وكثيرا ما تستمتع أعيننا برؤية المراعي البرية التي تجوبها قطعان الأبقار للرعي فيها، وعندما لم أشاهد نهر بحر غزال الموجود على الخارطة، سألت صاحبي الدكتور/ حقار عنه: هذا النهر ليس موجوداً على الطبيعة...!! لماذا...؟!! فكان جوابه: نعم...!! هو موجود على الخارطة، ولكنه غرق في رمال الصحراء وقُضي عليه، فهو يجري تحت الكثبان الرملية، ولا يعرف مواقع المياه فيه إلا أهل البادية المهرة، وقد تموت عطشا في هذه الصحراء والماء تحت قدميك وأنت لا تعلم!

بعد مغادرتنا لقرية «كندره» والمرور على قرية «مانجورا» والوقوف على بئر «باسي» ثم بئر باطن الجنة، حيث نزلنا هناك نتأمل تلك البئر العميقة التي حفرتها إحدى الجمعيات الإنسانية، وأدركنا أنها تعتبر العمود الفقري لحياة الناس. فكما أنها مصدراً للحياة فقد تكون أيضا مصدراً للموت والهلاك حينما تقل المياه ويتقاتل الناس عليها ويسقط العشرات صرعى في حوادث متكررة، ومشاهد محزنة ومؤلمة تتقطع لها أكباد الغيارى من أهل القبلة، وذلك حينما يشاهدون الجثث الهامدة والأشلاء المقطعة نتيجة التقاتل بين أبناء القبائل من أجل البقاء على قيد الحياة، حينما يتسارع الناس إلى هذه الآبار وخاصة في مواسم الجفاف، حيث تئن هذه الآبار تحت وطأة كثرة الجموع من الناس والحيوانات

المترددين والمتزاحمين في تسابق محموم للظفر بجرعات من ماء هذه الآبار، ثم إذا انقشع الغبار عن تلك المعارك الطاحنة سواء بالسلاح الناري أو الأبيض وتفقد الناس قتلاهم وجرحاهم تسمع البكاء والصراخ والعويل من النساء الثكلى والأطفال الحيارى، ويتردد صدى أنينهم في أذنيك وقد أصبحوا في عداد جموع الأيتام الذين لا كافل لهم إلا الله...!! ثم ماذا...؟!!

هل سينقذهم المسلمون ومؤسساتهم وحكوماتهم...؟!! أم سيتهافت إليهم رجال الأعمال المحسنون الذي كان باستطاعتهم حفر الآبار وتوفير المياه قبل أن تحل الكارثة وتقع المجازر...؟!! بل قد نسمع أحيانا أن هناك من يصفهم بالهمجية وعدم التحضر لتقاتلهم، ونسي هؤلاء أن الخصومات والتقاتل يقع في البلدان الغنية والمتحضرة وحتى الدول الإسلامية، والحوادث الموجودة بمراكز الشرطة شاهد على ذلك...!! فكيف بمن يرى ابنه أو طفلته أو زوجته أو أمه تصارع سكرات الموت من شدة العطش بعد البحث الشاق والسير مسافات ولأيام بحثا عن الماء، وعندما يصل يمنع منه أو يخاصم عليه...!!

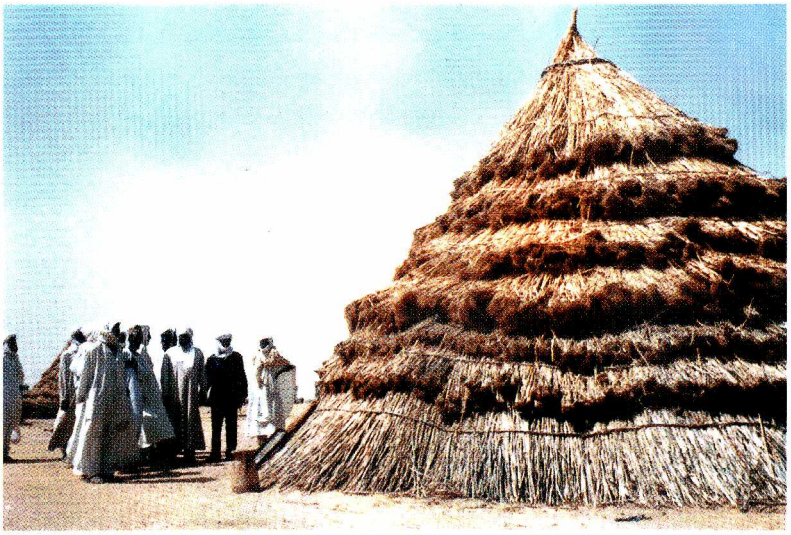

تصدر بالاسفل أحد البيوت الصحراوية في كشرم.

إنها مشاهد ومآسٍ غابت عن أعين المترفين في مجتمعاتنا، وقضايا لم يحمل همها كثير من إعلاميينا وصحافيينا، بل إن البعض منهم سال قلمه مسموما بالتجريح في المؤسسات الخيرية الإسلامية التي سخرت إمكاناتها البسيطة لمثل هذه الكوارث والقضايا ومحاولة إنقاذهم ولو بالقليل من خلال جهود تطوعية مباركة.

وغالبا ما يقع أولئك المساكين الضحايا من بقايا مخلفات تلك الصراعات فريسة سهلة وغنيمة باردة للمؤسسات التنصيرية الغربية التي تقدم لهم الطعام والشراب بيد، وفي اليد الأخرى تمسك الإنجيل وتقدمه إليهم بحيل متنوعة وخبيثة تسلخ المسلم البسيط من دينه مستغلة الجهل والحاجة والفاقة.

وقد قال الكاردينال «شوغاري» وهو الرجل الثالث في الفاتيكان: « نحن نتخذ من الفقر والفاقة والحروب والكوارث والأمراض والجهل وسيلة لدفع عجلة دعوة ربنا المسيح إلى الأمام ».

ويقول المبشر الشهير «فولد زيهر» موجهاً كلامه لجموع القساوسة: «لتكن لكم نعومة الأفعى في الزحف إلى قلوب المسلمين، إن المسلم لا يغير دينه بسهولة، لذا لابد من تخديره قبل فتح بطنه كما يفعل الجراحون».

لذلك تجدهم يعملون الليل والنهار لسلخ المسلمين في القارة الإفريقية من دينهم، ولا نستغرب تركيز سهامهم على بعض الدول الإستراتيجية بالنسبة لهم مثل جمهورية السودان العربية لموقعها الإستراتيجي ودورها في انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، فتسلطت عليها مجالس الكنائس العالمية وبدعم من دولها في أوروبا. ويكفي أن نذكر هنا مقولة الهالك النصراني «جون قرنق» الذي قاد التمرد العسكري في السودان. واستمر أربع عشرة سنة حيث يقول موجهاً خطابه للغرب المسيحي: «السودان بوابة الإسلام والعروبة إلى أفريقيا، فلتكن مهمتنا الاحتفاظ بمفتاح هذا الباب حتى لا تقوم للإسلام والعروبة قائمة في جنوب الصحراء الكبرى»...!!

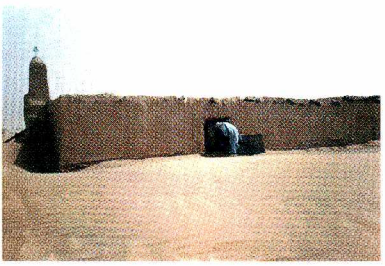

الصورة باليمين: مجموعات بائسة تحاصر المسجد الجامع من كثرة الرمال وحصارها.

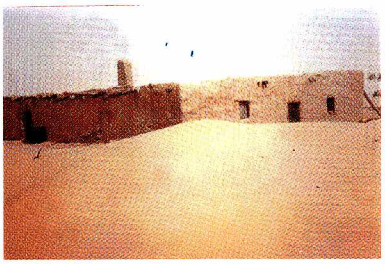

الصورة باليسار: مسجد قرية كوبا لاقتا يستغيث من حصار الرمال الصحراوية.

وفي الحرب على الإسلام بشكل عام يقول روبرت ماكس أحد المنصّرين من أمريكا الشمالية: «لن تتوقف جهودنا وسعينا نحو تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب في سماء مكة ويقام قداس الأحد في المدينة» [1].

---

[1] الزحف إلى مكة، عبدالودود شلبي، حقائق ووثائق من مؤامرة التنصير في العالم الإسلامي، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، 1409هـ، ص 13.

المسجد يناديني...!!

أكملنا مسيرنا باتجاه «كوبا أولانقا» حتى رأينا آثار الصحراء عليها، حيث غطت الرمال جزءاً من بيوتهم المبنية من القش أو الطين، وبدا لنا ذلك الجامع الطيني الذي وقف يصارع الرمال التي وصلت في بعض جهاته إلى حدود السقف حتى وإنك تستطيع أن تصعد إلى السطح مباشرة من خلال تلك الرمال...!! في منظر محزن ومهيب يجسد ما يعانيه إخواننا المسلمون في تلك الصحاري...!!

أطرقت رأسي خجلا وحياءً من الله، ثم من هذا الجامع الذي تخيلته كالشيخ الكهل الذي احدودب ظهره، ورق عظمه، وبلغ من الكبر عتياً، ولم يعد قادراً على مقاومة أكوام الرمال التي أثقلت ظهره، وكأني به يرمقني بعينيه اللتين أرهقتهما السنون وينادي ويقول: يا مسلم يا عبدالله...!! يا سليل العرب...!! أيها القادم من الشرق من بلاد الله من أرض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنبع الرسالة.. إني ومنذ أن وُجِدتُ على هذه الأرض، منذ عشرات السنين لم أر أحداً منكم...!! لقد دنس أرضنا الغزاة ولكن أبناء محرابي الركع السجود طهروها من دنسهم، وبذلوا الغالي والنفيس في ذلك، ولكنهم لم يستطيعوا أن يعينوني في شيخوختي، ويقيموا بنائي لفقرهم وضعفهم، فأين أنتم...؟!! لماذا لم تذكرونا...؟!! أجدادكم من الصحابة وصلوا إلينا بالخيول والجمال، وأنتم هُيئت لكم السيارات والمراكب الفارهة، فلماذا تأخرتم...؟!!

أخي لا أريد أن أكدر صفو عيشك فأنت عزيز على قلوبنا! فقد جئت من مهبط الوحي وأرض الصحابة، ولكني مضطر أن أخبرك بهذه الكلمات والحسرة والألم تقطع أنياط قلبي، لعلك تشاركني في الهم، وقد يفتح الله على يديك الخير...!! قل لإخواننا من أحفاد الصحابة: لقد رجع إليَّ الغزاة والمستعمرون ولكن بثياب جديدة وملامح مختلفة، لم يحملوا السلاح ولا المدافع...!! وإنما جاؤوا بالطعام والأقلام والإنجيل...!! ماذا ستجيبون أمام الله عندما يسألكم عني...؟!! أليس في استطاعتكم أن تقيموا أركاني وجدراني من الخرسانة والحديد ليقوى صلبي ويتحمل أمواج الرياح والرمال العاتية ؟! ألا ترى أن مساجدكم ومنازلكم تذهل العقول من الرخام والزينة...!! زادكم الله من فضله ولكن لا تنسونا مما أفاء الله به عليكم من خير!!

أخذت نفساً عميقاً وتنهدت وقلت في نفسي: الله أكبر...!!.

نعم لقد قصرنا كثيراً، وأدركت أن الهجوم الغربي المحموم على المؤسسات الخيرية الإسلامية إنما هو محاولة لإيقاف تقدمها في العالم وخاصة أفريقيا حتى لا تزاحم مؤسساتهم التنصيرية التي ستتهاوى جهودها ومخططاتها أمام قوافل الرحمة والهداية للمؤسسات الخيرية الإسلامية.

الصورة باليمين: لاحظ المرتفع في آثار السيارة اليمين واليسار حيث وقعت السيارة في الرمال الصيادة ولكنها بحمد الله كانت بالقرب من مسجد.

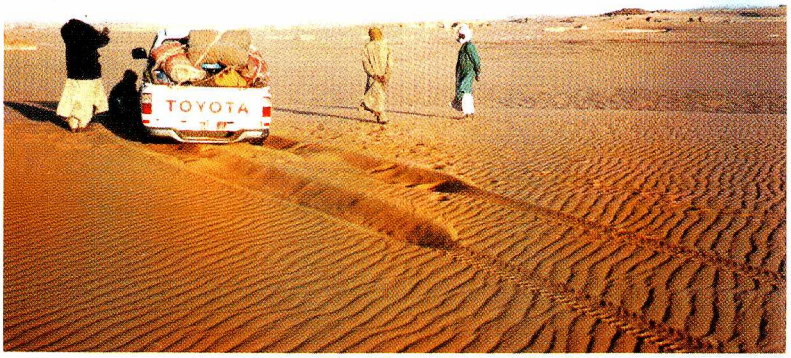

لم يكن وضع المسجد كما ينبغي أن يكون عليه أي مسجد، أضف إلى ذلك أن زحف الرمال عليه يمنع المصلين من الصلاة فيه أحياناً، مما جعل الأهالي يأملون منا في السعي إلى إعادة بنائه بالحديد والإسمنت، ووضع سور وأبواب تحجب زحف الرمال التي يعانون كثيراً من إزاحتها للدخول مع الباب للصلاة بالمسجد.

البحث عن دليل متمرس في الصحراء

حين وصلنا إلى قرية «كوبا أولانقا» لم يكن معنا دليل متخصص، بل كنا نسير على آثار طريق سيارات ترابي يظهر لنا حينا ويختفي أحيانا كثيرة، مما يسبب لنا الضياع لساعات، وخاصة في الليل، وكنا إذا فقدنا الطريق خلدنا إلى النوم حتى الصباح، وسرنا على هذا المنوال إلى أن وصلنا إلى هذه القرية «كوبا أولانقا»، وهنا بدأنا نشاهد الكثبان الرملية التي تثيرها الرياح العاتية، وسألنا عن القرية القادمة، فقالوا: أقرب مدينة هي محافظة «كلاييت» باتجاه الحدود مع ليبيا، ولكن لا يوجد أي طريق واضح المعالم، وعلينا أن نحدد وجهتنا حسب معرفة الدليل بالاتجاهات والنجوم والرياح، ولذلك كان علينا أن نختار دليلا متمرسا يعرف المنطقة جيدا، فوقع اختيارنا على أبًّا عطا «أبو عطا»، وهذا الرجل يشتهر بالقدرة على العيش في الصحراء، والصبر على العطش، والسير مسافات طويلة فيها؛ لأن ما سيواجهنا بعد تجاوزنا للقرية عبارة عن صحراء حقيقية، وهي ما يعرف بصحراء شمال تشاد التي هي جزء من الصحراء الكبرى.

وتعتبر هذه الصحراء مقبرة لآلاف من البشر، ماتوا فيها عطشاً وتيها.

القبائل العربية الصحراوية ودورها في الدفاع عن الدين والوطن

عندما غادرنا قرية «كوبا أولانقا» كنا نتحدث عما يتميز به رجال القبائل العربية بشمال تشاد من حب الضيف، والوفاء بالعهد، والتواضع، والبساطة، مع الشجاعة والفروسية...!! فتجد الطفل ابن سبع سنين يقود عشرات الإبل بل المئات في الصحراء دون خوف، وتبقى سلامة الفطرة، وحب الإسلام، والحمية لهذا الدين، والكرم أهم ما يميز هذه القبائل...!! عندها أدركت لماذا اشتدت

الصورة باليمين: لشاب مع فرسان الصحراء من القبائل العربية أهالي منطقة كندرا.

الصورة باليسار: تنقد أحوال قرية كندرا بالشمال.

كراهية المستعمر لهذه المنطقة وأهلها...!! وكم من القصص التي سمعتها عن الفرسان العظماء الذين خرجوا من هذه المنطقة، وقاوموا جيوش المستعمر عشرات السنين حتى أجبروه على الخروج من تشاد ذليلاً صاغرًا مخلفاً وراءه أقلية نصرانية حكمت تشاد بالظلم والقهر. ولكن لم يهدأ بال هؤلاء الفرسان الأُسُود من الشمال وغيره من المناطق الأخرى إلا بعد إسقاط هذه الأقلية النصرانية، وقيام حكومة يمثل المسلمون غالبيتها.

ماذا يقول هارولد ريتشارد ديكسن عن بدو الصحراء...؟!!

وليس بالمستغرب على هذه القبائل العربية ما ذكرت من الصفات فهي قبائل أصيلة تمتد جذورها إلى الجزيرة العربية حسب الوثائق والأشعار المحفوظة إلى وقتنا الحاضر، وقد تكون شهادتي مجروحة لكوني عربياً، ولكن لنأخذ شهادة رجل عسكري دبلوماسي وسياسي يمثل دولة عظمى في ذلك الوقت وهو الليفتينانت كولونيل/«هارولد ريتشارد باتريك ديكسن» المعتمد السياسي لبريطانيا في الكويت وبعض أجزاء الجزيرة العربية، والذي عاش في الصحراء مع البدو أكثر من عشرين سنة، تنقل بين

الصورة بالأعلى: قصر أحد رؤساء القبائل العربية من فرسان و أسود الصحراء بعد الصيافة.

الكويت والعراق ونجد وما حولها، وهو من الغربيين القلائل الذين أنصفوا العرب بعيداً عن الحقد والتعصب الديني والفوقية والاستعلاء...!!

يقول «ديكسن» في مقدمة كتابه «عرب الصحراء» صفحة 17: «وسوف أشعر بسعادة أكبر إذا تمكنت من إثارة اهتمامهم (يقصد الأجانب الذين يأتون إلى الجزيرة العربية) بشعب من أنبل شعوب العالم، وأكثرهم أهلا للمحبة، وأعني بهم بدو الصحراء».

وعندما يتحدث في الفصل الحادي عشر عن الدين والصلاة يقول في صفحة (227):

«ومع أن البدوي مقاتل شرس، ولا يتورع عن القتل والغزو، فإنه يتمتع بأرفع وأرقى مستوى للشرف في العالم. واعتقاده الذي لا يتزحزح بالخالق العظيم الواحد الأحد الذي لا يتجزأ، ولا تغفل له عين، ولا يغيب عن الوجود يدعو للإعجاب».

وعند الكلام عن الفضيلة فإنه يقول في صفحة (255):

«الرذيلة على ما أعرف لا وجود لها بين قبائل الصحراء... والدعارة غير معروفة في أوساط البدو، وعقوبة الزنا هي الموت».

ويقول في صفحة 31: «ولكنني على أية حال أجد نفسي مضطراً للكتابة لاعتقادي بأنني يمكن أن أضيف قليلا إلى المعرفة التي تجمعت حول شعب ربما يكون أهلا للحب أكثر من أي جنس آخر على وجه الأرض...

ويقول أيضا: وخلال السنوات المذكورة وبشكل خاص خلال خدمتي في الكويت تعلمت أن أحب وأحترم البدوي، وأكتسب بصيرة بحياته لن أندم عليها أبدا».

ويقول في صفحة 691: «ففي هذا العالم الذي لا يزال يجهل العربي الحقيقي وأسلوب معيشته، والدين الممتاز الذي يدين به فإن هدفي المتواضع هو إثارة الاهتمام بالمشكلات العربية التي تؤثر تأثيرا حيويا في هذا الشعب المحبوب المتصف بالشهامة وعزة النفس، وخطيئته الوحيدة في نظر البعض هي حماسته الشديدة للدفاع عن حقوقه، ورغبته القوية في الاستقلال عن التبعية الأوروبية» [1].

السير في الصحراء دون معالم واضحة للطريق...!!

بعدما تزودنا بالوقود أخذنا الدليل أبو عطا، وغادرنا «كوبا أولانقا» باتجاه محافظة «كلاييت»، وهي منطقة تجارية قريبة من الحدود الليبية الصحراوية القاحلة والمهلكة، حيث تبعد المسافة بين «كوبا أولانقا» و«كلاييت» حوالي 300 كيلو متر تقريباً. ومما أثار استغرابي وفي نفس الوقت مخاوفي التي أخفيتها عن أصحابي، أننا سنسير هذه المسافة دون طريق واضح المعالم أو أثر لسيارات قبلنا...!!

الصورة بالأسفل: من مصاعب الرحلة، خالد الطويل يحاول تخفيف الهواء لاخراج السيارة من الرمال.

(1) عرب الصحراء، الليفتانت كولونيل هارولد ريتشارد باتريك ديكسن، ترجمة وتحقيق سعود غانم العجمي، ط1، عام 1997م، الكويت.

فقد بدأنا نسير بالاتجاه الذي يشير إليه الدليل أبو عطا، الذي بالرغم من شدة حرارة الشمس والعمل الشاق الذي يقوم به، إلا أنه لا يأكل إذا قدمنا له الطعام، ولم نكتشف أنه صائم إلا بعد أذان المغرب، فقلت في نفسي: «سبحان الله»...!! هذا البدوي الذي تشققت يداه وقدماه من شراسة الصحراء يصوم يوم الخميس رغم مشاق السفر...؟!! بل لاحظت حرصه على صلاة الضحى، وقيام الليل؛ فسبحان الله الذي جبل هذه القلوب على طاعته...!! وكم من المرات كنت أحاور نفسي وأسألها: ماذا نفعل لو تعطلت بنا السيارة في هذه الصحراء القاحلة...؟!! وحين لا أجد إجابة واقعية، أتوجه إلى الله تعالى بالدعاء بتيسير الأمور، وقد كان الله معنا ويسر لنا الأمور في كثير من المواقف.

كانت بداية الطريق إلى «كلابيت» مربكة بالنسبة لنا، فبعد مغادرتنا لقرية «كوبا أولانقا» بدأت الصحراء الحقيقية، وكان سبب الارتباك هو ضعف السيارة؛ لأنها تسير بالديزل، والبنزين أقوى، لذلك شعرت بالقلق خصوصاً أني لا أعرف ماذا ينتظرنا من رمال الصحراء...!! ومما زاد الطين بلة! أنه ومنذ غادرنا قرية «كوبا أولانقا» ونحن نسير دون طريق وإنما بالاتجاه، وحسب ما يوجهنا به الدليل «أبو عطا» الذي ركب معنا في المقعد الأمامي، والذي وصفه أهل القرية بأنه من أمهر الأدلة في الصحراء، وأنا في نفسي أقول: لعله يكون كذلك، وأسأل الله تعالى أن لا يجعل هلاكنا في هذه الصحراء عطشاً على يده، فقد مررت بتجارب كثيرة في تشاد، فأحيانا لا يقول من تسأله عن الطريق بأنه لا يعرف، وكم من مسافات قطعناها، ومستنقعات خطيرة في الجنوب والشرق خضناها في رحلات سابقة، واتضح لنا أن الدليل قد يكون فرحاً بركوب السيارة، والمشاركة في الأكل والشرب وقضاء وقت ممتع فيها وهو لا يعرف الطريق جيداً فنكون نحن الضحية...!!

قصة طريفة:

وهي مثال على ما ذكرنا من ادعاء البعض معرفة الطريق! ففي إحدى الرحلات إلى منطقة «كانم» كنَّا متجهين إلى عاصمتها مدينة «ماو»، والتي تبعد عن العاصمة 350 كيلو، والتي في غالبها طرق رملية صعبة. فأشار علينا الإخوة في مكتب مؤسسة المنتدى الإسلامي بأن يكون الأخ مصطفى رفيقنا ودليلنا إلى المنطقة. وعندما سألته للاطمئنان على مدى قدراته ومعرفته للطرق إلى تلك المنطقة أكد أنه سافر عدة مرات، ويعرف الطريق جيداً. فانطلقنا واثقين بعد الثقة بالله تعالى.

وعند وصولنا إلى مفترق طرق ترابية ورملية تردد فيها كثيراً فبدا علينا القلق والريبة، وبعد المسير مسافات طويلة سألته وقلت: يا مصطفى كم بقي على مدينة «ماو»...؟!! فقال: أربعون (يقصد أربعون كيلو متر) فقلت: الحمد لله اقتربنا من الوصول، وبعد المسير حوالي ربع ساعة سألته: كم بقي على مدينة «ماو» يا مصطفى...؟!! فقال أربعون، فالتفت إليه وقلت: يا مصطفى نحن منطلقين بسرعة

وقبل ربع ساعة قلت بقي أربعون...؟!! فكيف لم تتغير الأربعون...؟!! فأصر مصطفى على أنه بقي أربعين...!! فأكملت المسير وأنا متعجبٌ مذهولٌ...!! وسرت بالسيارة مسرعا صامتا لأكثر من نصف ساعة لعلنا نصل دون الحاجة لسؤال مصطفى مرة أخرى، ولكن عندما شعرت بأن الوقت قد طال علينا التفت إلى مصطفى وسألته وقلت: كم بقي على مدينة «ماو» يا مصطفى...؟!! فقال: أربعون، عندها صرخت في وجهه ضاحكاً، وقلت: يا مصطفى اتق الله...!! نحن الآن نسير ما يقارب الساعة وأنت تقول: بقي أربعين، وهل يعقل أننا وبهذه السرعة لم نتقدم ولو لكيلو متر واحد...؟!!

عندها ضحك وانفجر مرافقونا ضحكاً على الموقف، وأدركت أنه ليس دليلا ماهراً أو متمرساً، بل زار المدينة مرات قليلة، وهذا لا يكفي في مثل هذه الصحراء القاحلة والدروب والمسالك المختلفة والمتشابهة مع عدم وجود محطات أو سالكين لهذه الطرق إلا ما ندر!. وهذه بعض المعاناة مع من يدعي معرفة الطرق والمناطق. والحمد لله فقد وصلنا بعد مصاعب ومتاهات وضياع لساعات.

بدأت أتأقلم على قيادة السيارة المحملة بالمتاع والرجال بالإضافة إلى ضعف القوة والعزم مع كثافة الكثبان الرملية، وبدأنا نسير في منطقة يندر أو يكاد ينعدم فيها رؤية الرعاة، ولكن عوضنا الله تعالى برؤية قطعان الغزلان وهي من نوع الريم الجميلة التي تسلب ألباب هواة الصيد...!! ونستطيع أن نعرف مناطق تواجد الغزلان عن طريق نبات «الشَّري» الصحراوي، ويكون مخضراً حياً حيث تعيش الغزلان على هذا النبات.

وبعد مسافات من المسير أصبحنا نسير على أرض رملية منبسطة بلا مرتفعات، مما ساعدنا على قطع مسافات جيدة كان لها دور في رفع المعنويات، وبعدها ولله الحمد وصلنا إلى محافظة «كلاييت» التجارية.

محافظة «كلاييت» عبارة عن بيوت من الطين والقش وقليل من البناء المسلح، ومنها مخزن الغلال (الحبوب) للطوارئ، والمدرسة الابتدائية وهي من بناء المنظمة السويسرية للتعاون. وكثير من المؤسسات الغربية تتخذ من هذه الخدمات وسيلة للدعوة إلى النصرانية في عقر دار الإسلام والعروبة بتشاد.

وهناك قابلنا المسؤولين وأحد كبار شيوخ القبائل المشهورين، حيث عبروا عن فرحتهم بوصولنا، وبدا لنا من خلال حديثهم اعتزازهم بإسلامهم وعروبتهم المتصلة بأرض الحرمين الشريفين، ودورهم وآبائهم في مقاومة المستعمر وطرده ،ولم يخفوا أيضًا عتبهم على إخوانهم المسلمين الذين منّ الله عليهم بالخيرات لنسيانهم هذه المنطقة التاريخية، حيث لا توجد مشاريع لبناء المساجد، ولا غيرها من الأعمال الخيرية في هذه المنطقة، والتي ابتليت بكثرة الأيتام، وشراسة التنصير.

بين خطورة الضياع والتيه ومخلفات الحرب من الغام وذخائر لم تنفجر...!!

غمرنا أهل المنطقة بكرمهم، وعلى وجه الخصوص صهر رئيس دولة تشاد وهو شيخ قبيلة عربية، ثم غادرنا «كلاييت» وتحركنا في عمق الشمال أكثر باتجاه مدينة «فادا»، وهي قلعة من قلاع الشمال في منطقة بيتي [1] (B. E. T)، حيث قطعنا حوالي 200 كيل تقريباً، وهي المسافة الفاصلة بين «كلاييت» و «فادا»، أما مدينة «فادا» فتبعد عن العاصمة إنجامينا 1200 كيل تقريباً.

كان لزاما علينا أن نبحث عن دليل آخر يعرف تلك المنطقة الصحراوية بين المدينتين لوجود مشكلتين:

الأولى: هي أن أي انحراف عن الاتجاه الصحيح ولو بشكل بسيط يعني التيه والضياع والهلاك في صحراء ليبيا النادرة المياه والرعاة...!!

أما الثانية: فتكمن في مخلفات الحرب الليبية التشادية من الألغام المدفونة أو الظاهرة، والذخيرة الحية على سطح الأرض، تلك الحرب التي دامت ما يقارب الثلاثين سنة...!!

لقد دفن في صحراء تشاد الآلاف من شباب ليبيا وتشاد في معارك لم يكن من ورائها طائل؛ فقد شاهدنا على جانبي الطريق كَمّاً هائلا من الشاحنات، والمدرعات المدمرة، والألغام، والذخيرة الحية التي لم تنفجر، ناهيك عن الآليات الكثيرة التي غطتها الرمال، وكانت مناظر مؤلمة تقف كشواهد على الحصاد المر للحروب التي استنزفت خيرات الشعوب المسلمة بسبب الأطماع، والنزاعات على الحدود التي بذرها وأشعل فتيلها الاستعمار المقيت.

عندما انطلقنا من «كلاييت» حُمِّلنا أمانة من المسؤولين، وشيوخ القبائل إلى قيادة المملكة والمحسنين من أبنائها والخليج بطلب تبليغهم حاجتهم لبناء مسجد كبير من الإسمنت والحديد، بدلا عن المسجد الطيني القديم.

رشَّح شيوخ ووجهاء القرية رجلاً وذكروا أنه يعرف المنطقة التالية بشكل جيد، فحملناه معنا بالإضافة إلى (أبو عطا) وانطلقنا، وكانت الرمال تزداد وتشتد صعوبتها، إلاَّ أن انبساط الأرض ساعدنا على السير السريع فوقها إلى أن بدأ يظهر على سيارتنا أعراض الإنهاك من السير المتواصل في جو شديد الحرارة، حيث ارتفعت حرارة السيارة مما اضطرنا إلى السير ليلا رغم صعوبة ذلك على الدليل، وتجنب السير نهارا قدر المستطاع.

---

[1] اختصار لاسم المنطقة في أقصى شمال تشاد ويدخل في نطاقها مدينة «فايا».

الصورة بالأعلى: مخلفات الحرب الليبية السابقة ذخائر لم تنفجر وألغام بالطريق في الصحراء.

الضياع في هذا الوادي يعني الهلاك في صحراء ليبيا عطشاً

عند الساعة الثامنة مساءً كنا قد قطعنا مسافة لا بأس بها في زمن قياسي، وكنت على أمل كبير بقطع مسافة أطول، واستغلال ساعات الليل الباردة إلى ما بعد شروق الشمس وقبيل اشتداد حرِّها، وذلك للاقتراب أكثر من مدينة «فادا» ظهرا، لكن آمالي ذهبت أدراج الرياح، وذلك عندما فاجأنا الدليل الجديد بطلب التوقف عن المسير، وعندها سألت الدكتور حقار: ما الخبر...؟!! ولماذا نتوقف...؟! فطلب مني الانتظار ليستوضح الأمر من الدليل الذي نزل من السيارة ومشى على قدميه الحافية في اتجاهات مختلفة، يصعد التلال الرملية يمنة ويسرة، ثم نزل الدليل الآخر أيضا، وتحادثا طويلا، فظننت أننا قد أضعنا الطريق، وطال علينا الأمر، ولم يتكلم الدكتور إلى أن عاد الدليل، وتحدث معه طويلا، وأنا مشدود الأعصاب أتساءل:

ما الخبر...؟!! قال الدكتور: لابد أن نتوقف وننام في هذا المكان حتى الصباح، فاعترضت على هذا الرأي بشدة وقلت له: كيف تريدنا أن نقف ونضيع ساعات الليل الثمينة؟! فسيارتنا ستعاني من بعد طلوع الشمس من ارتفاع الحرارة، وسنتعطل كثيراً. إلا أن الدكتور أصر على التوقف

الصورة باليسار: جراحات السيارة تنزف. ارتفاع الحرارة وفوران ماء البطارية وتعطل الإطارات.

حسب طلب الدليل، ومن ثم أوّضح أن وجود آثار لسيارات ربما تكون لقطاع طرق بين الحدود التشادية والليبية، وقد تكون مصدر خوف لنا لو تابعنا طريقنا، ولذا لابد لنا من التوقف...!!

لم يكن كلامه مقنعًا بالنسبة إلي...!! فَعُدْتُ لإصراري على مواصلة السير، فعاد الدكتور يستوضح من الدليل مرة أخرى، فما كان من الدليل إلا أن نزل من السيارة وأصر على المبيت وعدم التحرك قائلا: إن شئتم مواصلة المسير فسيروا بدوني...!! تعجبت من كلامه وإصراره على المبيت...!! وطالبته ببيان وتفسير مقنع عن سبب التوقف، فقال: إننا الآن نقترب من واد يمتد عرضه خمسة كيلومترات تقريبا، فإن انحرفنا عن الاتجاه في هذا الوادي المتشابه المعالم ولو انحرافا بسيطا فمعناه دخولنا حدود ليبيا والضياع والهلاك عطشا في صحرائها القاحلة النادرة المياه. كما أن العلامات والكثبان الرملية متشابهة، ويصعب تمييزها ليلاً، وهذه المسافة من الوادي تغلب عليها الرمال الصيادة الخطيرة، وهي رمال ناعمة متحركة خطيرة تغوص بها إطارات السيارة بشكل سريع، ولذا لابد لنا من المبيت حتى لا تشتبه علي المنطقة وأعرضكم ونفسي للموت، وعلينا أن ننتظر الصباح فهذا أفضل.

بعد هذا الكلام لم أجد سبيلاً للتمسك برأيي واضطررنا لموافقته والمبيت برغم برودة الرياح الرملية ليلاً، وعدم وجود حواجز، أو أشجار تحمينا من الرياح. وقمنا بإيقاف السيارة في مكان مرتفع باتجاه الانحدار إلى أسفل التل الرملي، وذلك لأن بطارية السيارة أصبحت ضعيفة ولا تستطيع تشغيلها بعد إطفائها فنضطر لدفع السيارة بأيدينا، وهذا فيه مشقة كبيرة في منطقة رملية كهذه، فلذلك أصبح المنحدر مهماً جدًا بالنسبة لنا.

وقد كان النوم شاقا من شدة البرد، وحين استيقظنا لصلاة الفجر وجدنا الدليل «أبو عطا» قد أوقد النار للتدفئة، وجهز الشاي، وهو الذي كان أكثرنا حركة في الليل، حيث شعرت به عدة مرات ليلاً وهو قائم يصلي قيام الليل، لأنني لم أنم إلا القليل من شدة البرد، وكنت أشعر أحيانا وكأن مسماراً غُرِسَ في رأسي رغم تغطيتي له، لأنه كان باتجاه الريح، وحين شعرت بدفء النار نهضت واقتربت منها طلبا لدفء أكثر.

كانت ليلة شاقة، ومع ذلك فقد انطلقنا بعد صلاة الفجر سريعا حيث وصلنا لمنطقة الوادي الرملي المتشابه المعالم بعد طلوع الشمس وهذا يعني ارتفاع درجة حرارة الرمال مما يجعل السير فيها صعبا على السيارة، ولكننا واصلنا ولمدة أربع ساعات عبرنا خلالها هذا الوادي، وقد وقعنا في الرمال الصيادة رغم أن الدليل كان يسير في أحيان كثيرة على قدميه أمامنا ونحن نسير بالسيارة خلفه، وكان أحيانا يطلب منا التوقف، حيث ينطلق مهرولا على قدميه، ويصعد التلال الرملية في هذه المنطقة الخطرة في اتجاهات مختلفة لتقصي الاتجاهات ونوعية الرمال...!!

الصورة بالأعلى: الوصول إلى الماء بعد رحلة عطش طويلة والوصول إلى قرية وادي الدوم.

وادي الدوم مقبرة الآليات والمدرعات...!!

واجهتنا متاعب كبيرة في هذا الوادي، ولكننا بحمد الله عبرناه بسلام حتى وصلنا إلى وادي الدوم، والدوم هو نوع من الشجر المثمر يشبه في شكله النخيل. كما أن هذا الوادي الرملي قد أصبح أشبه بالمقبرة من كثرة الآليات المدمرة، والذخيرة الحربية الفارغة والحية التي لم تنفجر وخاصة قذائف الدبابات والمدافع الأرضية، حيث دارت في هذا المكان أشرس المعارك بين قوات الرئيس السابق لتشاد حسين حبري والقوات الليبية، وكانت هذه المعركة حاسمة، وأصبح وادي الدوم مقبرة للآليات والدبابات والمدرعات من كلا الطرفين.

تحركنا خلال الوادي بعد أن شاهدنا الطائرات الجاثمة على المطار الترابي الذي أقامته ليبيا بعضها مدمر، والبعض الآخر شبه سليم وبه بعض الأضرار...!!

نبع الماء يصارع الرمال (المنطقة لم تمطر منذ ٤٠ سنة..!!)

وعند وصولنا لتلك القرية الصغيرة جدا وهي قرية «وادي الدوم» القابعة في أحضان الوادي الرملي، لفت انتباهي ذلك النبع من الماء الذي يقاوم الرمال، ويخرج من الأرض ليتنفس الهواء الطلق ويشق طريقه في كبرياء وخيلاء وسط القرية الصغيرة متحديا شراسة الصحراء ورمالها، وذلك من بداية المساء الساعة الرابعة عصرا تقريبا إلى صباح اليوم الآخر من كل يوم، ومما زادنا عجبا ما قاله الدليل لنا: بأن هذه المنطقة لم تمطر منذ أربعين سنة! «سبحان الله»...!! لا تملك إلا أن تسبح الخالق...!! حيث تجد الماء في عمق الصحراء، ولم أكن لأصدق ذلك لولا أنني رأيته بعيني...!! «سبحان الله عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته» ..!!

إن قلة ذات اليد وضعف الإمكانات لم تمكن هؤلاء الناس من الاستفادة كثيراً من هذه الينابيع التي تجري على الأرض، اللهم إلا من الزراعة البسيطة جداً، والتي تساهم في سد رمقهم، وتفي ببعض حاجاتهم لعدم توفر الكهرباء وارتفاع أسعار الوقود.

عواء الذئب الصحراوي الأبيض يكسر سكون الوادي المظلم

بعد الوقوف على النبع العذب، والسلام على أهل القرية، والحديث معهم، وتجولنا فيها وذهولهم من زيارة هذا العربي المفاجئة! خرجنا منها بعد توديع أهلها الطيبين، وواصلنا المسير بقطع المسافات والفيافي، وبحلول الليل وصلنا إلى سلسة جبال كبيرة ممتدة على جانبي واد رملي، ومن هذا المكان الذي يخيم عليه السكون إلا من صوت ذئب جائع يعوي يلامس صداه أسماعنا، تعطل إطار السيارة...!! بادر إلي الدكتور قائلا: هذا الصوت هو عواء الذئب الأبيض المشهور في هذه الصحراء، والذي لا يستطيع التصدي له إلا بعض الفحول من ذكور الجمال القوية...!!

وجدنا مشقة كبيرة جدا في رفع السيارة لاستبدال الإطار، حيث الأرض رملية لينة لا تثبت عليها الرافعة، والإطار يغوص في الرمال كلما حاولنا الرفع مما اضطرنا للسير في الظلام الدامس على الأقدام باتجاه الجبال، لإحضار الحجارة ورصها تحت السيارة ، وبعد ساعات طوال تمكنا ولله الحمد من تغيير إطار السيارة، ومواصلة السير حتى وصلنا لمضيق صغير جدا بين جبلين، كأنه مدخل أو بوابة، كان وعر المسالك.

والغريب في الأمر أن الدليل قد شدد عليّ بالحرص على عدم الخروج من الطريق الترابي، وطلب مني السير على نفس آثار السيارات وحذرني من تجاوزها...!! لأن المنطقة توالت عليها زراعة الألغام من قبل الجهات التي تسيطر عليها، ولا توجد خرائط تبين مواقع الألغام، ومن يسيطر على هذا المدخل تكون المدينة تحت يده.

انتبه.. «خروجك من الطريق يعني الموت...!!»

تابعنا سيرنا بحذر شديد تمشيا مع توجيهات اللوحات التحذيرية على جانبي الطريق والتي تقول: «انتبه! إن خروجك عن الطريق يعني الموت»...!! حيث أشار الدليل إلى شاحنة بجانب الطريق محترقة لم يبق منها إلا جزء من الهيكل الحديدي قائلا: انظر لهذه الشاحنة، فلقد كانت مليئة بالناس وخرجت عن الطريق فَمَرَّت على لغم أرضي دمرها ومات من كان بها «قلت الله يحفظنا»، وسرنا بحذر شديد.

وقد حاولت بعض المنظمات الغربية نزع الألغام ولكنها لم تتمكن من نزع ألغام هذه المنطقة لعدم وجود خرائط لمواقع الألغام، وهذا مخالف للقانون الدولي الذي يلزم الدول المتحاربة بالاحتفاظ بخرائط زراعة الألغام، وذلك لنزعها بعد توقف الحرب. ولكن الزراعة العشوائية لهذه الألغام، وعدم وجود الخرائط تسبب بهلاك آلاف البشر، وهذا ما حدث لكثير من شعوب وقبائل هذه المنطقة الصحراوية من الرعاة والمسافرين وغيرهم ممن ذهبوا ضحية لهذه الألغام.

أطفئ النور حتى لا تتعرض إلى إطلاق النار...!!

عبرنا هذه المنطقة بسلام - ولله الحمد - إلى مدينة «فادا» التي بدت وكأنها قلعة ومعقلاً حصيناً بين هذه السلاسل الجبلية المؤدية إلى المدينة فتبقى بعد فضل الله تعالى في حماية طبيعية. والملفت للنظر هو ذلك الحذر الشديد عند نقاط التفتيش وجاهزيتهم لإطلاق النار في أي لحظة حيث حذرنا الدليل، وأرشدنا إلى ضرورة التوقف من بعيد وإضاءة النور الداخلي لطمأنة رجال الأمن عند نقاط التفتيش، لأن هناك حركة تمرد ضد الحكومة التشادية ويتمركز المعارضون لها في جبال «تبستي» في أقصى الشمال على الحدود مع ليبيا والنيجر. ومدينة فادا مهمة فلو وقعت بيد المعارضين فسوف تشكل خطورة على الشمال كله، وعندها زال استغرابنا من حرصهم الشديد رغم ظهور احترامهم وفرحهم برؤية هذا العربي والزّي الخليجي في تلك المناطق المجهولة لدى كثير من دعاة ومثقفي العالم العربي والإسلامي.

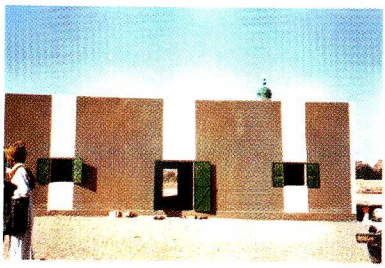

الصورة باليمين: أحد مشاريع الخير في قلب الصحراء مركز إسلامي في مدينة فدا، بتمويل مؤسسة عيد الخيرية بدولة قطر الشقيقة.

الصورة بالسار: مسجد فدا.

افتتاح المركز الإسلامي

حين وصلنا إلى فادا كان الوقت ليلا، فتوجهنا للمركز الإسلامي الذي بني بتمويل من مؤسسة عيد آل ثاني الخيرية القطرية «رحم الله الشيخ عيد آل ثاني رحمة واسعة وجعل منازله في أعلى عليين ورزقه بر أبنائه وهم خير خلف لخير سلف بإذن الله تعالى. وجعل ما قدم من عمل خير نوراً يضيء له قبره، ويفرج له كربه، ويشرح له صدره ويعلي منازله في الآخرة» وأشرف على بنائه مؤسسة المنتدى الإسلامي ويتكون من (مسجد ومدرسة ومكتبة ومصلى نساء).

كان التعب قد بلغ منا مبلغه فنمنا في المركز، وفي الصباح قابلنا المسؤولين ومنهم العمدة، ونائب المحافظ والوجهاء، حيث عبروا عن فرحتهم لرؤية الوسيط الذي كان سببا في بناء أول مشروع خيري في الشمال، كما عبروا عن شكرهم لحكومة وشعب المملكة ودولة قطر الشقيقة، علماً بأننا قد أحضرنا معنا فرشا للمسجد وجهازاً وسماعات للصوت وذلك لرفع الأذان في المدينة.

التماسيح الصحراوية الضخمة النادرة...!!

الصورة بالسار: مشكلات طريق في الطريق الى كهوف التماسيح.

وفي الساعة الحادية عشرة صباحا انطلقنا إلى كهوف «وادي أرشي»،حيث تعيش التماسيح الصحراوية الضخمة النادرة في ينابيع هذه الكهوف، فقد سبق أن شاهدت تقرير الصحفي والباحث الفرنسي المشهور «جان كلود بيسون» عن هذه الكهوف وتماسيحها في إحدى المجلات الفرنسية، حيث مكث هناك ستة أشهر للدراسة

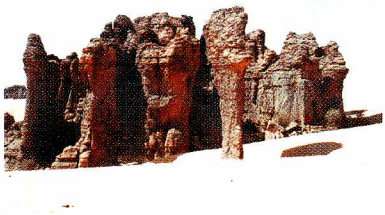

الصورة باليمين: بداية المدخل لوادي الرعب، قطع جبلية في الطريق إلى أرشي.

الصورة باليسار: تشكيلات صخرية غريبة في وادي الرعب.

البحثية عن هذه التماسيح النادرة الموجودة في عمق الصحراء...!! ثم قام بعدها بنشر كتابه، وذكر فيه أنها من فصيلة التماسيح الصحراوية الضخمة النادرة، حيث يبلغ طولها ثلاثة أمتار ونصف، كما قام بإجراء أبحاث على بيضها وحياتها وسلالتها...!! كان الموضوع عندي أشبه بأسطورة خيالية...!! فهل من المعقول أن توجد ينابيع وكهوف في قلب هذه الصحراء القاحلة...؟!! ناهيك عن وجود التماسيح في هذه الصحراء...؟!! لكنها عظمة الخالق وقدرته...!!.

عبور وادي الرعب...!!

كانت انطلاقتنا إلى الكهوف الساعة الحادية عشرة قبل الظهر عبر وادٍ رملي صعب يقع بين جبال غريبة جدا...!! ولم تمكننا ظروف الطقس الحار، وصعوبة السير، والخوف من تعطل السيارة، وارتفاع حرارتها من تصوير الكثير من أشكاله الغريبة. فقد كانت قيادة السيارة في هذا الوادي صعبة جدا، وتحتاج لمجهود كبير بسبب حرارة الشمس وليونة الرمال.

ومن العجيب أنك حين تنظر يمينا أو شمالا ترى سلاسل جبلية على شكل أناس مجتمعين، أو شكل أشجار، أو قمة جبل على هيئة رجل جالسٍ وقد مد ذراعيه، وقد ترى صخرة ممتدة رأسيًا كالقلم وترى فوقها صخرة كبيرة كالكرة! «سبحان الله» من ركّبها...؟!!

الصورة باليمين: بداية المدخل في وادي الرعب في الطريق الى الكهوف التماسيح.

الصورة باليسار: تمبع أرشي.

الصورة بالاعلى: الابل تتوافد إلى كهوف التماسيح للشرب.

ثم وقعت عيني على منظر هالني فتوجهت بالسؤال لصاحبي الدكتور/حقار قائلا: من بنى تلك الخزانات الدائرية للمياه...؟!! فضحك الدكتور مستغربا وقال: أهي خزانات...؟!! لا يوجد هنا أي مشاريع، ولا يوجد إلا بعض السكان من رعاة الغنم والإبل...!! وعندما دقق الدكتور في النظر...!! قال: والله لقد صدقت فهي تبدو كخزانات مياه «فسبحان الله خالقها»...!! اتفقنا وبعد ما رأينا في هذا الوادي من عجائب وغرائب على أن نسميه بوادي الرعب، حيث يصلح بأشكاله الغريبة لأفلام الرعب والأشباح بما يحويه من جبال حمراء غريبة الأشكال والتراكيب، وربما تسبب رعب ذلك الوادي بتجاوزنا الطريق المقصود بأربعين كيلاً ضائعين لبضع ساعات. ولكنا بعد سؤال بعض الرعاة رجعنا للطريق الصحيح.

الصورة باليمين: في الطريق إلى كهوف التماسيح مع أحمد عبادة والدليل أبو عمنا والدكتور حقار.

الصورة باليسار: فوق احدي التلال الجبلية في الطريق الى كهوف التماسيح.

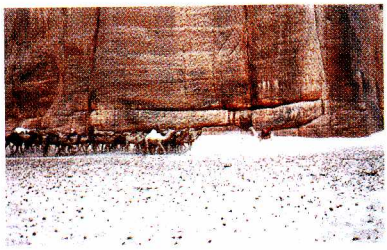

الصورة باليمين: مدخل كهوف أرشي.

الصورة باليسار: الإبل تتوجه للدخول الى كهوف أرشي (كهوف النباسيح) للشرب منها.

ولم نأسف على شيء مثل أسفنا على عدم التصوير بالشكل المطلوب لصعوبة التوقف في تلك الرمال الحارة فقلنا لعلنا نعود عصرًا ونتمكن من التصوير بشكل جيد عندما تخف حرارة الشمس، ولعلنا نحظى ببعض ما حظي به المصور والصحفي المشهور «إف دوج» وهو الآن رئيس المجموعة البرلمانية الاشتراكية في البرلمان الفرنسي الذي زار هذا الوادي وكهوف أرشي، حيث باع بعض هذه الصور بعشرين ألف فرنك فرنسي حسب ما ذُكر لنا.

المرور على السلطان مالك الكهوف

صورنا بعض المشاهد ووصلنا إلى مداخل وادي كهوف أرشي، حيث كانت مئات من الإبل والأبقار متجهة إلى المدخل الكبير في منظر مذهل وجميل، وذلك للوصول إلى مياه الكهوف والشرب منها

الصورة باليمين: التوقف للراحة حراحات لسيارة تتزف.

ثم العودة...!! وهكذا، وقد نبهنا بعض الرعاة بأنه لا بد من المرور على السلطان مالك الكهوف والاستئذان منه للدخول والتصوير.

وظهر لنا أن هناك رسوماً للدخول إلى هذه الكهوف.

كانت رمال الوادي صعبة جدًا، ومررنا على بيت القش المنصوب على الطريق الرملي ولم نر أحدا. وأيضا كان التوقف في الرمال صعباً فواصلنا السير وكلنا شوق لرؤية هذه الكهوف!

بدأ الوادي في انحدار مستمر، وبدا على جانبي الوادي جبال مرتفعة بها شقوق كبيرة، وبدأ يضيق تدريجيا فإذا بنا في مدخل كهوف أرشي. وفي هذه اللحظات المدهشة والتاريخية بالنسبة لي...!! رجعت بي الذاكرة لتلك المجلة الفرنسية التي فيها صور هذه الكهوف والتي حرص الدكتور حقار على إحضارها لي من فرنسا لأصدق ما كان يتحدث عنه من كهوف بها ينابيع في قلب الصحراء القاحلة، وعن التماسيح التي تعيش في داخل مياه هذه الكهوف «سبحان الله»...!!

لحظات صمت وذهول كانت تنتابني حين دخلنا...!! فقد كان ارتفاع الجبال يمينا وشمالا على شكل حائط مرتفع بما يقارب مائتي متر أو يزيد، وبدأنا بالدخول بهدوء حتى لا تفزع قطعان الإبل والأبقار، عندها تذكرت قول الله تعالى: (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) سورة الغاشية: من الآية 17 فقد بدت لنا الإبل جميلة وبصحة جيدة وكبيرة الحجم، وذلك ربما لتوفر الأشجار بشكل كبير في هذا الوادي، وفي نفس الوقت كانت نظرات الاستغراب والتعجب من قبل الرعاة تلاحقنا حيث يبدو أن لباس الرجل الأبيض (كاتب السطور) لا يشابه لباس الرجال البيض الذين يأتون دائما (الأوروبيين من الباحثين والسياح والمُنَصِّرين).

لقد كان منظر الارتفاع الشاهق للجبال بشكل شبه مستقيم والصقور تحلق وتحوم في أعلاها مثيرا جدا، وأيضا الشقوق الكبيرة في هذه الحوائط الجبلية، وذلك الكهف الكبير الذي يتسع لطائرة متوسطة الحجم، وغدير الماء الممتد بما يشبه الدهاليز الكبيرة المكشوفة كانت مناظر مدهشة جميلة تسرق لباب العقول.

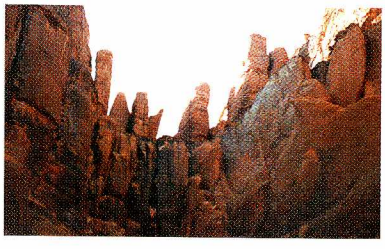

الصورة باليمين: الينابيع داخل الكهوف.

الصورة باليسار: كهوف أرشي، كهوف التماسيح) جبال أرشي.

الصورة بالأعلى: أبو الوليد معتاداً نحلب البرزن في الماء البارد دخولها من التماسيح دون مقاومة.

هل يوجد تماسيح لا تأكل البشر...؟!!

لقد استمتعنا بهذه المناظر كثيراً وما كان حلمًا بالأمس بالنسبة لي أصبح اليوم حقيقة. وبينما نحن بجوار الغدير طلب مني الدكتور أن أرافقه للينابيع الصافية عن طريق الخوض في الماء الذي كان أوله عبارة عن وحل ملوث من كثرة المواشي من الإبل والبقر والضأن التي تشرب منه، فضحكت وقلت له مستنكراً: يا دكتور هذا ضرب من الجنون، وأعتذر عن ذلك لأنني لم أفقد عقلي بعد...!! كيف تريدني أن أخوض في ماء مليء بالتماسيح...؟!! فأجابني مبتسما بأن ابن سلطان الكهوف هنا يقول: بأن التماسيح لا تأكل الإنسان. قلت : وهل يعقل يا دكتور أن التماسيح لا تأكل الإنسان...؟!! وقد أكد لنا شاب بجوارنا كان يستمع لحديثنا أنه دخل مرارا، وأن هذه التماسيح فعلا لا تأكل الإنسان...!! قلت للدكتور: أرجو أن لا يتسبب فضولك كباحث ومؤرخ ورحاله بإلقاء نفسك للهلاك، فما أسوأها من ميتة بين أسنان التمساح

الصورة بالأسفل: المحل للكهوف وبجانبه نحلب النزول في الماء دون خوف.

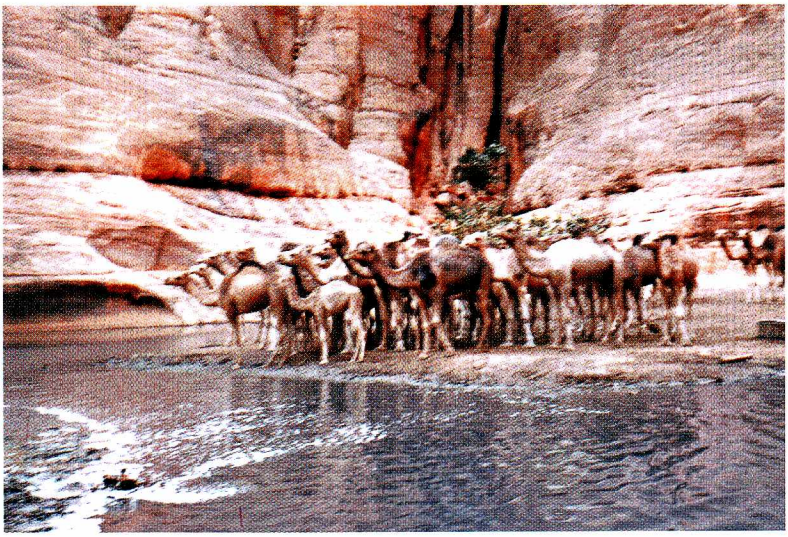

الصورة باليسار: الأدل تستعد للشرب من بيع أرشي.

القاتلة...!! فضحك الدكتور وبدأ بخلع ملابسه للدخول وأنا أناديه بأن لا يفعل، ولكنه غاب عن ناظري في المدخل الملتوي.

دعوت الله من قلب صادق بأن يحفظه لأن الأمة بحاجة لأمثاله، وسلمت الأمر لله، وبدأت أصور المشاهد، وما هي إلا دقائق حتى ظهر الدكتور حقار من المدخل راجعًا...!! فكانت سعادتي بعودته سالما كبيرة، وفرحتي غامرة، وعندما وصل إلينا قال: إن الماء بدا غزيرًا وباردًا جدًا، فرد ابن سلطان الكهوف قائلا: أنا أدلك على طريق جيد وليس غزير الماء.

فعزم الدكتور على المسير خلفه مع صاحبنا أحمد عبادة وأبو عطا، فقلت في نفسي: كيف أقطع هذه المسافات الشاسعة ولا أصل للينابيع الصافية ولا الكتابات القديمة التي وصلها الأوروبيون، وقد أندم بعد رجوعي حيث لا ينفع الندم فمسكت بأطراف ثوبي ورفعته و تبعتهم بصحبة المصور «خالد زاكي الدين».

ومنذ أن وضعنا أقدامنا في الماء شعرنا ببرودة شديدة جدا كنَّا نتحملها بصعوبة، وربما كانت هذه البرودة نتيجة لاستقامة الجبال وارتفاعها ووقوع المياه في الظل. وقد تمكنت مع ابن السلطان من تجنب الخوض في الماء في بداية الطريق بواسطة تسلق بعض النتوءات في الجبل وساعدنا في ذلك خفة الوزن، أما الدكتور والأخ أحمد والمصور فاضطروا للخوض في المياه منذ البداية. وحين وصلنا

لمضيق حيث لا مفر، اضطررنا للخوض في المياه والنزول فيها، والدليل أمامنا يرشدنا لمواضع الأقدام حتى لا نقع في المياه الغزيرة، ثم توجهنا للصعود في نتوء بالجبل، ثم النزول بشكل كبير بعد أن ضاق مع الانحدار، فنزل الدليل أولا وطلب منا الالتزام بالتعليمات، وكنا نتبادل النكات في شأن التماسيح، فبدأ الدكتور حقار بالنزول أولا، ووضع قدميه في الماء والدليل المتقدم يوجهه لمواقع وضع الأقدام مع الالتصاق بالجبل لكن الدكتور لم يستطع الحفاظ على توازنه مما أدى لسقوطه في الماء البارد، فلقد كان يعاني من كسور قديمة في الحوض والفخذ من جراء حادث سيارة.

الفقاعات الهوائية تعني قرب التماسيح

الصورة باليمين: داخل كهوف أرنبي (كهوف التماسيح) في البدانة.

الصورة باليسار: بداية النزول في مياه الكهوف الباردة لاحظ في اليمين فقاعات هواء تدل على تماسيح نمساح

حين سقط الدكتور كانت الفقاعات الهوائية على سطح الماء ليست بعيدة عنه مما يعني قرب التماسيح! والحمد لله، فقد كان الدكتور بخير، لكن المصور لم يصور المشهد الطريف عند سقوط الدكتور وهو يسبح في الماء، ثم جاء الأخ أحمد عبادة وكان طويل القامة ونزل في الماء واتبع التعليمات وخرج بسلام، ثم جاء دور المصور خالد زاكي وأخذت الكاميرا منه، وبدأت أصوره وأمازحه، فقلت له أثناء نزوله بحذر شديد: انتبه يا خالد زاكي...!! وانظر عن يمينك فها هي أنفاس التمساح تخرج على شكل فقاقيع على بعد ثلاثة أمتار...!! نظر والخوف باديا عليه، فنصحته بأن لا ينزل قدميه الاثنتين دفعة

الصورة باليمين: الأبل تعبر داخل الكهوف للشرب من المياه المتسللة، ويبدوها بلون الأكدر.

الصورة باليسار: بداية مياه الكهوف التي تحولت الى أوحال من كثرة الأبل والأبقار والماشية.

الصورة بالأيمن: المصور خالد زاكي عند الينابيع الصافية داخل الكهوف.

واحدة حتى لا يقضمها التمساح، بل ينزل واحدة وينتظر فإذا قضمها التمساح فتبقى له واحدة خير من أن تذهب الاثنتان معًا، فضحك ضحك المكروب، و نزل بحذر واتبع تعليمات الدليل ومر بسلام!

ثم جاء دوري ونزلت إلى الماء بحذر، ووصلت قدمي تحت الماء بالمواقع التي أرشد إليها الدليل مع الالتصاق من جهة الصدر بالجبل، وكان الماء يصل إلى الحوض، وكاد أن يختل توازني لولا لطف الله، ومررت بسلام ولله الحمد، ولو زلت القدم لغمرت المياه جميع الجسم، ثم واصلنا المسير حتى وصلنا الينابيع الصافية، فاستغل الدكتور الوضع وبدأ بالاستحمام في هذه الينابيع، فقد مضى سبعة أيام لم تمس بشرتنا المياه إلا للوضوء في حال توفرها، توضأنا من هذه الينابيع، ورفعنا الأذان الذي تردد صداه بين جبال هذه الكهوف الشاهقة وصلينا الظهر والعصر جمعًا وقصرًا، ورأينا بعض الرسومات والكتابات القديمة، وبعد الصلاة كان ذهني مشغولا بسؤال حير فكري، فلم يكن مستساغاً في عقلي تلك المعلومة التي تقول: إن تماسيح هذه الكهوف لا تأكل البشر فبادرت الدكتور متسائلا بطريقة تجمع بين التعجب والاستنكار وقلت له والآخرون يسمعون:

يا دكتور...!! لا أستطيع أن أصدق أن التماسيح لا تأكل البشر وخاصة إذا كانت بهذا الحجم والضخامة...؟!! هز الدكتور رأسه مع ابتسامة تخفي ما وراءها من التعجب...!! ثم كانت المفاجأة غير السارة والتي نزلت على مسامعنا كالصاعقة حين تكلم ابن مالك الكهوف معقباً على كلامي وتساؤلي، حيث قال: نعم إنها لا تأكل البشر، ولكن أحياناً تخرج بعض الإبل التي جاءت لتشرب الماء

بدون قدم (أي أن التماسيح تقضم أقدام الإبل) وأحيانا تفترس بعض الأكباش (أي تأكل بعض الخراف التي تقترب من الماء لتشرب).

حينها ساد صمتٌ مصحوبٌ بالذهول من الصدمة، وخيم علينا الخشوع، وغشيتنا السكينة، وكان الموقف يعبر عنه تلك النظرات التي كنا نتبادلها مع الدكتور ثم انطلق لساني بالحوقلة فقلت: حسبنا الله ونعم الوكيل، وهل من العقل أن نصدق أن تلك التماسيح التي تقضم أقدام الإبل وتفترس الأكباش لا تأكل البشر...؟!! إن هذا والله هو الجنون بعينه...!! فقلت للدكتور: هيَّا نخرج من هذه الكهوف حيث لابد من الخوض في المياه قبل مغيب الشمس ولا داعي للتعمق في داخل الكهوف...!! ولم نكمل المسير إلى داخل الجبال حيث الكتابات التي يقصدها الباحثون بشكل أكبر، وذلك لقرب حلول الظلام فكان لا بد لنا من الرجوع فالتماسيح عادة تخرج عند الغروب وفي الصباح الباكر.

وعندما كان الدكتور حقار مختفيا بين أشجار القش يغتسل جاءنا يضحك حيث تعجل في الاغتسال لأنه بدأ يسمع نخير التمساح في المياه بين القش وذلك قبل سماعه بقصة الأكباش والإبل...!! فقلت: لعلنا نرجع ونخرج من الكهوف قبل حلول الظلام.

الصحراء الكبرى وتجارب المستكشفين

منطقة شمال تشاد منطقة لها أهمية كبيرة، وتدخل في نطاق الصحراء الكبرى التي يبلغ عرضها آلاف الأميال والتي تعتبر بحق من أعظم الصحاري مساحة في العالم، وتتميز هذه الصحراء بجفافها وشدة حرارتها، ولهذا يقل فيها عدد الواحات والآبار.

ومناخ الصحراء الكبرى جاف يمتاز بالبساطة، ويحول امتداد سلاسل جبال أطلس بين الرياح المطيرة التي تأتي من البحر الأبيض المتوسط وبين المدخل الصحراوي، وفي بعض أرجائها يكون شيء من النضرة والخضرة، ولكن هذا لا يرجع إلى غزارة الأمطار بل إلى قدرة الأرض على الاحتفاظ بالماء على مستوى قريب لعدم مسامية الطبقات.

وعلى العموم يعتبر اجتياز الصحراء الكبرى من المشاق نظرا لندرة المياه ولاطراد التضاريس المتشابهة فيها وإملالها، وفي القديم كانت الصحراء أكثر خصوبة وأكثر سكانا نسبياً.

ومن القبائل التي تسكن الصحراء الطوارق والتيبو، ويدخل تحت التيبو قبائل القرعان والبدايات والكانمبو... وغيرهم.

وفي الخمسينيات من القرن العشرين كان العلماء قد تنبؤا بوجود رواسب بترولية كبيرة، كما توقعوا وجود الغاز والمعادن، والدليل على ذلك أن شركات البترول من الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا قد بدأت التنقيب عن البترول قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية، ففي خلال عامي 1955، 1956م وجدت حقول بترولية كبيرة في الصحراء، فقد أصبحت هذه الصحراء واحدة من مناطق إنتاج البترول الرئيسية في العالم.

الصحراء الكبرى مقبرة كثير من المستكشفين والمُنَصِّرين من الغربيين، إما الموت قتلاً من أبناء تلك القبائل التي ترى في هذا الرجل الأبيض الذي وطأت قدماه ديارهم الخطر، لأن قدوم هذا الغريب لديارهم لا يبشر بخير، وتاريخهم العدائي معروف. وإما ماتوا عطشا بعدما تاهوا في مجاهيل هذه الصحراء ومتاهاتها.

ومنذ أن عزم الكاردينال لافيجيري «cardinal lavigerie» وهو أسقف كاثوليكي روماني على تأسيس سلسلة من المراكز الدينية التنصيرية في واحات الصحراء لكي يعمل فيها الآباء البيض للتنصير، بدأ بإرسال هذه المجموعات من المبشرين ولكن اغتيلت الأولى منها عام 1876م.

وبعد تسع سنوات مات أكثر من ثلاثة مُنَصِّرين، ثم كان آخرهم الأب القسيس «تشارلس دي فوكولد» الذي حزنت أوروبا على قتله على يد أحد رجال الطوارق.

وهذا هو المستكشف الاستعماري «هنريش بارث» الذي تاه في رحلته في الصحراء الكبرى بعدما ضل طريقه، وبعد فترة من المسير نفد منه الماء، وسقط على الأرض وهو شبه فاقد الوعي، ولكنه نجح في تجنب الخطر بسبب قطع أحد شرايينه وشرب من دمه وبقي على قيد الحياة فترة !! وبعد فقده الوعي وجده أحد رجال الطوارق والذي حمله ثم أرسله إلى أصحابه.

أما المسز «تينيه» وهي مستكشفة هولندية فقد هاجمها بعض رجال الطوارق، وقطعت يدها وظلت تنزف ببطء تحت حرارة الشمس في الصحراء حتى فارقت الحياة عام 1869م.

وعندما هرب «منجو بارك» من الأسر ومشى في الصحراء تحت حرارة الشمس الحارقة فرأى غلامين يرعيان الماعز فسألهما عن الماء، فأرياه القرب خاوية وأخبراه بعدم وجود مياه، مما اضطره إلى أن يحث الخطى عله يجد بعض الأماكن التي توجد بها مياه قبل حلول المساء فيصف حاله فيقول:

إن عذابي في هذا الوقت كان لا يطاق إذ جف فمي والتهب، وظللت عيني قتامة سوداء، وانتابني دلائل اليأس، ونال التعب من حصاني كثيراً، وبدأت أدرك أنني هالك من العطش لا محالة! وحتى أخفف الألم الذي يشبه النار في فمي وحلقي مضغت أوراق الشجيرات المختلفة ولكنها كانت شديدة المرارة ...!! إلى أن سقط مغمى عليه فأنقذه أحد رجال الطوارق.

خاطرة: المستكشفون الغربيون الأوائل لأفريقيا وتضحياتهم...!!

في أثناء وضع اللمسات الأخيرة على مسودة هذا الكتاب حصلت بحمد الله على كتاب في مخزن مكتبة قبطية قديمة في جمهورية مصر الشقيقة يعلوه الغبار لطالما بحثت عنه يتحدث عن المستكشفين الغربيين الأوائل لقارة أفريقيا وتضحياتهم وإنجازاتهم، والكتاب بعنوان: «مكتشفو أفريقيا» [1] تأليف الكاتبة «جوزفين كام»، وترجمة وتقديم وتعليق الدكتور «السيد يوسف نصر».

شعرت وأنا منهمك في قراءة هذا الكتاب الذي يقارب 440 صفحة، وأيضا كتاب «كشف القارة الأفريقية» للدكتور «زاهر رياض» بأن هناك شيئا ما بداخلي يحاول دفعي لتغيير مسار حياتي، لقد عشت وأنا أقرأ هذين الكتابين خلال أيام مشاعر تتزاحم في داخلي رغم البون الشاسع بين هذه المشاعر وتضادها فمثلا: أحيانا وأثناء الاستغراق في قراءة مغامرة أحد المستكشفين مثل جيمس بروس أو القس «ديفيد ليفنجستون» أشعر وكأني أشاهد عرضاً حياً لفيلم يجسد شخصيات أعضاء الرحلة الاستكشافية، وأجد نفسي متعاطفا مع أحداثها خائفا على مصيرهم من المصاعب والأهوال، سواء من الحيوانات المفترسة، أو القبائل الهمجية حسب وصفهم والمتوجسين من هذا الرجل الأبيض الذي وطأت قدمه أوطانهم ومنهم أكلة لحوم البشر...!!

وما هي إلا لحظات وأرجع إلى نفسي وأتذكر أهداف هؤلاء المستكشفين وأدرك أنها ليست حباً في هؤلاء الأفارقة، وإنما كانت سبباً في هلاك عشرات الألوف بل الملايين من شعوب القارة الإفريقية المساكين، واستعباد واسترقاق الكثير منهم في أوروبا واستغلالهم في أعمال السخرة الشاقة. والمحصلة النهائية هي الاستيلاء على بلدان هذه القارة والسيطرة على قبائلها ونهب ثرواتها والترف والثراء لأولئك الأوروبيين على حساب هؤلاء المساكين ردحا من الزمن.

ودارت جهود هؤلاء المستكشفين حول ثلاثة أهداف:

هدف شخصي لتحقيق مجد وشهرة وإثبات الذات .

هدف وطني لتحقيق الكسب الاقتصادي، وفتح أسواق جديدة، والسيطرة على ثروات الأفارقة لتنعم الدولة الأوروبية للمستكشف بالثراء والسيطرة الاستعمارية مثل المستكشف الإنجليزي «جيمس بروس».

هدف ديني وهو نشر النصرانية، والسعي لمد نفوذها لأراض جديدة. وهذا أيضا خلفه بعد اقتصادي استعماري مثل القس «دافيد ليفنجستون».

---

[1] مكتشفو أفريقيا. جوزفين كام. ترجمة وتعليق السيد يوسف نصر. ط1. الإسكندرية. 2007م.

وقد تجتمع الأهداف كلها أو بعضها بحسب تكوين شخصية المستكشف. والملاحظ أن غالبية هؤلاء المستكشفين من الإمبراطورية البريطانية والتي كانت تسمى العظمى سابقا، والتي بدأت في ذلك الوقت (في القرنين السابع عشر والثامن عشر) تفقد نفوذها فتوجهت لأفريقيا لفتح أسواق لصناعاتها الناشئة في تلك الفترة، وللحصول على الثروات والمواد الخام التي تنعم بها القارة الأفريقية.

وباختصار، فإن حركة الكشوف الجغرافية كانت في ظاهرها كشف جغرافياً ولكن الحقيقة التي ظهرت فيما بعد بأن هذه الكشوف ما هي إلا تمهيداً للاستعمار الأوروبي الحقيقي للقارة الأفريقية، والتي تسمى مرحلة النهب الاستعماري لموارد هذه القارة، حيث انتهى التكالب الأوروبي على هذه القارة بعقد مؤتمر برلين عام 1885م، حيث تقاسمت الدول الأوروبية (فرنسا، بريطانيا، ألمانيا، إيطاليا، البرتغال، بلجيكا) القارة الأفريقية وثرواتها.

ولكن الشيء العجيب هو قدرة هؤلاء على الصبر والثبات والتضحية من أجل مبادئهم وأهدافهم المختلفة من وراء الكشف لمجاهيل هذه القارة، فكثير من المستكشفين لم تتجاوز أعمارهم سن الأربعين، بل إن الكثير منهم قد مات أو قتل في أفريقيا. وقد ضمت أفريقيا الكثير من الرواد والمستكشفين إلى جوفها وابتلعتهم واحدا تلو الآخر. وكانت أمراض «الملاريا» و«الدوسنتاريا» سبب هلاك الكثير من هؤلاء المستكشفين، كما أن «دودة غانه» الرهيبة التي تسمم المياه والمستنقعات النهرية تسبب جراحاً مؤلمة في السيقان لمن لا يصيبه الموت، وكان هذا المرض يقضي على الساق بعد أن يتلفها تماما.

وقد هلك القس «ليفنجستون» من الأمراض وخاصة «الديسنتاريا». وأيضا المستكشف «كلابرتون» عانى من الصراع مع المرض حتى مات. والمستكشف «منجوبارك» فقد حياته في منطقة شلالات «بوكا» في نهر النيجر. وأما «افرويج» ففقد عقله وأصبح مختلاً عقليا في رحلته حول بحيرة تشاد حتى مات هناك...!! ومرض المستكشف المشهور «سبيك» جسمانيا وعقليا، ومنهم من أصابه العمى...!!

وأما حملة المستكشف الشهير «بيكر» وزوجته «لورانس» التي كان يرافقها حرس يبلغ عددهم ثلاثمائة رجل فإنهم تناقصوا يوما بعد يوم حتى لم يبقَ حيا منهم في نهاية الرحلة إلا اثنا عشر شخصا فقط! حتى إن فلورانس زوجة «بيكر» غرقت في المستنقعات المائية التي عبروها ولم يتمكن زوجها من حملها، بل سحبها بشعرها لصعوبة حملها، فبقيت أياما وهي محمولة في شبه غيبوبة.

أما الرَحَّالة المصري القديم واسمه «خوف حر» فقد وصف إحدى رحلاته في أحد أنهار شرق أفريقيا وقال: «عندما هبت الرياح من الصحراء فتكسرت أشرعة إحدى السفن واصطدمت بصخرة وتحطمت، فسارعنا إلى الرجال وألقينا إليهم الحبال بسرعة، وكانت سببا في نجاتهم إلا ثلاثة رجال كانت التماسيح أسرع منا إليهم فالتهمتهم»! وفي هذا دلالة على شدة المخاطر في تلك الرحلات.

شهادة المبشر «المسيو فور» على مخططات البعثة الإنجيلية

ونختم بالقول إن هذه التضحيات التي ادعى الغرب بأنها لإدخال الحضارة إلى القارة الإفريقية إنما هي للمصالح الاستعمارية الغربية فقط. ونورد هنا شاهداً على مخططات البعثة الإنجيلية في بلاد «الغابون أو الكنغو الفرنسي» وهو المُنَصِّر «المسيو فور» وعن دور هذه البعثة فيقول:

«إن الأوروبيين قد جنوا على السلالة السوداء جنايات كثيرة لا مندوحة لهم من التكفير عنها. فإذا كانت أمم «المنبونغوي» و«الغالوه» و«النكويه» [1] وغيرها قد انقرضت أكثرها، فما ذاك إلا لكون النخاسين البيض كانوا يصطادون أبناء هذه الأقوام ويستعبدونهم ويبيعونهم، ولكون أكثر أرباح التجار البيض هي من تجارة السلاح والبارود والمسكرات، وبالآخر فليقل الحقيقة وهي أن الزنا مع ما يجره من الأمراض التي كادت تفني هؤلاء الزنوج، إنما فشا فيهم بواسطة الأوروبيين، ولَكَمْ من جُرم جَرَّه الأوروبيون بين هؤلاء السود البؤساء، ومما لا نقدر أن نكابر فيه هو أن الاستعمار العصري إن هو إلا استغلال المستعمرات وأهلها، بأي وجه كان.

فمسؤلية أوطاننا من هذه الجهة باهظة ولا سبيل لإنكارها... ولنتذكر أن مئات الآلاف من هؤلاء الأهالي لبوا نداء بلادنا في الحرب الكبرى، وقُتلوا في سبيلنا، فإن ثلثي هؤلاء الذين سقناهم إلى الحرب لم يعودوا إلى أوطانهم، لأن منهم من قتل، ومنهم من مات بالأمراض...» [2].

في ضيافة السلطان مالك الكهوف

رجعنا من نفس الطريق قبل حلول الظلام وعبرنا مياه الوحل، وبعد الوصول إلى السيارة جاء السلطان مالك الكهوف وهو عربي الأصل، ورحب بنا. وفرح بوصول عربي من المملكة العربية السعودية، وسأل عن أهداف الرحلة وسبب الزيارة. وازداد فرحه عندما عرف أن زيارتنا للعمل الخيري الدعوي، وأصر على أن نذهب معه إلى منزله المبني من القش ليضيفنا، حيث ذهبنا هناك، وصلينا المغرب والعشاء جمعا وقصرا، وشربنا الحليب، وأحضروا لنا الطعام، ودار بيننا حديث عبر من خلاله عن مشاعره عن هذه الزيارة مستغربا وصول السياح والباحثين الأوروبيين بعكس المسلمين، وطلب منا بإلحاح بناء مسجد للصلاة

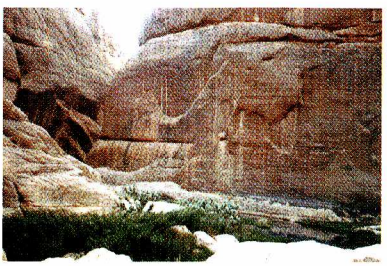

الصورة باليسار: داخل الكهوف حيث الينابيع العذبة والكتابات والرسومات القديمة.

---

[1] أسماء قبائل أفريقية.

[2] من كتاب حاضر العالم الإسلامي، تأليف لوثروب ستودارد الأمريكي، نقل وتعليق الأمير شكيب أرسلان، دار الفكر، ج3، ص11.

الصورة باليمين: المسجد العتيق في مدينة فادا.

الصورة باليسار: بحيرة وادي انقا الكبرى أثناء الغروب.

يكون منطلقا لدعوة هؤلاء السياح، وتبين لنا أن المكان الذي أقامه على الطريق مهم لمعرفة الضيوف وتسديد الرسوم للدخول للكهوف فقد يدفع الزائر (100) دولار للشخص الواحد.

كان تفكيري مشغولا بطريق العودة فقد نزلنا أثناء مجيئنا للكهوف في الوادي من منحدر رملي كبير بين جبال شديدة الانحدار، ومن الصعوبة الصعود بهذه السيارة الضعيفة، والتي تسير بالديزل والمثقلة بالأحمال والمتاع، ولكننا انطلقنا راجعين. وبعد مدة وصلنا لذلك المرتفع الرملي بين الجبال الذي نزلنا منه.

وكانت أسباب هواجسي وقلقي في محلها، فقد حاولنا الصعود وفشلنا ثلاث مرات متتالية لضعف السيارة من ناحية ولحملها الثقيل من ناحية أخرى، ولذا قمنا بخفض الهواء في إطارات السيارة إلى درجة أنها أوشكت أن تصبح على الحديد، واتجهنا لتلة معاكسة حتى ننزل منها بسرعة باتجاه المرتفع المقصود، وقد استطعنا بعد توفيق الله تعالى من الصعود بصعوبة بالغة. وكم كان حزننا عميقا لأننا رجعنا مع هذا الوادي (وادي الرعب) ليلا ولم نحقق ما أملناه من التصوير في طريق العودة لحلول الظلام! ولم يكن بمقدورنا الانتظار للصباح لضيق الوقت، وصعوبة السير في هذه الرمال مع حرارة الشمس...!!

كنا نمشي بسرعة كبيرة لتفادي الوقوع في وحل الرمال، وفجأة رأينا إشارات ضوئية باتجاهنا فخفضنا السرعة...!! فإذا بها نقطة تفتيش عسكرية، فقد أصبحنا على مشارف مدينة «فادا» فرحبوا بنا وأبلغونا بأننا على مشارف مدينة «فادا»، فأكملنا المسير باتجاه المدينة مسرعين تفاديا للوقوع في الرمال، وفجأة سمعنا صوت صرخة لم نأبه بها لبعدها ولكن تبعها صوت سحب لأقسام السلاح استعدادا لإطلاق النار...!!؟ توقفنا بسرعة وأطفأنا النور الخارجي، وأشعلنا الإضاءة الداخلية، وانتظرنا والحيرة تكاد تقتلنا...؟!! فإذا بعسكري يخرج من خلف شجرة وقد وجه السلاح نحونا قائلا: لماذا أنتم مسرعون؟! وطلب أوراقنا الثبوتية، فأعطيناه الأوراق الرسمية من الجهة الخيرية والحكومة التشادية، وقلنا: نحن لم نشاهدك لأنك بعيد عن الطريق، وسرعتنا كانت بسبب الرمال،

فما كان منه إلا أن رحب بنا وقال: تفضلوا وكونوا حذرين في المرات الأخرى، فقد تخرج الأمور عن السيطرة ويحدث ما لا يحمد عقباه وأنتم الآن دخلتم مدينة «فادا»...!! قلنا: الحمد لله على السلامة والعافية. واتجهنا للمركز الإسلامي للراحة فيه بعد رحلة في غاية الإثارة والمتعة....!!

بعد الانتهاء من لقاء المسؤولين ووداعهم انطلقنا إلى محافظة «وانيانقا الكبرى» وهي أبعد نقطة سنصل إليها، حيث سنحرف مسارنا بعدها من الشمال إلى الشمال الغربي باتجاه مدينة «فايا». كانت انطلاقتنا قبيل الظهر حين خرجنا من مدينة فادا، وكان لا يفارق خيالي مرأى تلك المزارع التي شاهدناها في مدينة فادا، فالنخيل لا تحتاج إلى سقيا وري لأن الماء العذب قد خرج من الأرض وكون بركة من الماء الواسعة ليشعر الناظر بالتفاؤل، فمع شراسة هذه الصحراء إلا أن الماء موجود، ورحمة الله وقدرته فوق كل شيء، فما تملك إلا أن تقول: «سبحان الله الذي أوجد هذا الماء في قلب هذه الصحراء»...!!.

أصبحت هذه الواحات مصدر حياة للناس ببنابيعها الصافية العذبة، وأودية نخيلها المثمرة، وإن كانت الثمرة ضعيفة لقلة معرفتهم بالطريقة الصحيحة للعناية بشجرة النخيل. وقد لفت انتباهي كثرة السيارات «التايوتا» ذات الدفع الرباعي على شكل الوانيت حيث توضع في صناديقها الخلفية البراميل الضخمة لصب البنزين الاحتياطي في هذه الصحراء، وأغلبها سيارات للعسكريين محمل على ظهرها الرشاشات الثقيلة.

أجمل بحيرة صحراوية في العالم...!!

واصلنا المسير باتجاه مدينة «وانيانقا» بعد أن أخذنا دليلا آخر بدلا من دليلنا الثاني الذي تركناه في مدينة فادا، لأن معرفته بالمنطقة الجديدة ضعيفة وانطلقنا، وبالرغم من أن الطريق رملية إلا أن وجود معالم الطريق يعتبر أمراً جيداً في قلب هذه الصحراء.

الصورة باليمين: تظهر من فوق هضبة رملية لبحيرة وانيانقا الصغرى.

الصورة باليسار: منظر لطرف بحيرة وانيانقا الصغرى.

الصورة بالأعلى: بحيرة وانيانقا الصغرى وحولها بعض النخيل.

قطعنا مسافة ثلاثمائة كيلو متر تقريبا (300 كم) من فادا إلى محافظة «وانيانقا»، وحين شاهدنا للمرة الثانية الآليات المدمرة والذخيرة الحية التي لم تنفجر...!!، والمدرعات المغطاة تحت الرمال، ومقذوفات المدافع والدبابات غير المستعملة، لم نكترث لذلك، فقد تعودنا على رؤيتها، إلا أن لوحات التنبيه على حقول الألغام لم تتغير مشاعرنا تجاهها، وخاصة عندما نرى على جانبي الطريق أحجاراً مصفوفة مما يعني أن الخروج من الطريق مغامرة ثمنها باهظ، وحين أخبرنا الدليل بقرب وصولنا إلى المدينة، غمرتني مشاعر شوق وأنا أترقب ظهور المدينة خلف هذه الكثبان الرملية حين تذكرت وصف الباحث الفرنسي «جان كلود بيسو» [1] للبحيرة في كتابه «CHECERSSE» «التصحر» تحت عنوان «التمدن في تشاد والأماكن الإسلامية» التي قال عنها: إنها أجمل بحيرة صحراوية في العالم...!! وعندها سألت نفسي: هل حقا سأصل إليها، وهل يمكن أن تكتحل عيناي برؤيتها...؟!!.

نعم...!! إنها تساؤلات غلب عليها الشك والريبة، والتي قطعها يقين برؤية ذلك المنظر الجميل الذي ظهر أمامنا لبحيرة مائية صغيرة زرقاء نراها من بعيد، حولها بعض التلال البسيطة التي يفصلها عن البر مساحات خضراء، وهذا الحزام الأخضر الذي يفصل الرمال عن البحيرة أيضا يضفي عليها صورة من صور الجمال والروعة، فيا عجبا لهذه الصحراء...!! التي كلما توغلنا فيها ازددنا حبا لها رغم شراستها وطبيعتها القاسية.

---

[1] خبير في علم الاجتماع والتمدن والسياحة، متخصص في شعوب صحراء أفريقيا مؤرخ ورحاله وإداري قديم لحساب المستعمرات الفرنسية في الصحراء الكبرى، أستاذ جامعي بدرجة بروفسور محاضر بجامعة تور بفرنسا.

الصورة باليمين: أبو الوليد على حافة البحيرة الكبرى قبيل غروب الشمس.

الصورة باليسار: صورة جماعية مع المحافظ.

وقفنا من بعيد فوق إحدى التلال الرملية نصور هذه المناظر الأخاذة، ونمتع نواظرنا بسحرها الخلاَّب، ثم أكملنا المسير ودخلنا المحافظة، وكانت عبارة عن بيوت من الطين أو القش في غالبها. وهناك سألنا عن المحافظ والسلطان عملا بالأعراف القبلية، وتقديرا للمسؤولين، وحين وصلنا للمحافظ وهو من الدارسين باللغة العربية في ليبيا رحب بنا أيما ترحيب فأخذنا في جولة حول المدينة، ثم أوقفنا فوق تلال مطلة على البحيرة والمدينة في منظر جميل مع غروب الشمس مازال راسخا إلى الآن في مخيلتي...!!، وشرح لنا بإيجاز عن المحافظة وسكانها، وأشار إلى الينابيع العذبة حول البحيرة المالحة، وأجرينا في هذه اللحظات ومن هذا الموقع الجميل مقابلة معه، وكان سؤالنا الأول له بعد الترحيب به عن انطباعه عن وصول هذا الوفد...!!، فتحدث من أعماق قلبه بكلام أخجلنا وأشعرنا بتقصيرنا كمسلمين في الوصول لإخواننا في هذه المناطق المنسية، وقال معبرا عن مشاعره: حتى ولو لم تبنوا لنا مسجدا، ولم تقدموا أي مشروع، فإنه يكفي أنني سأسجل في تاريخي وصول عربي مسلم ومن أرض الحرمين الشريفين لهذه المحافظة...!! يا له من شعور...!! ويا سبحان الله...!! فقد ظهر لنا الكرم العربي في هذه المناطق مما أشعرنا بجذورهم الأصلية التي تمتد للجزيرة العربية، فقد نخرج من محافظة ونقول: هؤلاء أكرمونا أيما إكرام، ولكننا عندما نصل لأخرى نجد من الكرم ما يخجلنا، ففي محافظة «وانيانقا» أصبحت الوجبات تزيد على ست مرات بدلا من ثلاث من كرم أهلها رغم فقرهم.

الصورة باليمين: صورة مع المحافظ الذي عبر عن فرحته العظيمة بوصول سعودي عربي إلى المنطقة.

الصورة باليسار: على حافة جبل محل على بحيرة (وانيانقا الكبرى) في قلب الصحراء.

...نزلنا في ضيافة السلطان، وتدارسنا معه أمور الدعوة في المنطقة. وفي الصباح انطلقنا باتجاه بحيرة «البحر الأحمر» وهي عبارة عن بحيرة صغيرة تبعد عن «وانيانقا» ما يقارب 40 كيلاً، وترى اللون الأحمر في هذه البحيرة بشكل واضح، وهذه البحيرة تختلف عن البحر الأحمر المعروف، فهذه بحيرة صغيرة جداً.

المياه الكبريتية والينابيع الحارة

لصورة بالأسفل: بحيرة وانيانقا الكبرى.

لم يتركنا المحافظ نذهب بمفردنا إلى البحيرات الأخرى خوفا علينا، لأنه كان يعرف مشاكل سيارتنا، وخشي علينا من الضياع في الطريق، وأصر على أن يتقدمنا بسيارته ليدلنا على الطريق، فقد كان يقود السيارة في الرمال بمهارة عالية...!!

أكملنا المسير إلى أبعد نقطة في خطة الرحلة باتجاه ليبيا إلى أن وصلنا «وانيانقا الصغرى» مع المحافظ، وهي عبارة عن بحيرة صغيرة حولها بعض المساكن من الطين والقش، ويستفاد من سعف النخيل وجذوعها في البناء لوجود بعض وديان النخيل في المنطقة، وتبعد عن «وانيانقا الكبرى» 60

المصوره باليسار: أشجار النخيل حول بحيرة (وانيانقا الصغرى).

كيلاً. سبحان الله...!! كيف ترى الجمال في هذه البحيرات في قلب الصحراء والتي لا تتجاوز مساحتها كيلو مترات بسيطة فهي صغيرة المساحة...؟!! بل إنك ترى جزءاً من بحيرة «وانيانقا الصغرى»، لونه ذهبي يميل للحمرة، وهذه هي المياه الكبريتية التي يزورها الغربيون والسياح للاستشفاء فيها، وحولها الينابيع العذبة التي تغذي هذه البحيرة المالحة، عندها نزلنا في هذه البحيرة للاغتسال والاستمتاع بالسباحة في مياهها بعد شوق طويل لشيء اسمه الماء في رحلتنا الصحراوية.

ومن الغرائب في هذه البحيرة أننا نستلقي على ظهورنا في الماء بدون حركة ومع ذلك لا تغوص أجسامنا في البحر، وحتى إن الصابون ليس له أثرٌ كبيرٌ على أجسادنا بسبب فقده لخاصية اللزوجة والتي تسمى «عسر الماء»، وأخبرونا أن ذلك بسبب الملوحة العالية لهذه البحيرة.

وبوصولنا لبحيرة «وانيانقا الصغرى» نكون قطعنا ما يقارب 1500 كيل، مما يعني أننا سننحرف باتجاهنا إلى الشمال الغربي ناحية مدينة «فايا»، وهي عذراء صحراء الشمال وعروسها، وقبل أن ننطلق إلى فايا سألنا عن الطريق ومدى صعوبته، وعن قدرة السيارة على عبور هذه المنطقة خاصة بعد أن أُنهكَت بشكل كبير وأصبح المبرد «الرديتر» لا يعمل مما يسبب ارتفاع حرارتها، كما أن عمود التوازن بدأ يترنح ولم نستطع إصلاح الخلل لعدم وجود الإمكانات والمعدات في هذه المناطق.

اختبار شاق للدليل أبي عطا...!!

كنَّا حريصين قبل المغادرة أن نجلس جلسة وداع مع المحافظ الذي كان حريصا علينا، قلقا بشأننا، خوفا علينا من الضياع، حيث سأل دليلنا عن مدى معرفته بالطريق. فأجاب «أبو عطا الدليل» بأنه يعرف الطريق جيدا، ولكن المحافظ لم يكتف بجوابه، ولم يطمئن لذلك، وأجرى اختباراً شاقاً للقدرات، وسأله أسئلة طويلة عن العلامات من الكثبان الرملية واتجاه الرياح، حتى تأكد من تمكنه من الطريق، وحذره من الدخول في الكثبان الرملية المتحركة قبل مدينة «فايا»...!! فالدخول فيها بالخطأ يعتبر مهلكة وضياعاً...!! وشدد على السير بمحاذاتها بحذر شديد، وشدد عليه بأن لا يبتعد عن هذه الكثبان الرملية ولا يدخل فيها، بل يجعلها يمينه باستمرار.

ارتاحت نفوسنا من هذا الاختبار الذي أشعرنا بإمكانات دليلنا أبو عطا، وقبل ذلك ثقتنا بالله تعالى،

ثم انطلقنا مسرعين جادين في المسير بدون توقف لنقطع ما يقارب 300 كيل باتجاه الشمال الغربي إلى مدينة «فايا» محاولين الوصول إليها مساءً، حتى نبيت فيها وندرك عيد الأضحى المبارك الذي يوافق يوم غد.

في الطريق هاجت مشاعري، ورجعت بي الذاكرة إلى سيرة الآباء والأجداد الذين لم يدركوا الحضارة والمدنية بحلوها ومرها حينما رأيت تلك القافلة التي تتكون مما يقارب العشرين جملاً تسير في طابور طولي متناسق كالسلسلة المستقيمة، يضفي عليها سير الجمال بتأنٍ وخيلاء المهابة والسكينة! ذكرتني هذه القافلة بتاريخنا وحضارتنا، والفتوحات الإسلامية التي وصلت إلى هذه المناطق، وطرق التجارة التي كانت شريان الحياة للناس في تلك المناطق. كانت الجمال محملة ببعض البضائع وأهمها «العطرون» الذي يدخل في صناعة الصابون والأدوية، وتشتهر به مدينة «فايا» وما حولها حيث يؤخذ إلى المدن للتصدير.....

أسرعنا لنشارك مع إخواننا في الدين الفرحة والابتهاج بالعيد في هذه المحافظة بعد أن فقدنا مُتْعَة قضائه بين أطفالنا وأهلينا، لكن مع صعوبة الطريق وكثرة الرمال لم نصل إلا آخر الليل. فطلب مني المرافقون التوقف قبل المدينة بمسافة قصيرة، والمبيت خارجها لأن الوضع الأمني لا يسمح بوصول السيارات ليلاً، فاضطررنا للتوقف والمبيت، ومن شدة التعب أخذنا النوم واستيقظنا متأخرين. وبعد رفع أمتعتنا ووصولنا للمدينة وجدنا الناس قد انتهوا من صلاة العيد، وقد لبسوا أجمل الثياب واللباس ابتهاجاً بالعيد، وأشرقت وجوههم بالفرحة والابتسامة التي تنسيهم قساوة الصحراء، أما نحن فقد علا ثيابنا الرثة الغبار والأتربة. نسأل الله أن يكون ذلك في ميزان الحسنات يوم القيامة. وأثناء تجولنا بالمدينة رأينا في وجوه الناس فرحة العيد يخالطها علامات التعجب والاستغراب...!! من هذا الضيف الغريب الشكل واللباس، وماذا يريد في قلب هذه الصحراء...؟!! ولماذا جاء إلى هنا...؟!!.

وكم عانت هذه المدينة من ويلات الحروب من استعمار، وما تلاه من التقاتل وعدم الاستقرار، فما أن تدخل المدينة إلا وتلاحظ آثار الحرب خاصة على خزان المياه الكبير الذي يعتبر مَعْلَماً كبيراً في المدينة، ولكنه للأسف تعطل بعدما تهدمت أجزاء منه جراء القصف والقذائف، وهذا أكبر ما يشغل المسؤولين ويثير هموم سكان المدينة، فقد اختلطت مياه المجاري بالآبار السطحية التي لجأ إليها الناس بعد تعطل خزان المياه، فأصبحوا يعانون الأمَرَّين وإلى الله المشتكى.!

في المدينة رتب لنا أحد الدعاة وهو مشرف على الإذاعة الوطنية لقاءات في المحافظة مع المسؤولين، وعلى رأسهم حاكم المنطقة الذي رغم كونه غير مسلم، إلا أنه عبر عن فرحته وسعادته بهذه الزيارة، وأبدى أمله الكبير في ثمارها على المنطقة، وركز على أهمية إصلاح هذا الخزان، وقال: إن أمله كبير في أن تلبي مؤسسات الخليج هذا الطلب وتنقذ الناس من تلوث المياه. فشكرناه على استقباله لنا رغم

كثرة الضيوف يوم العيد، ومنهم الفرنسيون الذين قابلونا أثناء خروجهم، وأبدينا سعادتنا مما رأيناه في هذه الواحة الجميلة التي تنتشر فيها الينابيع ووديان النخيل.

الأرض في الصحراء تتفجر ينابيع...!!

كان إعجابنا يزيد ونحن نرى الماء يتفجر من الأرض، ويسير في مجارٍ دائمة، بل إن المرافقين أشاروا إليّ بأن أنظر إلى تلك العلامة المنصوبة كالعلم في مدخل المدينة، حيث قالوا: إن هذا المكان قد تفجر منه الماء، واستمر جريانه بشكل كبير حتى ظن الناس بأنه سيُغْرِق المدينة فاستنجدوا بالفرنسيين لطلب المساعدة، وقامت الحكومة الفرنسية بالمساعدة بعمل صفائح فولاذية وإسمنتية وأغلقت المنبع الأصلي للماء.

ومن اللافت للنظر والمثير للعجب أنك ترى مواسير بلا مولدات كهرباء ! أي أنك ترى ماسورة ماء مغروسة في الأرض والماء يتدفق منها بشكل تلقائي ودون أي مولد كهربائي يرفع الماء، وإنما الماء يخرج من الأرض بانسيابية عبر الماسورة باندفاع يصل أحيانا بسعة خمس أو ست بوصات، ويسير متبخترا في مجارٍ مائية تسمى السواقي لتوزيع الماء على البساتين والنخيل في مناظر تذكرك بأودية نجد ومزارعها، إنها ثروة كبيرة وإستراتيجية، ولكن ضعف الإمكانات وقلة ذات اليد لم تمكنهم من التوسع في الزراعة.

بعد خروجنا من مجلس الحاكم قمنا بزيارة الجامع العتيق في المدينة الذي بدا وكأنه يشتكي إلينا من حال بنائه الطيني القديم منذ أكثر من خمسين سنة، نسأل الله تعالى أن يسخر له من يعيد بناءه فهو يتوسط المدينة، وله أهمية كبيرة في قلوب الناس.

الاقتراب من منطقة الموت والاحتياطات لابد منها...!!

وبعد اللقاءات والاطلاع على أحوال المنطقة بدأنا في التفكير جدياً في خط السير باتجاه مدينة «سلال» بدلا من الاستمرار في الرحلة تجاه منطقة «تبستي»، حيث يوجد القسيس «مارك أورتمان». فالسيارة لم تعد قادرة على التحمل، وسنخصص رحلة خاصة لمنطقة «التبستي» وجبالها الشاهقة التي عين إسرائيل عليها. حيث توجد بها مطارات طبيعية على ارتفاع شاهق فوق تلك الجبال والتي كان أحد الباحثين يحذر من وصول إسرائيل لتلك المنطقة وبتغلغلها إليها، لأنها بذلك تستطيع أن تصل بطائراتها النفاثة إلى عواصم عربية في زمن قياسي...!!

الصورة بالأعلى: بجوار أحد جبال الرمال المتحركة.
من اليمين الدكتور ثم خالد الطويل في الوسط والفنحصل أحمد عبادة في اليسار.

طريق سلال يعتبر من أشد العقبات بالنسبة لنا، لأنه لا يوجد هناك طريق أصلا، والمسافة تقارب 300كيل، والعلامات من الكثبان الرملية متشابهة، وقد تتغير هذه العلامات خلال أيام بسبب الرياح الرملية، كما لا يوجد رعاة أو سالكون لهذا الطريق إلا ما ندر، وقبل الانطلاق قمنا بإصلاح الإطارات التالفة، وحاولنا إصلاح مبرد الماء فلم نستطع لأنه لا يوجد ورشة تعرف طريقة تنظيف المبرد «تسييخ الرديتر». وعندما سألنا عن الطريق وكيفية عبور هذه المنطقة انهالت علينا الاقتراحات والنصائح، واختلفنا في وقت الانطلاق: هل يكون ليلاً أو نهاراً؟! وبعد التشاور اتفقنا على ما يلي:

أولا: أنه رغم تمكن دليلنا (أبو عطا) ومعرفته بمجاهيل هذه الصحراء إلا أننا لا بد أن نأخذ معنا دليلا آخر يعرف المنطقة بشكل جيد لأن معرفة أبي عطا معرفة عامة.

ثانياً: أن نتزود بوقود احتياطي احتساباً لاحتمالات اختلاف الطريق والضياع.

ثالثاً: أن ننطلق قبيل الظهر لنقطع مسافة 120كم في الرمال التي لا تشكل خطورة كبيرة، وبعدها يكون قد حل المساء وبرد الجو، لكي نستطيع دخول الكثبان الرملية المتحركة (بطول 80 كيلاً)، وهي التي تعتبر من أخطر المناطق...!!، وأسمينا هذا الطريق «طريق الموت». فقد أخبرونا أنه قبل شهر هلك سبعة أشخاص بعد أن دخلوا في هذه المنطقة وضاعوا وانتهى وقودهم، حيث لاقوا حتفهم بعدما تفرقوا في التلال بحثاً عن الماء رحمهم الله!

ولم يكن من التفاؤل أن يذكروا لنا بأن الذين هلكوا بعد الضياع من العطش عددهم سبعة لأن عددنا نحن سبعة أيضا، ولكن تذكرنا أن الحذر لا ينجي من القدر...!! توكلنا على الله، وودعنا أصحابنا، وكنا خمسة أشخاص سادسنا الدليل الجديد وسابعنا أحد المسؤولين في المدرسة العربية الذي كان يريد أن يسافر للعاصمة ولكنه لم يستطع من قبل لقلة السيارات المسافرة. واضطررنا للموافقة على سفره معنا بعد إلحاحه وتوالي الشفاعات علينا...!!.

بداية معاناة...!!

كانت انطلاقتنا في الساعة الحادية عشرة صباحاً تقريباً بعد حزم الأمتعة وترتيبها، وحسب اتجاه سيرنا لابد لنا من صعود كثبان رملية مرتفعة بعد الخروج من المدينة، وعلى الرغم من ارتفاع حرارة الجو بالنهار، وصعوبة صعود الرمال، وارتفاع حرارة السيارة والإطارات نتيجة تشغيل الدفع الرباعي، إلا أننا صعدنا ـ ولله الحمد ـ لأعلى الكثبان الرملية بمشقة، ثم توقفنا بسبب ارتفاع حرارة السيارة، وبعد برودها واصلنا مسرعين نسير تارة ونتوقف تارة كلما لاحظنا ارتفاع الحرارة، ومع حلول الظلام وإرخاء الليل عباءته السوداء علينا، فوجئنا بإحدى الإطارات تتعطل، فاستبدلنا به الإطار الاحتياطي الموجود في الصندوق.

وبعد المسير مسافة تعطل هذا الإطار أيضاً فأردنا استبدال الاحتياطي الآخر به، ولكن المشكلة أن الاحتياطي الآخر معلق بالسيارة ولا يمكن إخراجه إلا بمفتاح خاص، ويبدو أن المفتاح سقط بجوار

الصورة بالأسفل تنظر للرمال المتحركة الخطيرة.

المنزل الذي نمنا فيه أثناء تغيير الإطارات هناك، وهذا كان أشبه بكارثة وقعنا فيها...!! تشاورنا في الأمر ورأينا أنه لابد من العودة إلى «مدينة فايا» بعدما قطعنا ما يقارب 100كيل، لأننا الآن نسير بدون إطار احتياطي رغم أنه موجود، ولكن لا يوجد له مفتاح، لذا رجعنا نسير بتمهل على هذه الإطارات حتى نصل بسلام.

بعد رجوعنا بحثنا عن المفتاح فوجدناه بجوار الباب وقد غطته الرمال، وقد كان الوقت متأخراً، فاضطررنا للمبيت في المدرسة العربية، ثم انطلقنا مرة أخرى في اليوم التالي.

وزير الدفاع يقول: الطائرة رهن إشارتكم ولكن...؟!!

في الصباح الباكر واصلنا المسير، وكنت أقود السيارة طوال هذه الرحلة، وبدأت أفكر في الكيفية التي سنعبر بها منطقة الموت، وتساءلت في نفسي: كيف ستكون كثبانها...؟!! هل تشابه الكثبان الرملية بأرض نجد والربع الخالي...؟!! وهل ستسير أمور هذه السيارة حتى نخرج منها بسلام...؟!!، أحسست أن هذه الصحراء بكل ما فيها بمثابة مدرسة أو جامعة تربي الإنسان وتعلمه الصبر واليقين. وكم تمنيت في تلك اللحظات أن أغمض عيني وأفتحها فأجد نفسي في العاصمة «أنجامينا» بسبب الإرهاق والخوف من المجهول الذي ينتظرنا...!!

قطعت خواطري ورجعت إلى مولاي جل جلاله وسألته التيسير. فرغم تقصيري إلا أن ثقتي به عظيمة، وبدأت أعاتب نفسي: لماذا انتظرنا ثلاث سنوات للقيام بهذه الرحلة المهمة؟! ولماذا أجَّلناها طويلاً على أمل الحصول على رحلة بالطائرة خوفاً من هذه المنطقة...؟! ثم عدت للواقع فنحن الآن وصلناها بسيارة جراحاتها كثيرة، ولكن هذا أمر الله وقدره، فالطائرة وصولها للمنطقة قليل، وقد لا تناسب الوقت الذي نزور فيه تشاد، ورغم حرص وزير الدفاع بدولة تشاد - حفظه الله - على زيارتنا لهذه المنطقة ووعده لنا بتوفير طائرة «مروحية» إلا أن ضعف الإمكانات وحاجة الحكومة لها فوت الفرصة علينا، ولكن لعل في الأمر خيراً لأن الوقوف على الحقائق والمسح الميداني الدقيق والتواصل الدعوي لا يتوافر بشكل كبير إلا بمثل هذه الرحلات المسحية البرية ذات الفوائد العظيمة رغم مشاقّها.

لابد من القيادة بحذر...!! فقد وصلنا منطقة الموت...!!

قطعت حبل أفكاري بعض آثار الكثبان الرملية، رغم أنها متقطعة إلا أنها تتميز بالارتفاع والخطورة، لأنها عبارة عن رمال متحركة ناعمة، وهذا دليل على وصولنا لهذه المنطقة، وسألت الدليل للتأكد...؟!! فقال:

الصورة باليمين: الرمال الهائلة او الصيادة بالقرب من منطقة كثبا اولاتقا. خالد الطويل والدكتور حضار.

نعم، بدأنا بالدخول في هذه المنطقة ونحن على مشارفها، ويجب أن تجتهد في القيادة، وتكون على حذر من كثرة الرمال الصيادة، وهي غالباً ما تكون في ملتقى سفوح الكثبان الرملية، وأحياناً في قمم الكثبان وفي جوانبها، وأحياناً تتوسط بين التلال الرملية، فانتبه..!! لأن الخروج منها فيه صعوبة شديدة.

اتفقنا بعدها على التوقف لأداء صلاة المغرب والعشاء جمعاً وقصراً، لنواصل المسير دون توقف إلى أن نخرج من هذه المنطقة مستغلين برودة الجو في هذه الصحراء حيث انخفضت حرارة السيارة بحمد الله، وبدأنا نحث سيرنا رغم اشتداد الكثبان الرملية وتوغلنا فيها، إلى أن أصبحنا نصعد جبالاً من الرمال، وننزل منها طوال الطريق في منظر مهيب يشعرك بعظمة الخالق وقدرته جل في علاه...!! شعرت بتهيب في نفسي خالطها خوف من مجاهيل هذه الصحراء القاسية في طبيعتها الجميلة في تركيبتها. كان مسيرنا حسب توجيه الدليل منذ النهار مع اتجاه الرياح نحو الجنوب الغربي، ومع الظلام بدأنا ننحرف باتجاه الجنوب، فنبهت الدليل لأكثر من مرة بأننا ننحرف باتجاه الجنوب، لكنه في كل مرة يشير علي بالمواصلة إلى أن طلب مني أن أتبع نجماً في السماء محدداً!!

هيجان الرياح... ورحلة الضياع والتيه

وهكذا سرنا ساعات طوال ونحن نصارع هذه الكثبان الهائلة مع اشتداد الرياح وهيجانها، مما حرك الكثبان الرملية لتتحول إلى عواصف رملية عاتية انعدمت معها الرؤية...!! كان أحد الدليلين يجلس

في صندوق السيارة فوق العفش ليتابع الطريق من الخارج رغم الرياح والبرودة، وأما الدليل الآخر وهو «أبو عطا» فكان بجواري يشير لي بالاتجاه، والحمد لله بعد هذا الصراع المرير لأكثر من ثلاث ساعات مع هذه الرمال التي تجبرنا بعض كثبانها على التوقف لينزل الدليل «أبو عطا» حافياً على قدميه يجري ونحن نسير بحذر خلفه تفادياً للرمال الصيادة الخطيرة، وأحياناً يطلب منا التوقف ليذهب هو ويصعد فوق التلال الرملية المحيطة يستطلع الاتجاه من هنا وهناك، ويتحسس نعومة الرمال بقدميه الحافيتين...!!

وبعد عناء شديد خرجنا ولله الحمد، حيث بدأت مظاهر الكثبان العالية تخف شيئاً فشيئاً، وهذا لا يعني أننا لا نسير في الرمال، بل كل المنطقة رمال ولكنها أخف خطورة من تلك الكثبان المتحركة، وكانت ألسنتنا تلهج بالحمد والشكر لله على خروجنا من هذه المنطقة، وخاصة أنها أخطر العقبات في طريقنا في هذه الصحراء والتي أسميناها منطقة الموت.

الدليل أبو عطا في حيرة وصمت

سرنا ما يقارب الساعة والنصف، وكان يؤرقني انحرافنا يساراً باتجاه الجنوب ولو بشكل بسيط حيث أصبحت الرياح تضربنا من جهة اليسار، وهذا يعني أننا لا نسير معها بنفس الاتجاه، لم تكتمل فرحتنا حيث بدأت مظاهر الكثبان الخطيرة تظهر بشكل غير طبيعي...!! سألت أبا عطا وقلت له: إذا تجاوزنا منطقة الموت هل سنجد كثباناً بنفس الشكل في طريقنا إلى مدينة سلال...؟!! فقال: لا...!! قلت: إذاً.. بماذا تفسر تزايد هذه الكثبان...؟!! لم يستطع الإجابة وسكت...!! سألت الدكتور حقار وقلت: بماذا تفسر ذلك يا دكتور...؟!! قال: والله لا أدري...!! يا إلهي...!! هل هناك منطقة كالتي مررنا بها...!! وما سر صمت وحيرة الدليل أبي عطا...؟!! بدأ الخوف يسري في كياني والشك يخالط مشاعري...!! فأنا أرى الشك والخوف في قسمات وجوه أصحابي وعلى رأسهم أبو عطا...!!

أشار الدليل علي بالسير منحرفاً إلى اليسار، ونبهته مرة أخرى بأننا لا نسير مع اتجاه الرياح فطلب مني مواصلة السير...!! رباه...!! نحن الآن في هذا الليل البهيم نخوض في بحور من الكثبان الرملية...!! هل يعقل أننا رجعنا لنفس المنطقة...؟!! لماذا تغيرت قسمات وجه صاحبنا الدليل أبي عطا...؟!! لماذا أصبح لا يرد على تساؤلاتنا، أين ذهبت نشوة الفرح...؟! هل لزومه الصمت يعني أنه أدرك أننا تهنا في هذه الصحراء...؟!! أصبحت أعصابنا متوترة...!! كيف لا والموت أصبح يجول بخواطرنا...!! ما مصير سبعة أشخاص والزاد والماء ليس بكثير...؟!!

تذكرت قصة السبعة أشخاص الذين ماتوا عطشاً في هذه المنطقة بعد رحلة ضياع - رحمهم الله - هل سيكون مصيرنا نفس مصيرهم...؟!! بدأت هذه التساؤلات والخواطر ترد مخيلتي بشكل سريع...!! لم أتمالك نفسي حتى أوقفت السيارة وكانت الساعة الواحدة ليلاً تقريباً فوق أحد الكثبان العالية، وطلبت من الدكتور حقار أن يسأله إن كان يعرف الطريق، أم أنه أدرك بأننا تائهون في هذه الرمال...؟!! تكلم معه الدكتور كثيراً بلغتهم المحلية وهي القرعانية، وهذه القبيلة العربية تمتد أصولها إلى جنوب الجزيرة العربية وهم معروفون بأنهم عرب خُلَّص وأصحاب شوكة ومراس وصبر في القتال وتملأ قلوبهم الحمية للدين، والغيرة على محارمه...!!

اختلاف الدليلان...!! وهنا كان الخطر

أدركت من خلال حوارهم أننا ضللنا الطريق وعلامات الحيرة والخوف بادية في وجوه الجميع...!!، نزل أبو عطا من السيارة، ونزل الدليل الآخر من فوق الصندوق...!!، نظرا إلى النجوم طويلا، وكانت الرياح الرملية قد حجبت الرؤية، تحادثا طويلاً...!! ثم انطلقا يجريان على أقدامهما فوق المرتفعات الرملية من حولنا...!! يهرولان يميناً ويساراً!! أما نحن فقد كانت لحظات الانتظار تقتلنا...!!، تأملا الأفق ونحن في السيارة لا نسمح بفتح النوافذ أو الأبواب من شدة البرد والرياح، بل إنك تشعر بلسع حبات الرمل من شدة الرياح...!! طال نقاشهما وتحاورهما...!! الدليل الأول أبو عطا يرى السير في نفس الاتجاه مع إدراكه أننا ضائعون...!!، وليس متأكداً من ذلك، أما الدليل الآخر فيرى أننا انحرفنا يساراً بنسبة كبيرة، وأننا رجعنا ودخلنا نفس بحور الرمال في المنطقة السابقة (منطقة الموت)، ولكنه لا يجزم بشيء، وليس متأكداً من الوجهة أو الطريق الصحيح. وهنا كانت المشكلة!

وهي أن الدليلين أدركا بأننا ضائعون وهما لم يستطيعا أن يتعرفا على الاتجاه الصحيح...!! إذن نحن وقعنا في كارثة...!! تشاورنا مع الدكتور حقار وكنا حريصين على السير ليلاً لظروف الطقس والسيارة، فالمرافقون لا يعلمون عن حال السيارة كما يعلمها السائق، فقد أدركت أن عمود التوازن انحرف وأصبح الإطار يحتك بحديد جوانب السيارة مع المَطَبَّات الرملية الحادة، لأننا مضطرون أن نسير بسرعة في هذه الرمال وإذا انتظرنا حتى الصباح فإن السيارة لا تستطيع أن تسير بالدفع الرباعي مدة طويلة لأن الحرارة سترتفع...!! هذا يعني صعوبة السير في هذه المنطقة الصعبة نهاراً بسيارة جيدة وقوية، فما بالك بسيارة منهكة وحرارتها ترتفع بسرعة وخاصة مع تشغيل الدفع الرباعي...!؟ إذاً لا بد أن نقطعها ليلاً...!! سبحان الله...!!، انقطعت الأسباب إلا من الله تعالى الكريم المنان...!! نعم، إن هذه الصحراء تعطي دروساً في الصبر والحلم والتوكل واليقين.

اللجوء إلى الله تعالى

في هذه اللحظات تذكرت حديث الثلاثة الذين أغلقت الصخرة عليهم الغار فدعوا الله بصالح أعمالهم...!!، قلت في نفسي مناجياً ربي ولا أحد يسمعني إلا الله تعالى: يا رب إنَّ ذنوبنا كثيرة وغفلتنا عظيمة وليس لنا من الأعمال الكبيرة ما نرجوه...!! ولكن يا رحمن ارحمنا بصلاح هذا العبد المسكين! «أقصد الدليل أبا عطا» .

فما صحوت ليلاً في هذه الصحراء من شدة البرد إلا ووجدته يصلي، ثم إذا قرب الفجر يوقد النار ويجهز الطعام والشاي ويوقظنا لصلاة الفجر، أما أنا فأقوم ليلاً محاولاً تجنب البرد الذي ينخر في جسمي ورأسي رغم الغطاء، وحتى يوم الاثنين والخميس لا يترك صيامهما مع شراسة الصحراء وصعابها، وتراه يحمل المتاع ويربط العفش، ويطبخ الطعام ويقدمه لنا، فأقول: استرح يا أبا عطا...!! فيقول: كيف أستريح وأنتم تركتم أطفالكم وأهلكم وجئتم إلى هذه الصحاري القاحلة لخدمتنا وتعليمنا الدين، وبناء المساجد لإخوانكم المسلمين في هذه المناطق! إنه يحمل في صدره قلبا صافيا كصفاء رمال الصحراء لم يدنسه ملوثات المدنية والحضارة، قلب ملؤه سلامة القصد وحب الخير، ولا نزكي على الله أحدًا...!! رجوت ربي أن يرحمنا برحمته وعفوه، ثم بصلاح هذا الإنسان الطيب.

قمة شجرة الأراك «السواك»...!!

وبعد حوار طويل وتشاور بيننا، اتفقنا على أن نكمل السير بالاتجاه الذي يراه الدليل أبو عطا، فهو يقول: إن هناك شجرة أراك (السواك) قد تكون في هذه المنطقة،... قلت للدكتور حقار: هل أبو عطا يتكلم بعقل أم قد أصابه الجنون...؟!! أم هي علامات الشيخوخة...؟! كيف يمكن أن تنبت شجرة أراك في هذه الهضاب والتلال الرملية القاحلة والمقفرة...؟!! فنحن لم نر أثراً للحياة، فلا أشجار، ولا نباتات، فكيف يتحدث عن شجرة أراك؟! ثم أردفت مخاطباً الدكتور: أخبره بأننا سنسير حسب رأي الدليل ولكن لن نتجاوز عشر دقائق سيراً فإن وجد الاتجاه الصحيح وإلا فإننا سننام إلى الصباح لعله، مع طلوع الشمس يتعرف على المنطقة، فنحن الآن بين أمرين أحلاهما مُر...!!.

صعوبات تواجه السيارة...!!

واصلنا السير وتجاوزنا الوقت إلى نصف الساعة، ولكننا توقفنا وأدركنا بعدها من خلال قسمات وجه الدليل «أبي عطا» أن المشكلة أصبحت حقيقة واقعية ! بعدها نزل «أبو عطا» والدليل الآخر وتحاورا

مرة ثانية، كل منهما أخذ يجري للصعود فوق التلال الرملية المحيطة، رجع «أبو عطا» وطلب منا أن نسير قليلاً، وإذا لم نجد الاتجاه الصحيح نتوقف وننام إلى الصباح.

فواصلنا المسير، لكن السيارة بدت منهكة أكثر، وزاد انحراف عمود التوازن وأصبح احتكاك الإطار بالحديد قويا وصوته عالياً، وأصبحنا نقع في الرمال الصيادة ونخرج منها بصعوبة، واضطررنا لتفاديها إلى صعود جبال من الرمال والنزول من هاويات رملية...!! أو السير في مطبات رملية حادة مجهدة للسيارة...!!، فنحن أمام خيارين، إما السير بهدوء وقد نقع في فخ هذه المطبات الرملية ونحتجز بينها، أو المرور عليها بسرعة وتصبح السيارة تقفز كالقارب السريع فوق أمواج البحر...!! وهذا يضاعف من مشاكل انحراف عمود التوازن واحتكاك الإطارات بالحديد الجانبي للسيارة، ويضيف إصابات وجراحاً أخرى لسيارتنا.

اجتمع علينا الخوف والجوع والبرد...!!

نزلنا في منخفض رملي وأضأت الأنوار العالية، ووجدت أمامي كثباناً رملية كالجدران في علوها ويستحيل صعودها ثم انحرفت من الجهة الأخرى فوجدت نفس الجدران الرملية وبينها مخرج صغير، وكأننا في حفرة عميقة، عندها رأينا التوقف والنوم في هذا المكان حتى الصباح، اقترحت عليهم أن ننام تحت هذا الجبل الرملي صداً للرياح العاتية الباردة فقال الدليل:

يستحيل أن ننام إلا فوق القمة، قلت: والبرد...؟!! قال: إذا نمنا في الأسفل فقد نصحو والرمال قد تكون دفنتنا مع السيارة...!!

سلمنا أمرنا لله، وصعدنا إحدى القمم وكانت الساعة قد تجاوزت الثانية ليلاً، ولم أستطع النزول من شدة البرد والرياح الرملية، ونمت في نفس مكاني في القيادة ولم أستطع حتى النزول للأكل رغم الجوع...!!

واجتمع علينا في تلك الليلة الخوف، والجوع، والبرد...!! نعم، إنه الخوف من عدم الاهتداء للوجهة الصحيحة ونحن سبعة أشخاص في سيارة واحدة. أما الجوع فلأننا لا نستطيع أن نحل الرباط ونستخرج الطعام، فالبرد قارص وزاد من برودته الرياح العاتية التي هبت ولم تهدأ، وأجسامنا منهكة، فقد سرنا أربع عشرة ساعة تقريباً في قيادة متواصلة نصارع الرمال، ولم نتوقف تقريباً إلا للصلاة.

الدليلان ناما خارج السيارة، أما الدكتور حقار فعزم على النوم خارجها أيضاً لأنه لا يستطيع النوم جالساً لمعاناته من كسور قديمة في الحوض والقدم، فتبرعت له ببطانيتي ظناً مني أنني بداخل السيارة سأكون في مأمن من البرد. ونمت ليلة عصيبة في المرتبة الأمامية، أما المرتبة الخلفية فنام

الثلاثة الآخرون فيها وهم جالسون فلم يستطيعوا النزول من التعب والإرهاق والبرد...!! استيقظنا صباحاً وصلينا الفجر بالتيمم، حيث لم نستطع الوضوء بالماء من شدة البرد. والحمد لله الذي شرع لنا في هذا الدين التيسير..!

قيادة السيارة في الرمال تحتاج لجهد شاق...!!

كانت فترة النوم بسيطة وبرغم تقطعها بسبب البرد، إلا أنها أراحت أجسامنا بعد مسير أربع عشرة ساعة متواصلة في الرمال تشبه القيادة فيها مصارعة الثيران، حيث تحتاج لجهد وتركيز، لأن أدنى خطأ أو سوء في التقدير سيكون باهظ الثمن على الجميع. والقيادة في هذه المناطق كما أنها تحتاج إلى جهد بدني فهي أيضا تحتاج إلى تركيز ذهني، فأنت أمام رمال خطرة، وأحيانا نصادف أحجارا حادة كالسكاكين تؤذي الإطارات، فيستلزم ذلك الحذر والانتباه.

هذه المناطق - كما قلت سابقاً - فقدنا فيها البدو الرحل، وأهل الإبل من الرعاة الذين نشعر بالراحة والأنس لرؤيتهم، إذا تهنا أرشدونا، وإذا طلبنا الحليب أسقونا...!! أما هذه المنطقة التي يخيم عليها السكون القاتل، فهي صحراء خاوية...!! علاماتها متشابهة...!! مياهها نادرة...!! طرقها منعدمة...!! ورياحها عاتية...!! والرمال فيها مرتفعة عالية...!! والكثبان سلاسل متواصلة...!! الظلام فيها دامس...!! لا يخرج عن سلطته وجبروته إلا ضوء سيارتنا الخافت الذي يبدد النزر اليسير من الظلام...!! والسكون فيها لا يكدره إلا صرير الرياح العاتية...!! ولا يكسره إلا صوت محرك سيارتنا المثخنة بالجراح...!!.

جواب الدكتور...؟!! نزل كالماء البارد على صدري...!!

لم أكن أتصور أن تصل بنا الحال إلى هذه الدرجة، فالموقف رهيب والأمر مرعب والخوف من النهاية المأساوية بلغ فينا مبلغه...!! حتى فرسان الصحراء وأسودها قد تغيرت قسمات وجوههم، وكأنهم استسلموا للقدر المحتوم والقضاء النازل!.

توكلنا على الله، وواصلنا السير فجراً مع تواصل الرياح الرملية التي تكاد أن تدفن إخواننا الذين ناموا خارج السيارة ليلة البارحة رغم أننا في أعلى التلة، واصلنا المسير مع الخوف من المجهول القادم...؟!!، طلب الدليل أبو عطا مني السير في نفس اتجاه سيرنا بالأمس، فانطلقنا نصعد التلال الرملية تلو التلال...!! نعبر عباب الكثبان والهضاب...!! وننزل السفوح الرملية تلو السفوح...!! نشق طريقنا والصمت يخيم علينا وكأنما على رؤوسنا الطير...!!

هذا الصمت الرهيب لم يقطعه إلا سؤالي للدكتور حقار بأسلوب متهدج وبصوت رخيم خافت يغشاه الخوف والحزن والحسرة: يا دكتور لماذا خرجنا من بيوت أمهاتنا إلى هذه الصحراء المهلكة دون أخذ الأسباب الكافية من حيث تجهيز الرحلة وعدد السيارات والإمكانات...؟!! فنحن تائهون في الصحراء الكبرى نفترش الأرض ونلتحف السماء...!!

أدرك الدكتور من سؤالي تمكن الخوف والقلق في نفسي، فالتفت إليَّ وقال بصوت الواثق المطمئن: يا أبا الوليد هل تظن أن خروجنا إلى هذه الصحراء سيقدم في أجلنا ساعة أو يؤخر ساعة...؟!!

فوجئت بهذا الجواب الذي نزل عليَّ كالصاعقة، ولم يخطر هذا الكلام بمخيلتي في هذا الوقت...!! وتوقعت أن الدكتور سيقول: نعم، كان يجب أن نفعل كذا وكذا، سبحان الله...!! لقد نزل كلام الدكتور على قلبي كالماء البارد، وارتفع مؤشر التوكل على الله واليقين بنسبة عالية، ووالله إنني شعرت باطمئنانٍ نفسي وتعلق بربي أذهب عني وساوس الشيطان...!!

كنا نسير وأبو عطا يذكرني بالاتجاه كلما انحرفنا يميناً، أو شمالاً تفادياً للمناطق الخطرة، وبعد فترة من الزمن وأثناء صعود تلة رملية وامتداد أبصارنا لما بعدها من الانحدار رددت الله أكبر...!! فماذا رأيت...؟!! إنها شجرة خضراء مورقة ويانعة في أرض رمال صفراء قاحلة مقفرة...!! إنها شجرة الأراك...!! ضحك أبو عطا بصوت عالٍ،وخالط هذه الضحكات نشوة الفرح والنصر...!!، فما الخبر..؟!!

انطلقت أسارير «أبو عطا» بعد الصمت الطويل والحيرة، وقال: هذه هي شجرة الأراك، ونحن كنّا نسير باتجاه خاطئ، ولكنني أعرف هذه الصحراء، وأتذكر قديماً أن هناك في هذه المنطقة شجرة أراك، وأردت البحث عنها لأحدد بعدها الاتجاه الصحيح، والآن سر بهذا الاتجاه. ففعلت مع شعوري بالفرحة الغامرة قاطعاً وعداً على نفسي أن لا أخالفه مرة أخرى مهما يكن الأمر، فقد أثبت حنكته وجدارته في هذه الصحراء. تهللت وجوه أصحابنا،وعلت الابتسامة محياهم، ولهجت ألسنتهم بالحمد والثناء على الله عزوجل.

حمدنا الله تعالى، وحرصنا على السير بسرعة رغم الكثبان الرملية، حتى نستطيع الخروج من هذه المنطقة قبل اشتداد حرارة الشمس، وحتى لا تتفاقم مشكلة سيارتنا المزمنة.

الدليل أبو عطا... رجل من النوادر في الصحراء ..!!

كانت الرياح قد هدأت في الصباح، إلا أنها سرعان ما هاجت مرة أخرى بشكل أشد وأقسى، ولم تكتمل فرحتنا...!! سرنا في الاتجاه الصحيح ما يقارب الساعة، فإذا بأبي عطا يقول انحرف يساراً، كدت أن

الصورة باليمين: الرياح الرملية العاتية التي سببت التيه والضياع.

أعترض عليه حتى لا نضيع مرة أخرى، إلا أنني تذكرت الوعد الذي قطعته على نفسي بأن لا أعارضه بعدما وجدنا شجرة الأراك، وهذا يدل على أنه رجل من نوادر رجال هذه الصحراء في معرفتها..!!، وقلت مستوضحا وبهدوء: لماذا يا أبا عطا...؟!! فقال: إن هناك نبعاً للماء في هذا الاتجاه، ابتسمت متعجباً وقلت: يا أبا عطا هل تمزح معنا أم أنك تتكلم جاداً...؟!! قال: نعم...!!! كنا نأتي نسقي الإبل منها ونحن صغار، وذلك قبل أكثر من أربعين سنة تقريباً، نرعى الإبل في هذه المناطق الشاسعة فقد كان فيها مراع...!! كنا بين مصدق ومكذب، ولكن انتهاء الهضبة الرملية أظهر لنا ذلك الصراع المرير بين نبع صغير أُحيط بخرسانة دائرية، وبين الرمال المتغطرسة المتكبرة التي تحيط بذلك النبع من كل اتجاه، يحاول النبع الصغير المتواضع أن يُجري ماءه رغبة في نشر الحياة في هذه الصحراء الشرسة في كل اتجاه...!! لكن تلك الرمال الكثيرة تستقبل هذا الماء المتمرد على الصحراء وتأخذه في أحضانها وتبتلعه بنهم بعد خروجه من النبع وهكذا...!! لا يتعدى جريانه المتر الواحد...!! نزلنا

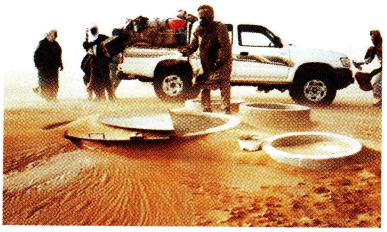

الصورة باليمين: رياح عاتية في الطريق إلى قرية كوبا اولانا الترود بالماء من نبع في قلب الصحراء (منطقة الموت).

الصورة باليسار: نبع الماء في منطقة لم تمطر من أربعين سنة ومقاومة الرياح العاتية.

ونحن في ذهول مما نرى بأم أعيننا، تزودنا بالماء وشربنا وارتوينا، بل أروينا سيارتنا التي عطشت هي الأخرى بسبب الحرارة فملأنا مبردها بماء عذب زلال.

ذكرني هذا النبع الصافي الذي يعم نفعه ويجري خيره من الماء الذي فيه حياة البشرية في قلب الجفاف وعمق الصحراء...!! ذكرني هذا النبع في الصحراء بالدعاة إلى الله العاملين في مجال العمل الخيري الإسلامي التطوعي، كيف يبذلون أوقاتهم وجهدهم ويجاهدون في ذلك رغم المشقة وفراق الأهل والغربة، وينقذون آلاف البشر من النار وسعير الحميم والخلود في جهنم يوم القيامة، وذلك بإيصال كلمة لا إله إلا الله إليهم، ويسهمون في تصفية عقائد المسلمين عما شابها من الملوثات الشركية والبدعية والخرافات! فكما أن هذا النبع أنقذنا بعد الله جل وعلا وهو مصدر لحياة الكثيرين، فالداعية إلى الله يساهم في إنقاذ الكثيرين بحمد الله، وكل من النبع والداعية يعاني من المشقة، ويقاوم الصعاب. وكل منهما يتسم بالنقاء والصفاء، وحب الخير للآخرين، ويحملان رسالة فيها حياة ونجاة البشرية.

أما ذلك المتغطرس المتكبر المعتدي الذي يريد أن يوقف جريان ماء النبع الصافي حتى لا يعم خيره، وحتى لا تخضر الأرض، وتظهر الحياة البشرية بأنواعها وجمالها الخلاّب...!! إنها أكوام الرمال التي تمنع هذا الخير، وتحاول إيقاف زحفه بإغراق مجاري مياه النبع في أحضانها فلا تُبقي له أثراً إلا ما يتجاوز المتر...!! ولكن هيهات كيف للظلم أن يقضي على الخير وإلى متى سيعيش الظالم...؟!!

إن هؤلاء الذين يحاربون مؤسسات الخير في بلادنا إنما يحاربونها لأن أجسادهم وشهواتهم غلبت على أرواحهم بسبب كثرة المعاصي واستمرائها، فأرضهم جدباء مقفرة كالصحراء ورمالها التي تحاول منع جريان النبع الصافي. فإنهم مهما عملوا لإيقاف الخير والعمل الخيري من خلال كتاباتهم عبر أقلامهم المشؤومة لتشويه هذا العمل فإن ذلك لن يوقف هذا الخير، وبلادنا لن تتخلى عن ركن من الأركان التي قامت عليها.

فهذا النبع لن يستسلم والماء الجاري الذي ابتلعته الرمال سيخرج في مكان آخر من هذه الصحراء، ويبعث الحياة فيها. وهكذا الداعية إلى الخير سينشر خيره شاء أم أبى الحاسدون، والدعاة مباركون أينما حلوا ونزلوا، فلله درهم من رجال....!!

خاطرة: الإسلام يتقدم رغم شراسة التنصير...!!

ومن البشائر أن الإسلام يتقدم في القارة الأفريقية رغم ضخامة حجم التنصير ومؤسساته والدول الداعمة له بكل قوة . وإليك إحصائيات مختصرة جدا عن التنصير:

تشير إحصائية عام 1976م إلى أن الكنيسة الكاثوليكية تملك في أفريقيا الجنوبية وحدها حوالي مليون ونصف مليون كنيسة، موزعة بين (روديسيا، وجنوب أفريقيا، وملاوي، وزامبيا، وزائير، وناميبيا، وبوروندي) وأن مجموع الإرساليات الموجودة في (38) بلدا أفريقيا، يبلغ (111.000) مائة وإحدى عشرة ألف إرسالية، وأن بعضها يملك طائرات، تنقل الأطباء والأدوية والممرضات لعلاج المرضى في الأحراش [1].

ويذكر أنه في بريطانيا يتطوع أكثر من 20 مليون شخص من البالغين يمارسون نشاطاً تطوعياً منتظماً، وفي فرنسا يتطوع عشرة ملايين ونصف المليون فرنسي في نهاية الأسبوع [2].

والإرساليات منتشرة في كل القارات ومؤسساتها

المؤسسات التنصيرية تمتلك 100 مليون جهاز كمبيوتر تتبع 25 شبكة إلكترونية موزعة على الكنائس الكبرى في العالم.

وتصدر 100 ألف كتاب و25 ألف مطبوعة صحفية بأكثر من 150 لغة وكلها تخدم التنصير.

وهناك 500 قناة فضائية وأرضية جديدة، كلها متخصصة في التنصير.

وتوجد حوالي 100 ألف من المراكز والمعاهد والمحطات التي تتولى تدريب وتأهيل المُنَصِّرين على مستوى العالم الإسلامي.

حققت الإرساليات الأجنبية دخلا قدره 8.9 بليون دولار، ويعمل في خدمة التنصير 82 مليون جهاز كمبيوتر، وصدر 8861 كتابا، و24900 مجلة أسبوعية تنصيرية.

وصل عدد الأناجيل الموزعة مجانا إلى 53 مليون، كما تبلغ محطات الإذاعة والتلفاز المسيحية 3240.

وقد بلغ ما أنفق لدعم ميزانية التنصير خلال عام 1991م حوالي 181 مليار دولار، والذي زاد بمقدار 30 ملياراً خلال عامين، حيث كان عام 1989م حوالي 151 مليار دولار، وهذا يبين مدى التزايد الكبير الذي يحدث في ميزانية التنصير على مستوى العالم.

وقارب عدد المُنَصِّرين خمسة ملايين ونصف المليون [3].

---

[1] معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير، إبراهيم سليمان الجبهان، ط6، 1413هـ دار المجتمع، جده، ص19.

[2] ذكرها الدكتور إبراهيم النقيثان.

[3] موضع شبكة نور الإسلام، موقع طريق الإسلام.

قرص الشمس اختفى من شدة الرياح الرملية الماتية...!!

في اليوم الحادي عشر من شهر ذي الحجة من عام 1424هـ كانت الرياح شديدة، حتى إنك لا تستطيع الوقوف ثابتاً بسبب شدتها، والصور التي صورناها شاهدة على ذلك، بل عليك أن تغطي وجهك ويديك وقدميك لتلافي لسعات حبات الرمل اللاذعة والمؤلمة! فلقد هاجت الرياح بشكل غير طبيعي، وكأن الصحراء تعبر عن غضبها....؟! واحتجاجها على جرأتنا في خوض هذه المغامرة وتحدي رمالها وكثبانها وكسر كبريائها في الدخول إلى قلب هذه الصحراء، ولكن عندما أرجع إلى نفسي وأحسن الظن بهذه الصحراء فكأني بها تظهر لنا هذه المشاعر الترحيبية الجياشة الممزوجة بعتابها لنا لنسياننا هذه المناطق وتقصيرنا مع إخواننا من أبناء القبائل العربية المسلمة ممن لهم السبق في نصرة هذا الدين، لماذا تركناهم طوال هذه الأزمان لتسلط المستعمرين وسيطرتهم، ثم للفقر الذي يفتك بهم والجهل الذي عاث فيهم رغم أننا نحمل رسالة إيمانية عظيمة لهذه الدنيا...؟!!

اشتدت الرياح الرملية حتى إننا لم نعد نرى قرص الشمس في وضح النهار، فأحيانا يظهر لنا بشكل ضعيف كالقمر، وأحياناً كثيرة يغيب ويختفي تماماً، هذا الهَيَجَان وبهذه الصورة لم يبدأ إلا بعد خروجنا من تلك الكثبان الخطيرة، ولكن ظهرت لنا مشكلة أخرى، وهي أن الرؤيا انعدمت فلم نعد نرى إلا على بعد مترين أو ثلاثة أمتار فقط، وطلبنا من الدليل الذي يركب في صندوق السيارة النزول والركوب معنا في الداخل رغم الزحام خوفاً عليه من الرياح الرملية.

انتظرنا ونحن نسير بالسيارة سيراً بطيئاً جداً «عشرة كيلو مترات في الساعة فقط»، حيث توازي هذه السرعة سير رجل عادي، وذلك بسبب انعدام الرؤية، فعدنا لمشكلة الضياع مرة أخرى، وحاول أبو عطا النزول والجري للتعرف على اتجاه الطريق ولكنه بمجرد أن يتقدم مترين أو ثلاثة يختفي عن أنظارنا وهنا يساورني القلق خشية ضياعه وفقده، أصبح يمشي على قدميه ونحن نسير بالسيارة خلفه، ثم يجري ونحن خلفه إلى أن توقف وقال لي: انتظر سأعود، اختفى عن أنظارنا، تأخر قليلاً، وصلت المدة إلى دقيقة...؟!! ساورني الخوف والقلق...؟!! التفت إلى الدكتور وقلت: يا دكتور قد يضيع ولا يرى السيارة فنهلك كلنا، فقمت بالضغط على منبه السيارة بشكل متقطع حتى يدرك اتجاه الصوت فيهتدي للسيارة ولا يضيع، ولكن الخطر كبير فقد يشتبه عليه مكان الصوت، ومعروف أن الخوف يقضي على حسن التصرف في كثير من المواقف، فكثير من الذين ماتوا في مثل هذه التجارب نستغرب لماذا لم يفعلوا كذا...؟!! ولماذا فعلوا كذا...؟!! ولكن الحمد لله عاد إلينا فطلبت منه ألا يبتعد أكثر من أمتار بسيطة حتى لا يضيع ونضيعه.

العلامات طمرتها الرمال...!! والدخول في صحراء النيجر يعني الهلاك...!!

سرنا على هذا الوضع نحو خمس ساعات، نسير فيها ببطء شديد...!!، تارة يركب أبو عطا، وتارة يسير أمامنا حافيا على قدميه، وفي هذه اللحظات تذكرت انعدام الرؤية، والحوادث التي يسببها كثافة الضباب في المناطق الخضراء رغم البون الشاسع بين الطبيعتين، وبعد ذلك تحسن الوضع قليلاً واتضحت الرؤية إلى عشرة أمتار تقريباً، وبينما نحن على هذه الحال شاهدنا برميلاً طمرت الرمال أكثره، فرح أبو عطا وقال هذا هو الطريق.

وهذه العلامات من أيام الاستعمار الفرنسي، حيث تجد بعد كل كيلو متر واحد برميلاً كعلامة على الطريق، سرنا والفرح يغمرنا في جو من النشوة والسرور بعد الوصول للطريق، لكننا لم نجد البرميل الآخر بعد سير عدة كيلو مترات، لأنه من الصعوبة تحديد اتجاه البرميل الآخر بالضبط، ولا يوجد طريق أصلاً، وهذه الأماكن حتى ولو مرت بها سيارة فإن آثارها تزول خلال ساعات، فكيف بندرة مرور السيارات فيها..!! والبراميل أيضاً قد اندثر الكثير منها تحت كثبان صغيرة من الرمال غطته بكامله، استمر حالنا بهذا الشكل حتى جن علينا الليل وأرخى سدوله، وعند ذلك خفت شدة الرياح الرملية، وأصبحنا نسير بطريقة مسحية حيث نتجه يساراً لمسافة معينة، ثم ننحرف يميناً بنفس الطريقة لعلنا نجد ولو أثراً بسيطاً، كالرجل الأعمى الذي يحرك عصاه يميناً وشمالاً بحثا عن الطريق وخشية الاصطدام، حتى وفقنا الله لأثر طريق لا بأس به في الوضوح، سرنا على هذه الحال فترة جيدة، وقطعنا مسافة مناسبة، وبدأت تتغير طبيعة الأرض حيث ظهر لنا شيء من المراعي البسيطة وبدأنا نشاهد رعاة الإبل خلال فترات متباعدة، حتى الغزلان الجميلة بدأت تكتحل أعيننا برؤيتها، إلا أنه وبشكل مفاجئ انقطع الطريق باعتراض وادٍ منبسط كاد أن يسبب لنا حادثاً لولا ستر الله!

حاولنا البحث عن الطريق ونحن نسير في نفس الاتجاه، إلا أن الدليل أفاد بأنه حسب طبيعة الأرض فإن مدينة «سلال» ليست ببعيدة عنا، وطلب مني أن أستمر في نفس الاتجاه قدر الإمكان لنصل لمدينة «سلال»، وهي ستكون على يميننا، لأننا إذا تجاوزناها باتجاه اليمين وكانت على يسارنا فقد ندخل بالخطأ صحراء النيجر ونضيع فيها.

بئر بالطاقة الشمسية يعيد الحياة للمدينة

بينما نحن نواصل السير تعطل إطار السيارة مرة أخرى فقمنا بإصلاحه وواصلنا المسير، وما هي إلا لحظات حتى ظهرت لنا أرض رملية صعبة، ومع الاستمرار في السير فيها ظهرت لنا أكواخ دائرية

صغيرة عبارة عن بيوت...!!، قال الدليل: هذه هي مدينة «سلال»، فتعجبت ..!! وسألت: هل هذه مدينة «سلال» فعلاً...؟!! قال: انتظر وسترى بعض بيوت الطين والمسجد في قلب المدينة.

كانت «سلال» عبارة عن مدينة صغيرة، هجرها الناس بسبب قلة الماء وكثرة القتلى من الناس والرعاة، بسبب القتال والصراع بينهم على الماء، ولكنها بعد زيارة أحد دعاة المملكة وهو الشيخ الدكتور محمد الخضيري وفقه الله للمنطقة عادت للحياة من جديد، إذ وفقت إحدى المؤسسات الخيرية السعودية وهي المنتدى الإسلامي في حفر بئر بالطاقة الشمسية، وعند ذلك رجع الناس إليها فأصبحت مدينة كبيرة آمنة مطمئنة بحمد الله!.

المؤسسات الخيرية الإسلامية شموع مضيئة في بحور الظلام الحالك

يا الله...!! كم لهذه المؤسسات الخيرية من ثمار خير لإخواننا المسلمين في هذه المناطق وغيرها...؟!! فهل هذا هو الإرهاب الذي يدعيه الإعلام الغربي وأبواقهم من بني جلدتنا، ويقذفون به المؤسسات الخيرية الإسلامية وخاصة المنطلقة من بلاد الحرمين الشريفين...؟!!

إن لهذه المؤسسات بصمات أبكت الحاسدين وأحرقت قلوبهم، وملأت صدورهم قيحاً وصديداً انطلاقاً من الحقد والكراهية، حسدًا من عند أنفسهم...!! بل وأقضَّت مضاجع المتربصين وأرّقت عيونهم، وأحزنت القساوسة المُنَصِّرين، وأضعفت هممهم وخيبت آمالهم، ولكن السؤال المحير للعقلاء من الأمة: هو لماذا يتسلط أناس من أبناء جلدتنا، وينطقون بألسنتنا، ويتسمون بأسمائنا على هذه المؤسسات الخيرية...؟!! التي انتشر نورها وبريقها في أرجاء المعمورة، وأصبحت مشعل هداية يهتدي به كثير من المسلمين وغير المسلمين...!! بل حتى بلادنا وحكوماتنا في الخليج التي يكثر حاسدوها بسبب ما أفاء الله عليها من خيرات فإن هذه الأعمال الخيرية رفعت ذكرهم وألهبت الألسنة بالدعاء لهم بالتوفيق والبركة، حتى وإن كان التبرع من مواطنيها عبر مؤسساتها الخيرية لأنها هي التي سمحت وشجعت وباركت هذه الأعمال الخيرية ودعمتها، فانتشر خيرها وذكرها حتى في أدغال ومجاهيل أفريقيا وآسيا...!!

والله إن الحليم ليقف حيران من هؤلاء الذين ناصبوا العمل الخيري ومؤسساته العداوة، بل أصبحت مبادراتهم في تشويه العمل الخيري الإسلامي مشهورة...!!، هل هي إرضاءٌ للغرب ومخططاته...؟!! أم هي سذاجة وسطحية في الإدراك والثقافة والتفكير، وجهلاً بالدين وثوابت هذه البلاد المباركة...؟!! أو أنه ترديد لنعيق الحاسدين من كتّاب الصحف الغربية...؟!! أم ران على قلوبهم فأصبحوا لا

يبصرون النور...؟!! بل أصبح بعض الطفيليات من هؤلاء الكتاب والذين يفتكون بجهاز المناعة في جسم هذا البلد المبارك خطراً على سمعة المملكة والخليج وأهله، لأن العالم أصبح كالقرية الصغيرة وعيون الأجهزة الأمنية ووسائل الإعلام الغربية المتصهينة ترصد ما يكتب في صحفنا، ويستفيدون مما يسطره هؤلاء من تشكيك ولمز بالعمل الخيري، وتهم بعيدة عن الحقائق، فتكون وجبة دسمة لصحفهم وأجهزة استخباراتهم.

ويجب علينا وعلى المسؤولين أن لا يستهينوا بالأمر باسم حرية الصحافة والرأي، لأن المتابع للأحداث والهجوم الغربي على المؤسسات الخليجية الخيرية يجد أن أغلب الاتهامات الغربية لهذه المؤسسات يستند على تقارير صحفية سخيفة وعديمة المصداقية، بل ومضحكة ومثيرة للاشمئزاز. وعندما عجزوا عن إثبات صلة هذه المؤسسات بالإرهاب لجؤا إلى حيلة الأدلة السرية والتي جعلت القضاء والعدل الأمريكي موضع نقد وسخرية العالم عامة والغربيين أنفسهم خاصة بل ومن المشاهير من مفكري أمريكا ورجال القانون، ومن أراد أن يطّلع ويتوسع في هذا الأمر فليرجع إلى كتاب بعنوان «ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب» للدكتور محمد عبد الله السلومي حفظه الله ورعاه.

ولكنها سنة الله في الكون، وحقيقة الصراع بين الخير والشر، والحق والباطل، فظهر من يكيل لهذه المؤسسات الخيرية الإسلامية التهم الباطلة، ويتربص بها. والله غالب على أمره، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

الخطيئة الكبرى ووصية الملك ليوبولد الثاني ملك بلجيكا!!

عند مقارنة أعمال المؤسسات الخيرية الإسلامية بطلائع جموع المُنَصِّرين عندما نزلوا في القارة الأفريقية وما تلاها من نتائج ندرك الخطيئة الكبرى التي اقترفتها الكنيسة وما زالت، سواء أكان ذلك بنشرها لدين تم تحريف تعاليمه وتشويه عقيدته «بالإشراك مع الله، وتنكب التوحيد الذي دعا إليه جميع الأنبياء إلى التثليث، وتحويل المسيح عليه السلام من رسول كريم إلى إله يعبد وقالوا هو ابن الله»!!

ولا غرابة أن يكون شاؤول اليهودي والذي يسمى بولس هو أول من دعا إلى التثليث، وأدخل هذه العقيدة الفاسدة والدخيلة إلى المسيحية التوحيدية الأصل [1]، فأصبح يناقض العقل والفطرة السليمة»، أو بنهج الكنيسة للفوقية في التبليغ والإنقاذ للشعوب الأفريقية حسب زعمهم انطلاقا من الرسالة المشهورة للملك ليوبولد الثاني ملك بلجيكا الذي وجه رسالة سرية إلى القساوسة المتوجهين إلى أفريقيا وصدّرها بقوله: (آباؤنا المبجلون.....) حيث يحثهم فيها على إذلال الأفريقي، وغرس

---

[1] التنصير، مفهومه، أهدافه، وسائله، سبل مواجهته، علي إبراهيم النملة، الرياض، ط4، 1426هـ، ص38.

حب الفقر في نفسه ليبقى ضعيفاً فقيراً، وتعويده على الاعتماد غيره، وأن الجنة لا يدخلها إلا الفقراء حتى يسهل عليهم بعد ذلك نهب ثروات البلاد الإفريقية! ولذلك فإنه يزول استغرابنا من تقدير أبناء تلك الشعوب أو المسؤولين والوجهاء لنا هناك عندما نقابلهم. وهذا نص الرسالة [1]:

«آباؤنا المبجلون، مواطنونا الأعزاء، مرحبا بكم في وطنكم الثاني الكونغو البلجيكية، إن المهمة التي كلفتم بأدائها حساسة جدا تتطلب كثيراً من الحذر والحيطة».

أيها الآباء إنكم جئتم للتنصير، ولكن هذا يجب أن يكون ممثلا لروح أهدافنا الكبرى، وقبل كل شيء منفعة بلدنا الأم. وليس من أهدافنا الأساسية جعل الأَسْوَد أن يعرف الله وهو يعرفه من قبل، هو يثرثر ويأكل «زامبي»، و«أنغولا» [2] وماذا يعرف أيضا؟ لا يعرف غير القتل ومواقعة زوج غيره، وكلام فارغ، والظلم، إلى آخره.. وهذا مكروه.

فلتكن لديكم الجسارة الكافية لتقولوا لهم: إنكم لم تأتوا لتعلموهم ما كانوا يعرفونه، ومهمتكم تكمن أساسا في تسهيل المهمة للإداريين والصناعيين، وهذا يعني تفسير الإنجيل بطريقة تخدم مصالحنا في هذا العالم وليتم ذلك عليكم بالتعليمات التالية:

1- جردوا المتوحشين من الاستفادة من غناهم الطبيعي، واذبحوا أرضهم، وانهبوا ثرواتهم الباطنية، وامنعوهم من الاهتمام والتفكير بثروتهم ومزاحمتنا والحلم يوما بمناقشتنا. ومعرفتكم بالإنجيل تسمح لكم أن تجدوا بالسهولة النصوص التي تنصح بحب الفقر والفاقة، على سبيل المثال ما ورد في إنجيل متى، الفقرة الخامسة، الآية 12، ولوقا، الفقرة السادسة، الآية من 20 – 24 «طوبى للفقراء لأن ملكوت السماوات [3] تكون لهم» «لا يدخل ملكوت السماوات الغني حتى يدخل الجمل في سم الخياط».

2- أن تُؤَمِنوا للإداريين والصناعيين ثورة هؤلاء واللجوء إلى الانتقام، ولا تعطوا للأَسْوَد راحة حتى لا يفكر في الانتقام، ولذلك انصحوهم ليتحملوا كل شيء، وأن يتبعوا القديسين الذين تحملوا العذاب ودون التشكي من الأعداء حسب إنجيل متى.

3- يجب الاستهزاء بكل ما يعطيهم الشجاعة لمواجهتنا، وأن تجعلوا طقوسهم الحربية وهمية، ولا تنتظروا من كبار السن أن يتركوها أو يهملوها ولكنكم تحاولون مع صغار السن، أما كبار السن فسيذهبون.

4- ركزوا بصورة خاصة على الخضوع والطاعة العمياء، وهذا يكون طالما ابتعدتم عن روح النقد، فتجنبوا في مدارسكم روح النقد ومواضع النقد، وعلموهم الإيمان والاعتقاد بالشيء لا على تمنطق الأشياء، وابنوا نظاما نفسيا وروحيا يمكنكم من إقناع كل أَسْوَد له روح الاستقلال بأنكم أحكم منه.

---

[1] من كتاب تاريخ ملوك البرتغال لفيرماندوس داسيلفا.

[2] أكلات أفريقية مشهورة في منطقة الكنغو.

[3] ملكوت السموات في الإنجيل تعني (الجنة).

5- علموهم أشياء أنتم أنفسكم لا تستطيعون العمل بها، وإذا قالوا لكم: لماذا تفعلون عكس ما تُعَلِّمون الناس؟! قولوا لهم: أنتم اتبعوا ما نقوله لكم وإذا رأيتم أنهم غير مقتنعين قولوا لهم: ما أسعد أولئك الذين يقتنعون ولا يتضجرون أو يحتجون!

6- قولوا لهم: إن أصنامهم يغشاها الشيطان إن لم يذهبوا بها إلى متاحفنا وإلى الفاتيكان.

7- لا تقدموا كرسيا للأَسْوَد عندما يأتي عندكم ولا سيجارة، ولا تدعوه إلى طعام العشاء.

8- اعتبروا كل السود مثل الأطفال، وحتى ما بعد الاستقلال وأكدوا لهم على أن ينادوكم بأبي.

9- اصرخوا عليهم عندما يحتجون على تعذيبكم لهم، أو عندما يطلبون منكم أن تتوقفوا عن استغلالهم وغشهم.

وهنا ـ مواطني الأعزاء ـ بعض الأمور العملية والتطبيقية التي يجب أن تتحلوا بها دون إهمال. وهناك الكثير الذي سيأتيكم مكتوبا في نهاية هذه الجلسة. والملك يعطي أهمية كبيرة لبعثتكم التبشيرية، وقرر أن يسهل لكم أموركم، وتتمتعون بحماية الإداريين، وتحصلون على مال للتبشير ولتنقلاتكم، وتمنحون أراضي للبناء، وتحصلون على أيد عاملة مجانا من التلاميذ.

وهكذا آبائي المبجلون ومواطني الأعزاء أبلغتكم ما طلب مني أن أعلمكم في هذا اليوم.. يد في يد لعظمة وطننا، عاشت السيادة وعاشت بلجيكا.

كان ذلك في عام 1920 على لسان الوزير رنكين (من كتاب تاريخ ملوك البرتغال لفيرماندرس واسليفا).

إن المقارن بين أحوال إفريقيا اليوم ومحتويات هذه الوثيقة لا يجد فرقا بين اليوم وأيام كتابة هذه الوثيقة بالرغم من أن انسحابا عسكريا أوروبيا قد حدث، ولكن التنصير كما كان خير ممهد للاستعمار (بل للاستهدام) فإنه أصبح خير وريث للقوى الاستهدامية (الاستعمارية).

إن انتشار التنصير ودخول كثير من الأفارقة في النصرانية ليس إلا بسبب تقصيرنا، لأننا نملك القوة الحقيقية، فديننا الذي ندعو إليه هو دين الفطرة البشرية، وفيه الحرية بمفهومها الراقي الإنساني التي لا تسيء إلى حرية الآخرين، وأساس الحكم فيه الشورى التي تسقط أمامها الديمقراطيات الخادعة وشعاراتها البراقة.

أما ما يحمله القساوسة مما يسمونه الكتاب المقدس ففيه ما يهدم دعوتهم ويقوض جهودهم لمخالفته الفطرة البشرية، ولأن أيدي البشر امتدت إليه وحرفت فيه الكثير باعتراف المؤرخين من النصارى، بل والمبشرين والقيادات النصرانية منهم عبر التاريخ والتي بلغت 40 ألفاً من الأخطاء

حسب اعتراف القسيس «فرنج» ،والقسيس «بافندر» في المناظرة الكبرى في شبه القارة الهندية مع الشيخ رحمة الله الهندي [1]. وليس المجال يتسع لسرد ذلك، وبيان التناقضات والأخطاء، فهذا ما أقوم به الآن في رسالتي الماجستير والتي تتحدث عن اكتشاف «إنجيل يهوذا» وهو مخالف للأناجيل الأربعة القانونية الموجودة عندهم الآن...!! ولكن أكتفي برفع همة العاملين في الحقل الدعوي وكل مثقف غيور على دينه، وذلك بأنه ورغم حجم إمكانات المُنَصِّرين ومؤسساتهم الضخمة في أفريقيا فإننا لو استطعنا أن نبين لأبناء القارة الإفريقية أنهم وحسب الكتاب المقدس عند النصارى فإنهم بمنزلة دونية بناء على قصة أبناء نوح عليه السلام (سام ويافث وحام)، وهي كما وردت في سفر التكوين: «كان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك ساماً وحاماً ويافث، وحام وهو أبو كنعان، هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح، ومن هؤلاء تشعبت كل الأرض».

وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً، وشرب من الخمر فسكر وتعرّى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً. فأخذ سام ويافث الرداء. فلم يبصرا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير، فقال: ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته، وقال مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبداً لهم، ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبداً لهم». سفر التكوين (9 من 18:27).

(هذا النص المحرف أعتذر للقارئ عن إيراده، وحاشا لله أن يكون هذا من كلامه، وتنزه نوح عليه السلام من هذا الهراء والخرافات ! ولكن لنبرهن على حقيقة أن التعامل الاستعماري الغربي مع الأَسْوَد والملونين مبني من الناحية النفسية على ما يعتقده من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد) بسبب خطيئة حام بن نوح عليه السلام وابنه كنعان، وهو ذو البشرة السوداء لأنه ضحك على أبيه عندما سكر وتعرى، وعندما أفاق نوح - عليه السلام -، من سكره وعرف ما حدث قال: كنعان بن حام عبد العبيد يكون عبداً لأخيه... إلى آخر القصة.

أقول: تعالى الله أن يكون هذا من كلامه وتنزه نبي الله نوح - عليه السلام -، من هذا الحديث والكذب!! ولكن ذكرناه هنا ليدرك الناس بطلان دعوات هؤلاء المُنَصِّرين، وسهولة نقض جهودهم إذا وجدت الإرادة والهمة والنشاط. هذا الاستعلاء من الأوروبي الأبيض الذي من نسل يافث بن نوح عليه السلام، على الرجل الأَسْوَد الذي يعتبرون أنه من نسل كنعان ابن حام صاحب الخطيئة والسخرية ورؤيته عورة أبيه، إنما هي الفوقية التي تشربها من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد عند النصارى، لذا يرون أن اغتصاب أرضهم، ونهب ثرواتهم، وانتهاك إنسانيتهم واسترقاقهم إنما هو عقاب إلهي من خطيئة أبيهم حام ولعنة أبيه نوح عليه السلام!

ناهيك عن بعض الحكايات والأساطير التي تفرعت عن العهد القديم وانتشرت، وكلها تعلي من شأن

---

[1] المناظرة التاريخية بين الشيخ رحمه الله الهندي والقسيس بافندر حول مبحث النسخ وتحريف التوراة والإنجيل، تحقيق وتقديم د. أحمد حجازي السقا، ط2، مكتبة الجيزة، 2005م ص65.

الرجل الأبيض وتصفه بالنقاء والطهارة وتحط من قيمة الإنسان الأَسْوَد، وأن لونه الأَسْوَد إنما هو آية على غضب الله عليه. ومن أمثلة هذه الأساطير التي اختلقها الرجل الأبيض: أن الله قد خلق الخلق سودا كلهم وهيأ لهم جميعا الفرصة لكي يتطهروا، فاغتسل البيض وابيضت أجسامهم أما الزنوج فلم يُنَظِّفوا إلا راحة أيديهم...، وغيرها من الحكايات والأساطير الخرافية...!! فالشعارات البراقة للحرية والمساواة يكذبها واقع الأفعال العنصرية.

«منتسكيو» أحد مشاهير قادة الثورة الفرنسية يقول...؟!!

يقول منتسكيو [1]: «إذا طلب مني أن أدافع عن حقنا المكتسب لاتخاذ الزنوج عبيدًا، فإني أقول: إن شعوب أوروبا بعد أن أفنت سكان أمريكا الأصليين، لم تر بدًا من أن تستعبد شعوب أفريقية التي تستخدمها في استغلال كل هذه الأقطار الفسيحة، والشعوب المذكورة ما هي إلا جماعات سوداء البشرة من أخمص القدم إلى قمة الرأس، وأنفها أفطس فطساً شنيعاً، بحيث يكاد أن يكون من المستحيل أن ترثي لها، ولا يمكن للمرء أن يتصور أن الله سبحانه وتعالى - وهو ذو الحكمة السامية - قد وضع روحاً - وعلى الأخص روحاً طيبةً في داخل جسم حالك السواد ... » [2].

هذه الحكايات والأساطير والتفاسير والنصوص تعطينا الخلفية الثقافية والدينية التي ساهمت في تشكيل وجدان أوروبا الاستعمارية، وهي خلفية عنصرية أذكاها اختراع الأوروبي للبارود والمدفع، وابتكاره لوسائل الإشباع المادية، وتفوقه التقني الواضح.

فإذا عرف الأفارقة بأنهم محتقرون لدى الأوربي النصراني الأبيض وأنهم عبيد لأجل لونهم الأسود وبناء على هذا النص والقصة فما موقفهم...؟!! ويذكر لي أحد الدعاة المشهورين المتخصصين في دراسة النصرانية وهو الدكتور حقار أنه بهذه المعلومة أدخل بعضاً من أشهر القساوسة ذوي الأصول الأفريقية في أوروبا في الإسلام بعد رجوعهم للنص في الكتاب المقدس، عندهم وتفسيره، ولله الفضل من قبل ومن بعد...!! ولكن أين العاملون...؟!!

سبحان الله إنه فرق شاسع وموقف مغاير بين ما سُطِرَ في ما يسمى الكتاب المقدس وبين ما شرعه دين الإسلام من سواسية الناس، وتفاضلهم بالتقوى وحسن الخلق والعبادة الخالصة لله وحده دون شريك . فالإسلام وُصل ويؤكد أن المؤمن أخو المؤمن دون النظر للون أو عرق، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول «لا فرق بين عربي ولا أعجمي ولا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى»، وأن الإسلام جاء ليحرر العبيد فَسَنَّ الكَفَّارَات بالعتق للرقاب، وضيق على موارد الرق، ورتب الأجر العظيم لمن يحرر الرقيق. ويكفينا أن نعرف أن بلالاً الحبشي الأسود هو مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن المقربين له، بل وبشره بدخول الجنة لقربه من الله، ولم يختلف في هذه المبادئ أحد من المسلمين.

---

[1] أحد مشاهير قادة الثورة الفرنسية.

[2] حقائق ووثائق دراسة ميدانية عن الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي، د. عبدالودود شلبي، جده، الدار السعودية للنشر، ط1، 1409هـ، ص137.

وعندما دخل الإسلام إلى إفريقيا أدخل معه التسامح والعدل والإيثار وصلة الأرحام والترابط الأسري، ولكن الوقائع والتاريخ وحتى الأقوال والدراسات الأوروبية أثبتت أن أوروبا استخدمت الديانة المسيحية لاستعباد الإنسان الإفريقي وثقافته، والنيل من إنسانيته وكرامته وإذلاله. فبينما فَهِمَ الأوروبي الذي يعتبر نفسه من نسل يافث من الكتاب المقدس النصوص التي تعلي وتؤكد توجهاته الفوقية فقد قدم رجال الكنيسة للإفريقي النصوص التي تدعوه للإذعان والخضوع كما في بعض النصوص في إنجيل متى مما يصب في مصلحة المستعمر الأبيض، بل في بعض الأنظمة العنصرية (كالابرتهيد) [1] يكرس التمييز بين الأجناس، ويمنع البيض من إقامة العلاقات الاجتماعية مع السود حتى ولو كانوا ينتمون للمسيحية.

توافد الناس بعد رؤيتهم لوصول سيارتنا إليهم ليلاً، وتحلقوا من حولنا، وتحدثوا مع رفاقهم بلغتهم القرعانية - فهذه المنطقة تسكنها قبائل القرعان التي نزحت من جنوب الجزيرة العربية، ولها امتداد حتى في النيجر - ورحبوا بنا، ثم طلبوا منا المبيت والضيافة، فاعتذرنا لهم وذلك لطول المسافات وضيق الوقت، إنهم أناس قد نزدريهم بنظرتنا السطحية الساذجة حين نراهم رعاة بدواً من الصحراء، بقايا قبائل عربية، فلباسهم يدل على فقرهم. ولكن الحقيقة أنهم مع فقرهم يزهو عزهم بإسلامهم، وتظهر نخوتهم وعروبتهم، هؤلاء وآباؤهم وأمثالهم من القبائل العربية الأخرى كقبائل البدايات وأولاد راشد والمحاميد وبني سليم وأولاد مالك...، وغيرهم من القبائل المسلمة الأخرى، هم الفرسان الذين كان لهم السبق مع إخوانهم المسلمين الذين كسروا شوكة المستعمر، وأخرجوه من تشاد يجر أذيال الهزيمة، ويتجرع مرارتها، وقد خلف فيها عزائم صلبة، ورؤوساً مرفوعة لأبناء هذا البلد الذي لم يثنِ عزيمته كثرة الأيتام وصفوف الأرامل، وجموع المعوقين من آثار مقاومة وجهاد المستعمر الغاصب، الذي فتك بالعلماء، وأشاع الخراب والفساد، وسلب الثروات، وأهلك الأخضر واليابس، وقضى على الحرث والنسل، حتى هب أبناؤه البررة لحماية الدين وتحرير الوطن، ولم ينس التاريخ مذبحة «كُبْكُب» في دار ودَّاي شرق تشاد حينما دعا المستعمر الفرنسي «400» عالم بزعم شكرهم على جهود إنشاء المؤسسات التعليمية، واستتباب الأمن والتشاور معهم، فخدعهم، ولم يقتلهم حتى بالرصاص، وإنما قتلهم بالساطور وهو الترجمة العربية لكلمة «كُبْكُب» بالفرنسية (أي الساطور) حتى لا يسمع لهم صوت، وقد ذُبحوا غدرا بليل، وقد دون هذه الحادثة المؤرخ الألماني «جوستاف ناختيجال» و«كرستوفر دنهام»، وقبلها مذبحة أراده بسبب ثورة عبود ولد شرارة «أو عبود المحاميد» التي قتل فيها أكثر من 370 من الرجال العزل.

هذه كلمات يسيرة وقليلة في حق هذا الشعب الفقير في دنياه العزيز في دينه وتاريخه! أسطرها تقديراً وحباً له، فقد عشت سنوات أزور هذه المناطق وأتجول فيها، وما زادني ذلك إلا شغفاً بها واعتزازاً بأهلها، حتى شعرت بأني جزء من هذا الشعب الأبي الشامخ.

---

[1] الابرتهيد: القانون العنصري في جنوب أفريقيا سابقاً.

خاطرة: لابد من الاهتمام بالباحثين والرحالة:

من أمثال ميشيل فالي (الملقب بمجنون الصحراء أو عاشق الصحراء)

والحقيقة الملاحظة أن كثيراً من الباحثين وإن اختلفت أهدافهم فإن منهم من يتشرب حب القبائل العربية المسلمة، ويعجب بمبادئها، وينافح ويدافع عنها.

فهذا ميشيل فالي والذي يسمى مجنون الصحراء، فقد سمعت عنه كثيراً من الدكتور حقار ومن بعض العرب في فرنسا، وحدثني عن مغامرات هذا الرجل، وصبره في الصحراء الإفريقية، بل يعتبر الرجل الذي جعل شعب وقبائل الطوارق من أشهر شعوب العالم من خلال رحلاته وكتاباته ومحاضراته عنهم، وهو صاحب موسوعة الطوارق، وهبه الله البراعة الفائقة والسرعة في الرسم حتى إنك لتظن في بعض رسوماته بأنها صورة حقيقية، له فلسفة خاصة في الدين مع احترامه الشديد للمسلمين والقبائل العربية في الصحراء وخاصة الطوارق، بلغ من العمر إحدى وثمانين سنة ولم يتزوج، عاش أكثر من خمسين سنة في الصحراء الأفريقية عندما كان جنرالا في الجيش الفرنسي المستعمر للجزائر، وعندما ترك الجيش بدأ البحث والترحال في الصحراء الكبرى بين قبائل الطوارق . وُصِفَ بأنه من أشجع الضباط وأدقهم ملاحظة فهو يقول عن نفسه: إن الله وهبه قدرة على الملاحظة الدقيقة، ولا ينسى ما يراه حتى بعد سنوات طويلة. بعد تقاعده من الجيش درس الماجستير والدكتوراه في الأدب والتاريخ وعين باحثا في مركز سِنْرِس (للباحثين المتميزين جدا) في فرنسا، ثم رجع إلى إفريقيا كباحث عشق الصحراء صغيراً، وحصل على وسام رئيس الجمهورية، وأثناء خدمته بالجيش اختير من المجموعة الخاصة لقيادة الجمال ومراقبة الأوضاع في صحراء الجزائر مما جعله يدرك خطورة الصحراء والعيش فيها وتعود الصبر على العطش.

بعد المجاعة الكبرى التي حلت بمناطق الطوارق وخاصة النيجر، واضطرار النساء لبيع حليهن تتبعها ورسم كثيراً منها لتبقى تراثا محفوظا للأجيال القادمة.

حاولت مقابلته قبل أكثر من سنتين عند زيارتي لجنوب فرنسا رغم ترحيبه، ولم يتم ذلك لضعف التنسيق. حرصت على لقائه، فهو مدرسة حقيقية فيما يخص الصحراء، أحببت الاقتراب منه والتعرف عليه للاستفادة من الجوانب الإيجابية التي يتميز بها والخبرات التي يمتلكها، فهو مخزون هائل من الخبرات والتجارب والرحلات الصحراوية.

كانت له مواقف إنسانية أثناء خدمته في الجيش الفرنسي في الجزائر حيث كان يعارض كثيراً من التجاوزات والظلم، وعانى الكثير نتيجة تلك المواقف. تتعجب كثيراً أثناء مرافقته والتعامل معه من

الصورة بالأعلى: الباحث ميشيل فالي يستمع للشرح عن الهيئة العالمية للتعريف بالإسلام من أبو الوليد.

صبره وتواضعه وأخلاقه رغم مكانته وكبر سنه، حاولت مع الدكتور حقار أن نرتب له زيارة للمملكة العربية السعودية ليتعرف على الحضارة والمدنية والتطور التي عاشته المملكة، والذي كان له تأثير على كثير من الباحثين والمسؤولين الغربيين، وتعديل نظرتهم السلبية للعرب والمسلمين مثل وزير الخارجية الفرنسي السابق «هيرفي دي شاريت» «Herv – de. Charr-te» والمستشار في الرئاسة وخاصة فيما يخص الشرق الأوسط حاليا، والذي ألقى محاضرات في فرنسا للدفاع عن المملكة وشعبها، وفند مزاعم الإرهاب والوهابية التي تروج له آلة الإعلام الصهيونية والغربية المتصهينة، وقام بتأليف كتاب عام 2008م بعنوان «على الغرب أن يحترم العقل الذي تحت العقال». فقد كان حضوره لمهرجان الجنادرية وما لقيه من ضيافة وحسن استقبال وحسن تعامل من هذا الشعب ومسؤوليه، كان له أجمل الأثر في نفسه، فكان هذا الكتاب دفاعا منصفا من خلال الوقوف على الواقع.

بعد عرض الأمر على فضيلة الشيخ الدكتور إبراهيم أبو عباة رئيس جهاز التوجيه والإرشاد في الحرس الوطني تبنى الرفع للمسؤلين بدعوة الباحث ميشيل فالي وتمت بحمد الله، ودعي لمهرجان الجنادرية لعام 1430هـ، وحاولت مرافقته قدر استطاعتي لانشغال الدكتور حقار وسفره، وزرنا قرية التراث بالجنادرية، وكان لاستقبال، ضباط الحرس الوطني الجميل وكرمهم أجمل الأثر، وختمنا ذلك اليوم

بزيارة مقر خيمة الهيئة العالمية للتعريف بالإسلام حيث أحسنوا الاستقبال وتم إهداؤه مجموعة من الكتب باللغة الفرنسية تتحدث عن محاسن الإسلام، وتعرف به.

شعرت بالتعب من المشي، وقلت له: يبدو أننا أتعبناك بالمشي فضحك، وقال: أبدا، أنا أستطيع أن أجري رغم كبر سني، وبدأ يهرول!

انتهت زيارتنا للجنادرية، وحاولت باقي الأيام أن أكون قريبا منه حتى لا يشعر بالملل لأنه لا يجيد اللغة الإنجليزية، واستعنت بأحد الطلاب الأفارقة ممن يجيد الفرنسية. قبل الذهاب إلى المطار في اليوم الأخير أخبرته بأنني أرغب في استضافته على العشاء في أحد المطاعم فرحب، وكانت تلك الليلة فرصة للحديث عن سيرته الذاتية ورحلاته.

وكنت في بداية زيارته أقمت مأدبة عشاء على شرفه وقد دعوت إخواني وبعض المقربين من عائلتي ممن حرص على أن يرى هذا الرجل ويسمع عن مغامراته في الصحراء...!! لقد تكلم عن رحلاته فكان الحضور ينصتون بشغف، وينتظرون تدفق الكلمات من فم المترجم، وكانت أسئلتهم تنهال عليه للوصول إلى أدق التفاصيل، وقام بالكشف عن ساقه التي ظهر على أغلبها آثار البكتيريا وكأنها تأثرت بالحساسية، وقال: هذه من آثار أمراض أفريقيا وخاصة عندما عبر أحد المستنقعات في النيجر، فأصيب بهذا المرض. وفي نهاية الجلسة عبر عن ارتياحه وشكره على الجلسة والحفاوة.

لقد أدركت أن هذا الرجل يستمتع غاية الاستمتاع عندما يتحدث عن القبائل العربية في أفريقيا وخاصة قبائل الطوارق، فقررنا أن ننسق له مع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية لإلقاء محاضرة عن قبائل الطوارق في المركز، فتم بحمد الله وألقى المحاضرة، وقد كان في غاية السعادة. وفي تلك الليلة التي نزل على ضيافتنا فيها وبحضور إخواني وأقاربي طلبنا منه أن يحكي لنا أصعب المواقف التي مرت عليه في الصحراء فقال:

عندما كنت ضابطاً في الجيش الفرنسي في الجزائر وكنا نقيم بمخيم في الصحراء، وكل فترة تأتينا المؤن عبر القوافل وذلك قبل مجيء السيارات، فكلفت من الحكومة الفرنسية بقيادة مجموعة تتكون من ثلاثين رجلا من الجنود الفرنسيين وبعض الأدلاء من قبيلة الطوارق لاكتشاف الطرق السالكة التي يمكن استخدامها لإحصاء السكان.

عبرت الصحراء بين منطقة «الجير» و«أوقار» و«تاسيلي» حيث مناجم الملح وذلك عام 1959-1960م وكانت المنطقة صحراوية كثيرة الصخور وعديمة الأشجار، وكنت أحمل مذياعاً، وكان معي ضابط فرنسي من أصل أفريقي، وكانت تصل له رسائل كل شهرين، وكان يعامل الناس بقسوة، وكان منغلقا على نفسه ويقرأ الجرائد فقط! أما أنا فكنت أحب الناس والحديث معهم ومساعدتهم، وكان كل واحد

الصورة بالأعلى: الباحث ميشيل تقالي تعبر عن أعجابه بمهرجان الجنادرية

منا في الرحلة يحمل معه قربة ماء للشرب والطبخ ومسح الوجه، فقد كانت درجة الحرارة في النهار تصل إلى 50 درجة مئوية، وفي الليل يكون البرد قارصاً، وكانت الرحلة في الصيف فاستهلكنا الماء، وكانت الأرض رملية يخالطها الأحجار الحادة مما يسبب صعوبة المشي، وكنا نمشي أحيانا أربعين كيلو مترا متواصلا على الجمال، وننزل أحيانا لإعطاء الجمل فرصة للراحة، وكنا متأكدين أن هناك بئر ماء ولكن حينما وصلنا وجدنا البئر خاوية ولم يبقَ معنا إلا القليل من الماء فاضطررنا لترشيد الماء.

وواصلنا المسير واشتد بنا التعب حتى وصلنا للبئر الثانية، ولكن المفاجأة كانت رهيبة، حيث وجدناها أيضا جافة مما أربكنا، وأصبح القلق والخوف يسيطر علينا. وفي المساء ومع مواصلة الرحلة زاد التعب حتى إن بعض الأشخاص بدأ يفقد الوعي أحيانا، وقمنا بلف اللباس على الوجه لتخفيف الحرارة، وقد بدأت أشعر أنني في آخر لحظات حياتي، وأنها بدايات سكرات الموت، فقد بلغ مني العطش مبلغه، وبدأت تجف الشفتان مما صعب عملية التنفس.

وقد اقتربنا من البئر الثالثة، وأثناء السير وقع جهاز المذياع وانكسر، وفقدنا بذلك أي أمل للاتصال، وطلب النجدة. وبلغ مني العطش لدرجة أنني لا أستطيع أن أبصق، فقد جف حلقي تماما، وقد تورمت أصابع يدي، وحتى إن القدمين تنزفان لأن نعال الجلد تقطعت، وأصبح الحصى يدخل ويجرح الأقدام،

وهناك أدركت أنا وأصحابي أننا على وشك الموت وخاصة عندما رأيت رجال الصحراء من الطوارق يرفعون أيديهم إلى السماء ويدعون الله أن ينقذهم، وعندما وصلنا إلى البئر الثالثة وجدناها جافة وقد غطتها الرمال من شدة الرياح.

أما الجنود الفرنسيون فبعضهم لم يعد يستطيع حتى الركوب على الجمل، وجر الجمل بالحبل أيضا متعب، فطلب الضابط الفرنسي الذي هو من أصل أفريقي من الطوارق ما تبقى لديهم من ماء فرفضوا إعطاءه، لأنه كان سيئ الخلق فليس هناك ما يدعوهم إلى التضحية من أجله، فعندما رفضوا ركب الجمل وانطلق بسرعة إلى حافة الجبل لينتحر، ولكن الجمل قاوم خوفاً من السقوط فسقط الضابط، فاقتربت منه وقلت له: إنك إذا أردت الانتحار ووضع حد لحياتك فالأمر لك لأنك تملك الاختيار، أما الجمل فلا اختيار له فاتركه...!! عندها قررت أن أتحمل مسؤولية اتخاذ أصعب القرارات في حياتي، وذلك بتغيير الوجهة!..

فأخرجت البوصلة وتوجهنا إلى بئر ماء في اتجاه غير الطريق هذه، وكنا نسير بالاتجاه بدون طريق مع السير ببطء شديد من شدة العطش، حتى الجمال أصبحت منهكة وعطشى، فأصبحنا نمشي على الأقدام، وكنا نمشي أحيانا خمس ساعات متواصلة مع شدة حرارة الشمس دون أن نركب الجمل حتى يبقى على قيد الحياة، وكانت أصعب اللحظات، فقد نفد الماء تماما وبلغ مني العطش حتى شعرت أنها آخر اللحظات، فقد جف الحلق وتورمت الأصابع والشفتان والقدمان تنزفان الدماء لقد كانت لحظات عصيبة، ولكننا وصلنا إلى بئر وفيرة الماء، وكانت سعادتنا لا توصف...!! وقد أخرج ورقة ورسم بسرعة فائقة خط الرحلة...!!.

سألت «ميشيل فالي» متعجباً، وقلت له: لماذا قررت تغيير الاتجاه بدون وجود الطريق وفي ذلك مغامرة خطيرة، ولم تستمر في الطريق السالكة...؟!! فقال: إذا كنت قائدا فلابد أن تكون على قدر المسؤولية وقد يطلق عليك النار...!! فلابد أن تتحمل لأنك تقود الناس.

كانت لحظات جميلة في تلك الليلة التي قضيناها مع قصص ورحلات هذا المغامر...!! كنت أدعو الله تعالى أن يفتح قلبه للإسلام، فله شهرة واسعة في أوروبا، وقد استغرب بعض الباحثين بمركز الملك فيصل عندما حضرت أنا وميشيل طعام الغداء بدعوة من أمين عام المركز الدكتور الفاضل والأديب المعروف صاحب الخلق الرفيع والذي حاز على جائزة الملك فيصل للأدب وهو الدكتور/يحيى جنيد، وعندما أخبر الحاضرين بأن هذا الرجل العجوز هو ميشيل فالي لم يصدق بعضهم، وقالوا: هل فعلا هو ذلك الباحث المشهور، وفجأة انطلق أحدهم يتكلم الفرنسية مع ميشيل فالي. نسأل الله تعالى أن يفتح قلبه للإسلام.

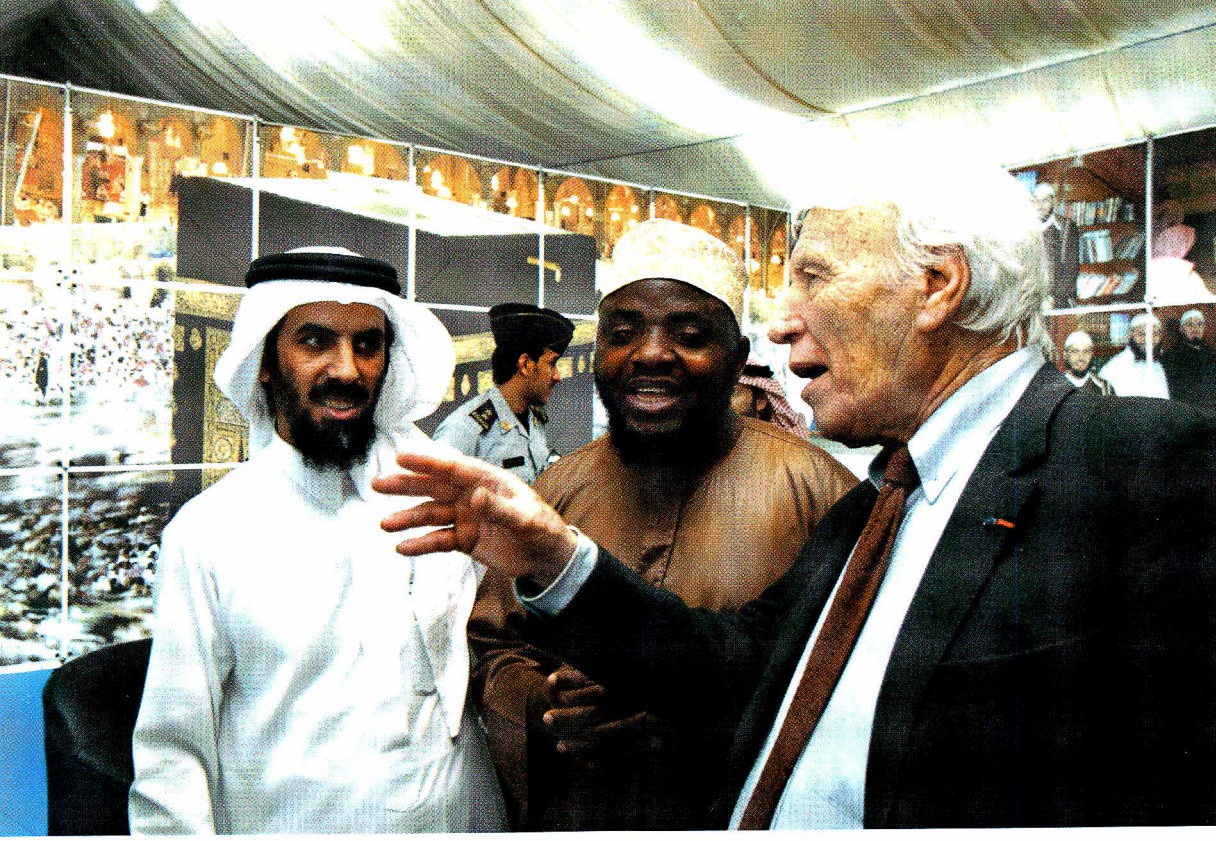

الصورة بالأعلى: الباحث ميشيل فالي يتذكر بعض رحلاته في الصحراء.

ودعت ميشيل فالي الساعة الثالثة ليلاً في المطار، وقبل أن يغادر كتب لي على ورقة رسالة للذكرى بدأها بقوله: من الصحراوي العجوز إلى الصحراوي الشاب...».

وبحمد الله وأثناء وضع اللمسات الأخيرة على هذا الكتاب وصلني خبر من فرنسا بأنه كتب مقالا في إحدى المجلات الفرنسية يتحدث فيها عن زيارته للمملكة العربية السعودية، والحفاوة التي لقيها، ولم يخف رغبته بالرجوع مرة أخرى ولمدة أطول.

رسم توضيحي للرحلة التي كاد أن يموت فيها ميشيل ومجموعته في الصحراء

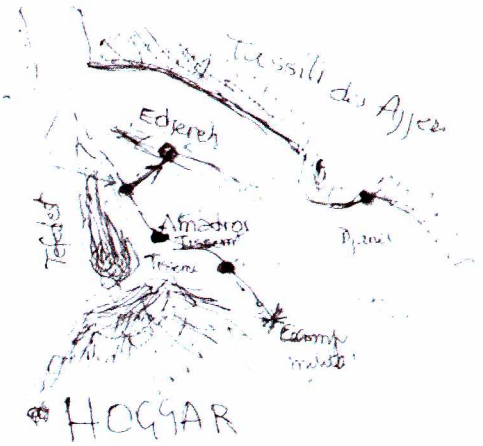

un vieux bédouin du Sahara
a un jeune et dynamique bédouin d'Arabie
qui ont le même désir d'aider les populations
nomades dans le désert

ترجمة الرسالة الموجهة من ميشيل فالي إلى صديقه خالد الطويل: «رسالة من عجوز بدوي محب للصحراء إلى شاب حيوي بدوي من المملكة العربية السعودية الذي عنده نفس الحب لمساعدة الشعوب التي تعاني من البؤس».

عندما سألته عن كيفية الوصول إلى منطقة تبستي أخرج ورقة وقلماً ورسم هذه الخارطة المبسطة توضح كيفية الوصول إلى المنطقة عن طريق النيجر أو تشاد أو ليبيا أوالجزائر وكان يرسم بمهارة عالية وسريعة.

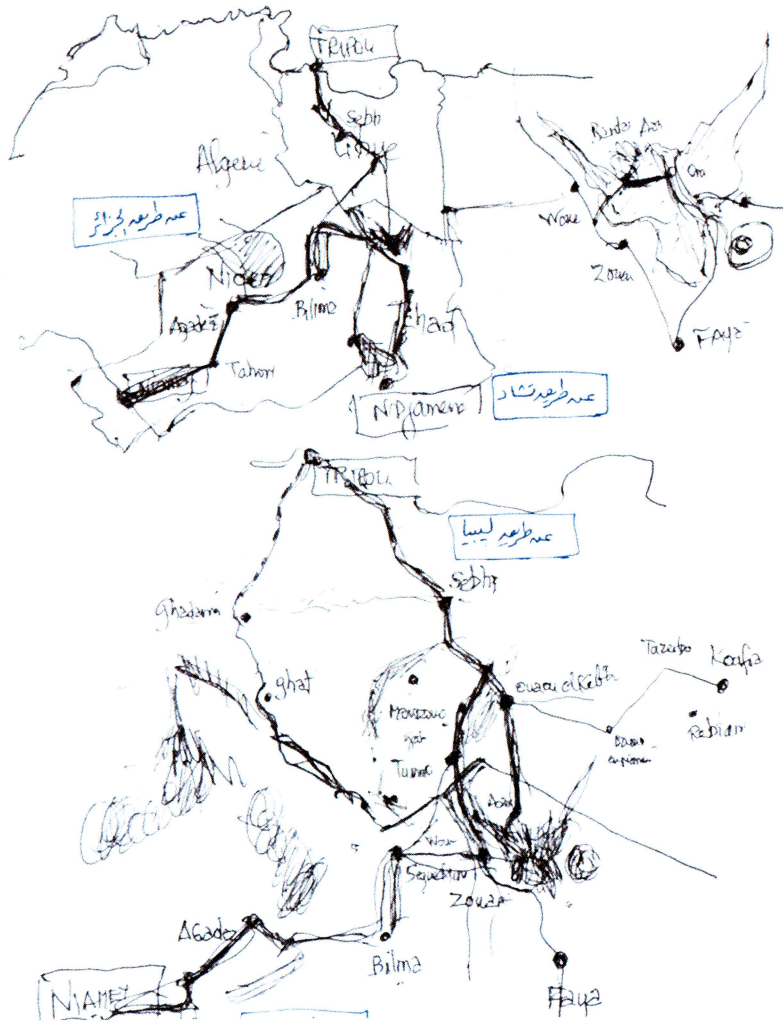

ملاحظة مهمة جدا...

لابد أن يتنبه القارئ إلى أننا عندما نتحدث عن الغربيين أو الأوروبيين أو القساوسة بشكل عام فإن هذا لا يعني التعميم على الجميع. فليس الجميع يحمل نظرة الفوقية في التعامل مع الآخرين، وليس كل القساوسة ورجال الدين النصارى في أفريقيا يحملون النية السيئة في استغلال الفقر والجوع لمصالح شخصية واستعمارية، وإن كان هذا النهج عام وواضح في خطط ومؤتمرات التنصير والمُنَصِّرين ومؤلفاتهم، وقد وجدنا أناساً منهم يحملون النية الصادقة، ويريدون الحق فعلاً وعندما يصلهم شيء عن الإسلام فإن منهم مَنْ يسلم أو يبقى على مسيحيته ولكن يحترم الإسلام ويقدر المسلمين!

وحتى بعض الغربيين ممن يعملون في مجال العمل الإنساني التطوعي تجد لهم أعمالاً إنسانية بحتة، ومنهم من قضى سنوات من عمره في ذلك حباً في خدمة الإنسانية فقط حتى وإن كانت فئة قليلة منهم. ولنا تواصل وتعاون مع أفراد ومؤسسات من هذه الفئة فيما يخدم الشعوب الإفريقية في النواحي الإنسانية والاجتماعية والتواصل الحضاري.

حليب الإبل الملوث كاد يقتلني

انتظرنا قليلاً في مدينة سلال للراحة، فأحضر بعضهم حليب الإبل إكراماً لنا، فأضأت الكشاف على وعاء الحليب الذي اختلط ببعض الشوائب، وظهرت فيه حبيبات سوداء فلم تقبله نفسي، ولم أشرب منه! بينما شرب أصحابي وعلى رأسهم الدكتور حقار، ثم إنني راجعت نفسي، فقررت أنني ابن الصحراء الذي عبر غمارها ولا بد أن أتأقلم معها، فشربت في غياب ضوء الكشاف حتى أستطيع تجرعه، ثم تهيأنا للرحيل، فقد كنا في شوق للاقتراب أكثر من العاصمة «أنجامينا».

انطلقنا باتجاه مدينة بحر غزال، والتي تشتهر باسم «موسورو» وهي الترجمة الفرنسية لها، ثم توقفنا بعد مسافة قصيرة لم تتجاوز خمسة كيلومترات، حيث أصبت بنزلة معوية حادة، وبدأت في الاستفراغ بشدة بعيدا عن أصحابي، حتى إنني وقعت على الأرض من شدة ما أصابني، وبلغ مني الجهد من ذلك مبلغا عظيمًا، حتى ظننت أنها سكرات الموت، ويظهر أنها من آثار الحليب الملوث، و كان لا بد لنا من مواصلة السير، فمررنا على مدينة بحر غزال مرور الكرام، ولم نتوقف لأننا في شوق للوصول إلى العاصمة بعد طول غياب، حيث تسكن فيها قبائل القرعان العربية الذين بمجرد معرفتهم بشخصية الدكتور حقار فستنهال الدعوات وطلب اللقاءات والزيارات فنتأخر. وأيضا سبق أن مررنا بها وتوقفنا في بداية الرحلة حيث حرصنا أن يكون الدكتور ملثماً حتى لا يتعرف الأهالي على شخصيته.

وبينما نحن نسير في الطريق شاهدنا شاحنة متوقفة، وكان بجوارها رجال ونساء وأطفال في منطقة هي عبارة عن واد متسع تتخلله الأشجار، وطلبوا منا الطعام، وحين سألناهم عن خبرهم..!! قالوا: تعطلت سيارتنا ونحن هنا منذ عشرين يوماً، ولا نستطيع أن نمشي ونترك سيارتنا، وقد نفد طعامنا، فزودناهم ببعض الطعام ودعونا الله لهم بالإعانة. وعند ذلك أدركنا حجم المعاناة التي يواجهها الناس في مثل هذه الطرقات، والتي تعتبر جيدة بالمقارنة بما رأيناه في أقصى الشمال.

مرت لحظات سريعة في خاطري تذكرت فيها شوارعنا وطرقنا السريعة وما نحن فيه من نعمة من الله تعالى يلزمنا شكرها، ومن الشكر وقوفنا مع إخواننا المسلمين في مثل هذه المناطق. وسرعان ما انقلبت مشاعري، وأحسست بالحزن والألم يعتصر قلبي عندما تذكرت ذلك الكاتب المسكين، والذي أظن أنه يتبع قاعدة (خالف تعرف) في كتاباته حتى وصل لدرجة أنه كتب في إحدى الصحف باختصار ما معناه: « مالنا وللمسلمين فنحن لسنا مسؤولين عنهم» وأقول: سبحان الله! أين هذا المسكين من الآيات العظيمة في القرآن الكريم والأحاديث الكثيرة عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ؟! والتي ترسخ أن المؤمنين كالبنيان يشد بعضه بعضاً، ولكن الورقة المهترئة لا تصمد أمام الريح القوية بإذن الله.

كنا قد قطعنا مسافة جيدة، ولم يبق على عاصمة تشاد «أنجامينا» إلا مائتي كيل (200كم) ونظراً للإرهاق الشديد، فقد توقفنا في إحدى القرى على الطريق، ولم نجد مكاناً مناسباً للنوم غير المسجد فنمنا فيه، حيث كان هذا المسجد من بناء أحد المحسنين من بلاد الحرمين الشريفين، فخرجت إحدى النساء من بيت من القش مجاور للمسجد عندما عرفت أنني من بلاد الحرمين، وشكرت على بناء المسجد وجهود المملكة والدول الخليجية على أعمال البر والإحسان لإخوانهم الفقراء والمحتاجين في أفريقيا، ثم استيقظنا على أذان صلاة الفجر، فصلينا، ثم أفطرنا بنفسية مرتاحة نتذاكر ما مر بنا في المواقف السابقة، ونسأل أنفسنا؟! هل حقاً قطعنا كل هذه المسافة...؟!! وهل عبرنا منطقة الموت بسلام...؟!! ثم حمدنا الله على ما نحن فيه الآن.

الفرح بوصولنا واقاء الوداع

وصلنا العاصمة بعد السير أربع ساعات متواصلة بسرعة جيدة، لأن حرارة السيارة لم تعد ترتفع، رغم زيادة السرعة، فواصلنا السير بالنهار مع توقعنا باضطرارنا للوقوف بسبب شدة حرارة السيارة، إلا أنها بحمد الله كانت تسير وكأنها سيارة أخرى غير التي كنا نركبها من قبل، «فيا سبحان الله» ماذا حدث لها...؟!!.

وصلنا إلى مكتب المنتدى الإسلامي في العاصمة «أنجامينا» بالسلامة بعد السير المتواصل في الصحراء

لمدة 12 يوماً، قطعنا خلالها أكثر من 3300 كم تقريباً وتبادلنا التهاني، واستقبلنا دعاة وموظفو المكتب بفرح شديد، وكان العناق حاراً ومؤثراً، وعَبَّروا لنا عن مشاعر الخوف التي انتابتهم علينا، فهم أبناء البلد ويعرفون صعوبات تلك المناطق، ولم يعرفوا أو يسمعوا برحلة مثل هذه من قبل إلا من قبل المؤسسات الكنسية والغربية، وعند ذلك طلبت من المصور خالد زاكي الدين تصوير لقاء وداع، يعبر فيه كل واحد منا عن مشاعره تجاه هذه الرحلة، وخاصة في منطقة الموت والتي فيها التيه والضياع.

وأكثر ما استوقفني كلمة المصور الذي قال: لم يَمُر علي في حياتي أيام عصيبة كهذه الأيام التي سبقت، وخاصة في تلك الليلة التي اجتمع علينا فيها الخوف، والجوع، والبرد، بل لم أكن أتوقع تلك الليلة أننا سنعيش، وأشعر أنني ولدت من جديد.

أما أبو عطا فعبر عن شكره وتقديره لنا على هذه الزيارات لخدمة المسلمين، وخص إخوانه العرب وخاصة الخليجيين بالشكر والدعاء، وقال: نحن في خدمتكم لأنكم في خدمة الدين. دققت عليه في السؤال وقلت: يا أبا عطا ألم يداخلك الخوف في تلك المنطقة التي أسميناها «منطقة الموت» التي ضعنا فيها...؟!!، فابتسم وقال: نعم لقد ساورني القلق في تلك الليلة، ولكن لم يكن خوفي على نفسي، لأنَّ لدي القدرة على السير على الأقدام أكثر من يوم في الصحراء بدون شرب للماء، بل كان خوفي عليكم أنتم الضيوف، ولو تعطلت السيارة لكنت على استعداد للسير أكثر من يوم وإحضار الماء لكم.

نفسي الضعيفة فقدت السيطرة على عيني التي أطلقت العنان للدموع الخجولة عند سماع هذا الكلام، وكنت أتمنى أن يعلم العرب عامة وأهل الخليج خاصة مكانتهم في قلوب أبناء الشعوب الأفريقية رغم تقصيرنا وانغماسنا في الملذات والكماليات في هذه الحياة الفانية!.

أما الدكتور حقار، ذلك الرَحَّالة، والباحث الأكاديمي، فقد عبر عن سعادته بهذه الرحلة، رغم خطورتها ومَشَاقِّها، فهو وإن كان قد سافر إلى بعض تلك المدن الشمالية بالطائرة إلا أن هذه الرحلة الميدانية أتاحت له معرفة ومسحاً مهماً بالنسبة له كداعية وباحث.

انتهت رحلة...!! يعجز اللسان عن وصفها...!! ويجف مداد القلم عن تسطيرها...!! ويحار العقل مني في وصفها...!! وتبقى كلماتي عاجزة عن تصويرها...!! وتقف أناملي ساعات ترددا في كتابتها...!! فلقد مضى أكثر من سنة وأنا أحاول تدوينها في كتاب، لكني لم أستطع فتركتها محتاراً في كتابتها لمدة طويلة، واكتفيت بتدوين لمحات سريعة حتى أضعت كثيراً من تفاصيلها...!! ولكن بحمد الله وبعد خمس سنوات من المراجعة والتفكير والتدوين تم إنجاز هذا الكتاب.

اثنا عشر يوماً من حياتي قضيتها في رمال تلك الصحاري، لكن تأثيرها بقي في أعماقي لأكثر من اثني عشر شهراً، وسيبقى ما بقي في قلبي نبض يخفق.

الصورة بالأعلى: مجلس مزدحم من جموع الملتقى الحضور في مركز الملك فهد الثقافي بتورنتو

رسالتي القارئ الكريم...!!

لقد كانت أياماً تجمع بين المشقة والمتعة...!! نعم، لقد عايشنا أياما عصيبة تحمل في ثناياها المخاطر التي تظهر قوة الإنسان وإرادته، وفي نفس الوقت ضعفه وبساطته، والمشاعر المتقلبة بين الخوف والقلق، ثم ما تلبث أن تتحول هذه المشاعر إلى الفرح والنشوة بالانتصار بتوفيق الله على العقبات التي تواجهنا. ولكن في نهاية الرحلة كانت الفرحة عظيمة وغامرة بحيث يعجز قلمي وعباراتي عن وصفها.

إن التجارب والواقع يثبت أن أي عمل مهما كان فيه من الصعوبة والمشقة والعناء بمجرد إنجازه يبقى فيه لذة النصر وفرحة الإنجاز وحلاوة النتائج يتذوقها صاحبها، وأما المشقة والتعب فتكون في أرشيف الذكريات يستحضرها صاحب الإنجاز لمتعة الحديث، ولتذكر نعم الله، والعبرة والفائدة من أحداثها.

الصورة بالأعلى: محاضرة عن جهود المملكة الخيرية في مركز الملك فهد الثقافي بالرياض.

فرسالتي واضحة لشباب الأمة ورجالها ونسائها ولكل قارئ لهذه السطور ومن قلب صادق بأن يكون لهم آثار إيجابية، وبصمات خير في أي مجال من مجالات الدعوة وخدمة الإسلام والمجتمع والبلاد، لينعم بثمراتها في الدنيا وحسناتها في الآخرة.

وأقول لكل من يقرأ هذه الكلمات: أخي الفاضل وأختي الفاضلة! لا تقبل أن تكون هامشياً في هذه الحياة تأكل وتشرب وتلهو في حياة تتوالى أيامها بشكل رتيب ومُمل، ثم إذا حلت ساعة الأجل أو حُرمنا من قوانا التي أنعم الله بها علينا بسبب عارض أو حادث مفاجئ عضضنا أصابع الندم، وتحسرنا أشد الحسرة على ما فاتنا...!! لماذا هذا الإسراف والتبذير في الوقت والصحة والعقل والذي هو أعظم فسادا من الإسراف في الأموال؟!

فالله تعالى خلق لنا عقولا عظيمة التركيب والخلق وبديعة الصنع، وفيها من الإعجاز والقدرة ما يحير العقول، والإنسان بأسه شديد، وإرادته قوية وعظيمة، فلماذا لم نستغل هذه العقول وهذه الإرادة...؟!! ولا أدري لأي شيء نوفرها...؟!!

لقد أثبتت الدراسات العلمية الأخيرة والتي أجريت حول عقل الإنسان وقدراته بأننا حتى الآن لم نستغل إلا أقل من 5% من إمكانيات عقولنا. لذا علينا أن نقف مع أنفسنا، ونفكر بجدية، ونتأمل ونطور أنفسنا وننطلق إلى الإبداع في الأفكار ومشاركة الآخرين في أعمال الخير، والدعوة والتجديد فيها، وتطوير الموجود مع الاستفادة ممن سبقنا في أي عمل أو فكرة وفق المنهج الرباني الوسطي المعتدل. وأن يكون ذلك سبيلاً لخدمة دين الله تعالى. ويجب بعد ثقتنا بالله تعالى أن ندرك أن لدينا قدرات عظيمة وطاقات هائلة يجب أن نسخرها لنصرة ورفعة هذا الدين، وسنجد أن من بركات وثمرات هذه الأعمال الخيرة انشراح الصدر بالإيمان، وحلاوة إنجاز الأعمال ومساعدة الآخرين، وهي من الطاعات التي تزيد إيمان المسلم، وتعينه على تحمل الهموم والأحزان، وتخففها عنه عند الابتلاءات لتعلقه بالآخرة ورجائه للثواب فيتقبلها بنفس راضية مطمئنة بموعود الله فيعيش حياة إيمانية سعيدة.

ويجب علينا أن لا نحقر أي عمل خير نقوم به، فإنه إذا صاحبه النية الصالحة والاحتساب فلن تحيط أو تتخيل أجره عند الله. المثال غير مناسب فمثلاً في هذه الرحلة في قلب الصحراء قد يحقر الإنسان دور الدليل أبي عطا هذا البدوي المسكين البسيط الذي يعيش في قرية تعصف بها الرياح وبالكاد يجد قوت يومه وأطفاله! ولكن هذا الدليل الذي يحمل قلباً يفيض بالإيمان، وظهر لنا خلال الرحلة والله أعلم بالبواطن أن هذا الرجل صادق النية، فهو لم يشترط مالا وكان يقوم بأعمال لخدمتنا ليس مكلفاً بها، ورأينا من عبادته وحرصه على الطاعات في أحلك الأوقات وأشدها قساوة وبعيداً عن الأعين، ولاحظنا صدق عباراته عندما بين في نهاية الرحلة بأنه كان يخاف علينا وليس على نفسه الضياع في منطقة الموت...!!

أقول هل يتوقع الدليل أبو عطا أن تخرج هذه الرحلة في كتاب وينتشر...؟!! فأنا شخصيا لم أكن أتصور ذلك. ومن فضل الله تعالى علينا أننا إذا كنا سبباً في عمل خير ولو بإشارة فلنا مثل أجر العمل، فمعناه أن أي مشروع خيري ودعوي في هذه المناطق نتيجة لهذه الرحلة فسيكون في ميزان حسنات أبي عطا يوم القيامة بإذن الله دون أن ينقص في أجور أصحاب العمل شيء، فالدال على الخير كفاعله ونحن إن صدقت نيتنا فلنا نفس الأجر. فالله الله بالمسارعة في الخيرات والمشاركة في أعمال البر والإحسان والدعوة إلى الله تعالى. وثق بالله تعالى واعلم بأنه رزقك عقلا وطاقة يجب عليك أن تستغلها وتسخرها لخدمة دينه، وانظر إلى نفسك بثقة وانطلق للعمل. وأستشهد هنا بقول الإمام الحسن البصري رحمه الله: «يا ابن آدم، إنما أنت أيام، إذا ذهب يوم، ذهب بعضك». وتذكر أن أعمال البر والإحسان والدعوة إلى الله لها ثمرات عظيمة في حياة الإنسان لا تحصى، ويسخر الله لك من جنوده ما لا يعلمه إلا هو....!!

خاطرة: العالم بحاجة إلينا (الجنرال ميشيل سيمو يقول لقد قهرتم كثيراً...!!)

الطبيب الجنرال «ميشيل سيمو» كغيره من الضباط الفرنسيين الذين خدموا في الجيش الفرنسي في أفريقيا في السودان والنيجر وتشاد،وكان فارساً في شبابه، ولكنه اختلف عن غيره بنظرته الإيجابية للعرب والمسلمين. لقد أحب عاداتهم وتقاليدهم وكرمهم وترابطهم الأسري الذي رسخه إسلامهم...!!، ولا أبالغ إن قلت: لقد خجلت من خلال زيارتي له في جنوب فرنسا من كرمه الذي فاق تصوري لمعرفتي بتقديس الشعوب الغربية للمال بشكل عام ....!!

بعد تقاعده من الجيش الفرنسي الذي كان يستعمر تشاد، استمر ميشيل سيمو بزيارة تشاد وتقديم المساعدات وخاصة الطبية بدافع إنساني بحت. سمعت عنه كثيراً من صاحبي الدكتور حقار الذي كانت تربطه به علاقة صداقة، فعندما وصلت في زيارتي الأولى لفرنسا استقبلني في المطار، وحاول أن يساعدني للوصول لبعض الوثائق المتعلقة ببحثي للماجستير عن إنجيل يهوذا. أصر على أن أسكن معه حيث كان هناك غرفة في أعلى بيته مجهزة تجهيزاً كاملاً، عرضت عليه دفع المقابل من المال فرأيت الغضب والحزن في قسمات وجهه من تصرفي، أدركت صدق تعامله في كثير من المواقف التي لا يتسع المجال لذكرها، حرص حرصاً شديداً على إسعادي وراحتي وتحقيق طلباتي، فأنا لم أطلب منه إلا أن يكون الطعام خالياً من لحم الخنزير و الكحول، ورغم ذلك استنكر علي هذا الطلب، وبين أنه لم يكن ليقدمه لي حتى وإن لم أطلب لأنه يعرف أني مسلم ملتزم بديني...

كان يعرض علي أنواع الرحلات ليدخل السرور إلى نفسي ولكن لا يعلم أنني أجد السعادة في القراءة والكتابة الساعات الطوال بعيداً عن العلاقات الاجتماعية والهواتف الثابتة والجوالة التي حرمتنا من هذه اللذة، فكانت هذه الرحلة عبارة عن خلوة بالنفس، ولكن كنت أجامله بعض الأحيان مراعاة لخاطره حتى لا يظن أني منطو ولا أريد الذهاب معه.

ذهبنا للنزهة على القارب في النهر، والتي تمثل لي الشيء الكثير. فقد شاهدت في غابات أفريقيا وأنهارها في المناطق الاستوائية وخاصة منطقة البحيرات العظمى ما يذهل العقل من الطبيعة الخلابة والبيئة العذراء البكر التي لم تمسها أيادي البشر المدمرة.

الشاهد من هذه المقدمة هي الوصول إلى ما دار بيني وبينه من حوارات. وقد يستغرب القارئ كيف نتفاهم وهو فرنسي ولكن؟! الحاجة أم الاختراع فقد تفاهمنا وفهمنا بعضنا بمزج المفردات الفرنسية بالإنجليزية، وأحياناً بما بقي في ذاكرته من بعض الكلمات العربية، فكنت أطرح عليه سؤالاً عن نظرة الشعوب الغربية بشكل سلبي عن المسلمين والعرب...؟!! فرد علي بجواب يظهر فيه عتبه وتحسره

منا نحن المسلمين وكأنه يقول: إن التقصير منكم أنتم المسلمين! فذكر أنه بحكم علاقته بالمسلمين والعرب في أفريقيا فهو يعرف أن المسلمين يحبون عيسى عليه السلام، وفي القرآن ثناء على عيسى عليه السلام، وأنهم يعتقدون أنه رسول الله، وإذا قلت لأصحابي الفرنسيين هذا الكلام سخروا مني، وقالوا: هذا هراء وغير صحيح...!!.

كان ميشيل سيمو يقول لي هذا الكلام بحسرة وألم...!! أما أنا فلم أجد جواباً مقنعاً...!!، نعم لقد أعطانا الله تعالى وَمنّ علينا بالمال، وأكرمنا بالفطرة السليمة وحب الخير للآخرين، ورزقنا الفهم الصحيح للإسلام وخاصة في بلاد الحرمين الشريفين، فهل عجزنا عن طباعة نشرة «مطوية صغيرة» عن عيسى عليه السلام في القرآن الكريم لا تكلف إلا هللات (أقل من الريال السعودي) بعدد الشعب الفرنسي أو الشعوب الأوروبية، سبحان الله...؟!! النشرة موجودة من إصدارات مؤسسة الندوة العالمية للشباب الإسلامي وغيرها من المؤسسات، ولكن أين الباذلون...؟!!

هناك وقفات وخواطر مع هذا الجنرال الذي أحببته بصدق، ودعوت الله من كل قلبي أن يفتح قلبه للإسلام، وكان جلوسي معه لهذا الأمر، وودعني بعبارة في آخر حوار معه بقوله: بأنه يعتقد أن أقرب الأديان إلى العقل والحق هو الإسلام...!! «فأسأل الله له التوفيق إلى الحق».

مازلت أتذكر ذلك اليوم الذي رن فيه هاتفي الجوال وإذا به شخص كريم الخصال لطيف المَعْشَر عَرَفَ بالرحلات الدعوية، وشاهد بعضها، فكان يعبر عن مشاعر الأخوة الصادقة ورغبته في التواصل وقال في نهاية حديثه وهو يبشرني ويشجعني على أعمال الخير: والله إن زوجتي امرأة صالحة عابدة لله ولا أزكي على الله أحدا، وإنها لتقوم بالصلاة في آخر الليل، ووالله إنها لتخصك بالدعاء...!! تملكتني قشعريرة في جسمي ورغبة في البكاء فرحاً بما سمعت وامتنانا لربي بما سخر لي، ولكن هل أستحق ذلك؟!

أسأل الله تعالى أن لا يجعل أكثر حظنا من هذا العمل التعب...؟!! إنها بركات العمل الخيري والسعي في حاجات المسلمين...!!

أحد أقاربي يعرف أنني قضيت الأعياد ولمدة خمس سنوات متتالية في أفريقيا مع إخواننا المسلمين بعيدا عن الأهل والأولاد فقال في مجلس وأمام الحاضرين: كيف يهنأ لك قلب أن تقضي العيد بعيداً عن أولادك، فهم يرون أقرانهم من الأطفال مع آبائهم بينما هم يفتقدون والدهم ؟! قلت له: والله لو تعلم ما الذي نجده في هذه الرحلات من خير لديننا وبلادنا وولاة أمرنا من حب ودعاء ودخول الناس في دين الله أفواجاً، وتصحيح وإنقاذ لكثير من المجتمعات والقبائل الأفريقية من التيارات والمناهج الهدامة المضللة...!! فإنك لن تهنأ بفراشك مع زوجتك وبين أطفالك...!! سكت خجلاً ولم يرد...!!

لقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث قوله: «أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولئن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في المسجد شهراً، ومن كف غضبه، ستر الله عورته، ومن كظم غيظاً، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضى يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل، كما يفسد الخل العسل» [1].

الله أكبر...!! ما أعظمه من أجر...!! إن كلمة «حاجة» نكرة، أي أن الحاجة يمكن أن تكون يسيرة وسهلة ولكنها عند الله عظيمة، وقد تطيش بها الموازين، وما أدل على ذلك إلا أنه فضّلها على الاعتكاف في المسجد شهرًا، والاعتكاف فيه من الخيرات والأجور واستغلال الأوقات في أنواع العبادات، كالصلاة وتلاوة القرآن، والصيام، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستغفار، والذكر....!! وهي عبادات عظيمة، فهنيئاً لمن رزقه الله المشي في حاجة إخوانه وخصوصا إذا صاحبتها نية صالحة مقرونة بالدعوة إلى الله تعالى...! فو الله إنها السعادة في الدنيا والآخرة.

نسأل الله تعالى أن يخلص النيات وأن ينقيها من شوائب الرياء والسمعة. فهذه والله من أشد الفتن المحقة للأعمال!.

وإن من الشواهد في هذه الحياة أن من عاش لنفسه، عاش حقيراً ومات منسياً، وألقاه التاريخ في مزبلته غير مأسوف عليه! أما من عاش لدينه ولخدمة إخوانه عاش محبوبا ومات عزيزا مفقودا، وبقي ذكره في العقول والقلوب، وخلده التاريخ في صفحاته البيضاء.

ثمرات المؤسسات الخيرية الإسلامية والرحلات الدعوية

في هذه الرحلة لم يكن في جعبتنا إلا قيمة بعض الأضاحي لإحياء السنة في تلك المناطق، رغم أننا شاهدنا أن الناس يجتهدون كل الاجتهاد لأداء الأضحية اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم...

فالإسلام وحبه متجذر في نفوس قبائل هذه المناطق وأخذنا بعض الفرش للمركز الإسلامي في محافظة فادا، ولأن هذه الرحلة استكشافية لمناطق، مجهولة من قبل المؤسسات الخيرية والشعوب والدعاة العرب، فلم نحمل معنا مشاريع محددة، بل كانت لنا أهداف ذكرتها في بداية الرحلة لتحقيقها أهمها: الكشف عن هذه المناطق للجهات الخيرية في الخليج.

---

[1] أخرجه الطبراني في الكبير (453/12) وفي الأوسط (139/6) وفي الصغير (106/2) وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج رقم (36) من حديث بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً. وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (906).

المملكة العربية السعودية كان ولا زال لها الدور القيادي في نصرة الإسلام والمسلمين، ونشر العقيدة الصحيحة، وإنقاذ المسلمين من الفرق والتيارات المنحرفة التي قامت على مبادئ هدامة. فأصبحت المملكة بجامعاتها التي تستقبل طلاب المنح الدراسية من الدول المختلفة مثل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة أم القرى، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة الملك سعود، وغيرها على نفقة قيادة المملكة، أصبح الخريجون من طلابها ـ ولله الحمد ـ منارات علمية شامخة في كثير من الدول وخاصة أفريقيا ومنهم من تقلد مناصب قيادية، ونفع الله به وطنه وشعبه. نسأل الله تعالى أن يستمر هذا العطاء...!!

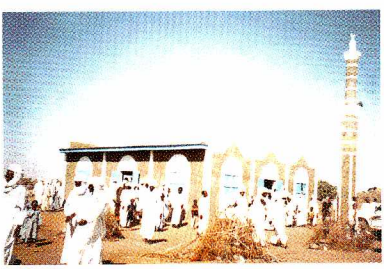

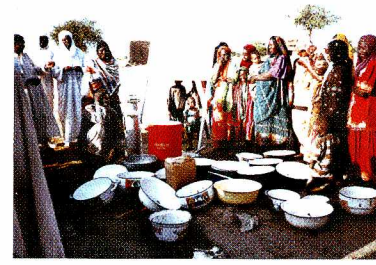

الصورة باليمين: النساء والرجال يعملون لكي يساهم توفير الماء العذب الصافي عبر مؤسسات "تشاك" الخيرية وينظرون دورهم.

الصورة باليسار: الناس ينتظرون بشوق لتدفق الماء من مشروع الأميرة مؤسسي آل مكتوم لتنشأ أحدى قرى تشاد.

أما بركات المؤسسات الخيرية في أفريقيا عامة وفي تشاد خاصة، فتمثلت في المشاريع الموسمية كإفطار الصائم والأضاحي التي كان لها أعظم الأثر في التواصل مع إخواننا المسلمين، ناهيك عن دخول كثير من القرى والقبائل في الإسلام بسبب إعجابهم بهذا الترابط والتراحم.

وأيضا أعمال الإغاثة في مواسم الجفاف وقلة الأمطار، والتي كان لها أعظم الأثر في إيضاح الصورة الحقيقية للأخوة بين المسلمين، وإزالة الصورة المشوهة عن بلاد الحرمين، والتي تولى كبر ترويجها الاستعمار المقيت لفك الترابط بين المسلمين في أفريقيا والعالم الإسلامي وبين إخوانهم في الجزيرة العربية بحجة ما يروجونه عن الوهابية والأصولية وغيرها من الخزعبلات التي وجدت رواجا عند النفعيين من الجهلة والحاقدين الذين يزعجهم هذا التواصل، والترابط الأخوي الذي يحرمهم من استغلال حب الناس للدين والتدين وحب الله ورسوله، فيسعون للتكسب من وراء ذلك بطرق وحيل مختلفة عبر بوابة الجهل، بل عبر الكثير من رؤساء القبائل والقرى عن أسفهم لما كانوا يتصورونه من أفكار خاطئة عن إخوانهم في البلاد العربية عامة والخليجية خاصة.

ومن إنجازات هذه المؤسسات المباركة مشاعل النور التي تخرجت من البلاد الخليجية والعربية والإسلامية، حيث كانت أفواج الطلاب التي كفلتها هذه المؤسسات في مختلف التخصصات الشرعية والعلمية والقانونية لبنات في البناء التنموي بعد تخرجها ورجوعها لبلادها ونشر الفكر والوعي السليم. ولا ننس المراكز الإسلامية والمدارس العربية المزدوجة اللغة بحيث تعتبر الثقافة الإسلامية واللغة العربية ركيزة أساسية فيها مع اللغات الأجنبية والمواد العلمية. فقد لفتت الأنظار وسدت أجزاء من الثغرات التي تستهدف الهوية العربية والإسلامية، فتسابق إليها الناس بعدما أثبتت جدارتها.

الصورة باليسار: مشاريع إطعام الفقراء والمساكين فتحت قلوب الناس للدعوة وأثمرت حسنات من الثمرات الدنيوية.

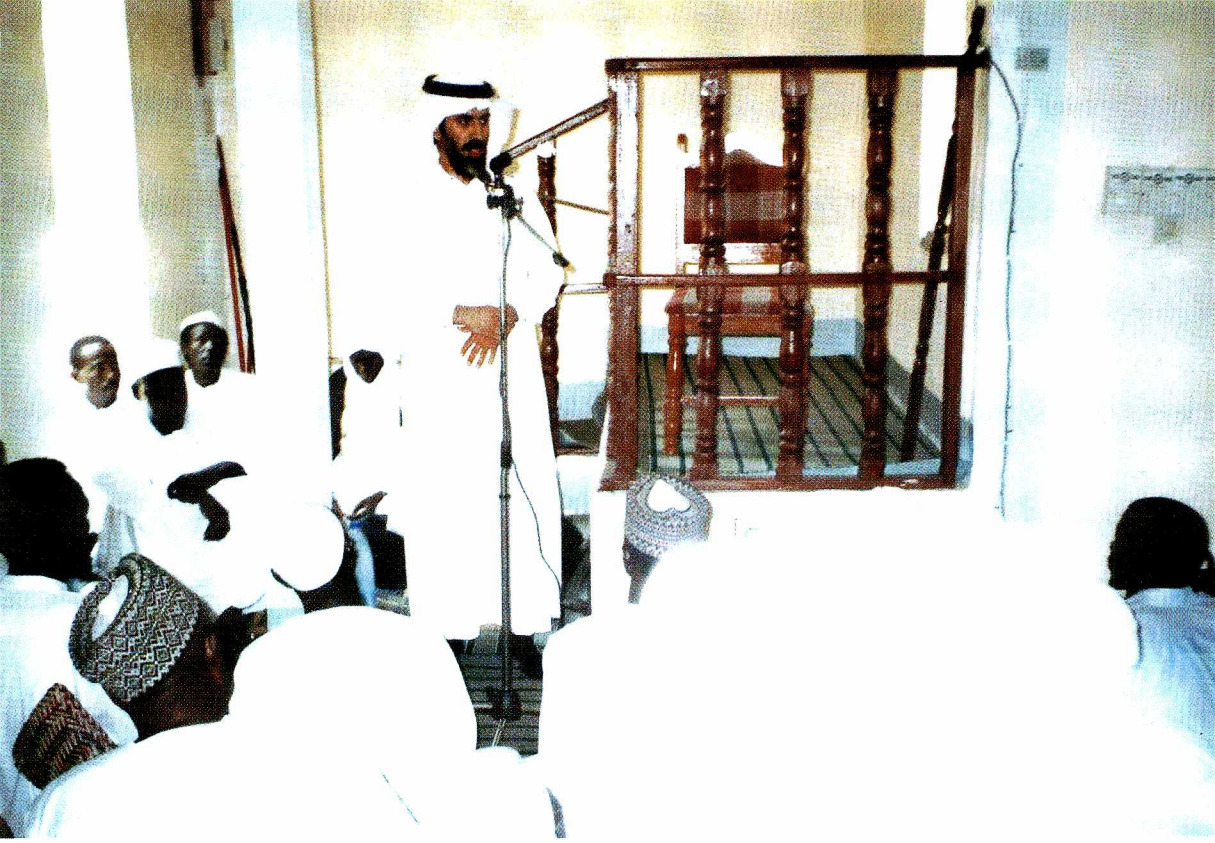

الصورة بالأعلى: الناس ينتظرون للاستماع من القادم من بلاد الله بلاد الحرمين الشريفين المملكة العربية السعودية.

أما مشاريع المساجد فقد وفرت للمصلين الظل من حرارة الشمس، وحمتهم من متاعب غزارة الأمطار، وهبوب الرياح وانتشرت فيها حلقات القرآن الكريم.

إنها عزة المسلم الشامخة بفضل الله تعالى التي يشعر بها الإنسان لرؤيته هذا التكامل والترابط . وكم تكون السعادة عظيمة عندما تزور هذه المساجد التي تحولت بفضل الله تعالى من القش إلى بناء خَرَسَاني قوي! وتسمع دعوات المصلين والأئمة والسكان بالتوفيق والبركة لكل من ساهم في ذلك.

أما الآبار ذات الكلفة البسيطة مقارنة بنفعها العظيم فحدث عنها ولا حرج، فهل تتصور أن بئرا لا تتجاوز كلفته «2500» دولار يكون فرجا لآلاف من الرجال والنساء والأطفال؟! ناهيك عن الماشية والطيور ودواب الأرض التي لا تحصى، وما في ذلك من الأجور العظيمة!! فكم من القرى التي يقطع نساؤها المفازات في ساعات طوال لجلب الماء الصالح للشرب ! ثم يأتي الفرج من الله على يد أحد المحسنين عبر هذه المؤسسات المباركة.

أما العلم الشرعي وتوعية الناس وتوجيه الشباب وتدريبهم إداريا وإعدادهم وتطوير مهاراتهم العامة لخدمة دينهم ومجتمعهم وبلادهم فهو صلب عمل المؤسسات الخيرية الإسلامية وعماد مشاريعها.

فكانت منارات علم ومعرفة أزالت الجهل والأمية في كثير من المناطق، ويصعب حصر هذه الأعمال وبالأرقام! والإحصائيات موجودة لدى هذه المؤسسات الخيرية الإسلامية لمن أراد الاطلاع عليها، ويكفي أنها كانت سبباً في إنقاذ كثير من المسلمين الفقراء والجُهَّال من الاستغلال البشع من قبل مؤسسات التنصير لتحويلهم عن دينهم وعقيدتهم في مقابل سد جوعهم وحاجتهم، فكانت خير منافس للجمعيات التنصيرية التي تحمل الغذاء في يد والصليب والإنجيل في اليد الأخرى. وكم من أطفال للمسلمين افترقوا عن آبائهم حيث أخذتهم المؤسسات التنصيرية بحجة تعليمهم وإنقاذهم من الجوع إلى مناطق مجهولة في أوروبا بسبب تقصيرنا وحاجة إخواننا!!

وعندي شواهد عايشتها بنفسي وتجرعت مرارة الحسرة والألم وأنا أرى نفسي في موقف العاجز الحيران عن تقديم العون لهم، وهناك من القصص والمواقف التي عايشتها بنفسي مالا يتسع المجال لذكرها مما يبعث على الأسى ويشعرنا بتقصيرنا، ومع ذلك فقد أصبحت هذه المؤسسات المباركة مشاعل نور في تلك المناطق، ودافعا لمضاعفة الجهود.

فنسأل الله تعالى أن ينفع بها، ونحن على يقين بأن الله تعالى قد دفع عن بلادنا كثيراً من الفتن والكوارث والمصائب، بسبب الصدقات والإحسان لإخواننا في أفريقيا وغيرها من الدول الأخرى، فالصدقة تطفئ غضب الرب كما ورد في الحديث.

المصور بالبيض مسجد الأميرة مشاعل آل سعود في جنوب دشاد من بركات بلاد الحرمين المباركة.

أنتم سادة العالم...!! لماذا...؟!! لأنكم تملكون أعظم قوتين على وجه الأرض، والتي لا يقف أمامها أي حاجز...!! إنها القوة الروحية التي تستمدونها من الإسلام بعقيدته الصافية النقية، والذي قامت عليه دولتكم، وقد أكرمكم الله بأقدس بقاع الأرض هما الحرمان الشريفان مهوى أفئدة قلوب المسلمين، ثم مَنَّ عليكم بالقوة المادية التي أودعها في باطن هذه الأرض المباركة...!!

نعم...!! أنتم أبناء وأحفاد آبائكم الكرام الذين نصروا هذا الدين ورفعوا رايته، نقول لكم: لقد بذلتم الكثير في سبيل نشر هذا الدين ونفع الشعوب المسلمة وغيرها، والعالم يشهد على ذلك من خلال مبادراتكم عبر مؤسساتكم الرسمية أولاً، والخيرية المباركة ثانياً والتي أصبحت مشاعل نور للبشرية...!!

ومع ذلك ما زالت تلك الشعوب وخاصة في أفريقيا بحاجة إلى تواصلكم الذي بإذن الله سيساهم في إنقاذهم من براثن الجهل والخرافات والتيارات والفرق المنحرفة الهدامة، والتي تشترك مع التنصير في هدم عرى الإسلام، وأول ما تستهدف عقيدة وهوية أهل الإسلام الذين يتخذون من الكتاب والسنة شرعاً ومنهاجا. وأكثر وسائلهم فتكاً وتأثيراً هو أسلوبهم الماكر في محاولة عزل المسلمين وإبعادهم، وفك ارتباطهم الروحي ببلاد الحرمين الشريفين وحبهم لها من خلال محاولة تشويه منهج هذه البلاد المباركة بشبهات ساقطة، ولكنها في ظل انتشار الجهل وضعف التواصل من قبلنا تجد الرواج والانتشار وخاصة إذا غلفت بغلاف ديني مثل حب الرسول صلى الله عليه وسلم وآله الطاهرين...!!

كلنا أمل في الله تعالى ثم في ولاة أمورنا بأن يضاعفوا الجهد في تقوية التواصل مع تلك الشعوب الأفريقية خاصة، لشدة الحاجة، وقوة الحملات الهدامة الشرسة مع قلة المؤسسات الخيرية المنطلقة من هذه البلاد المباركة وانحسارها، وما يقابلها من جيوش المؤسسات الهادمة للعقيدة والدين الصحيح...!!

وأسأل الله تعالى أن يبارك في جهودكم وأن يسدد خطاكم على الخير ويجعلكم ذخراً للإسلام والمسلمين. والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

هذا هو جهد المقل على أية حال أضعه بين أيديكم، لا رغبة في شهرة أو مال، بل أملاً في لفت أنظار المسلمين، وتحنين قلوب الرجال المؤمنين المخلصين للاهتمام بإخوان لهم من أجل إعلاء كلمة الله، رجال لم يستطع الفقر ولا الحاجة على الاستسلام للمستعمر أو المغتصب فهم لم ولن يرضوا بغير الإسلام دينا.

أسال الله أن أكون قد وفقت في نقل صورة واضحة عن إخوان لنا يعيشون في تشاد، هم كغيرهم من بقية إخواننا المسلمين في مناطق مختلفة من هذا العالم، لكنهم أحوج من غيرهم لمساعدة إخوانهم المسلمين، فقد يأتي اليوم - وهذا ليس ببعيد بإذن الله تعالى - الذي نرى فيه إخواننا في تشاد وقد أصبحت لهم اليد الطولى لمساعدة إخوانهم المسلمين في القارة الأفريقية وغيرها، خاصة بعد أن تفجرت آبار البترول في الجنوب والشمال وغيرها من الثروات الأخرى. وأسأل الله تعالى أن يكتب هذه الرحلة في ميزان حسناتنا وكل من ساهم فيها ولو بدعائه، وأن يرزقنا الإخلاص في الأقوال والأعمال، والبركة في الأعمار، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(أبو الوليد) خالد محمد الطويل 1430/5/16هـ
رئيس لجنة أفريقيا بالهيئة العالمية للتعريف بالإسلام
- مكتب الرياض - رابطة العالم الإسلامي
عضو الندوة العالمية للشباب الإسلامي/شعبة أفريقيا الرياض
موفد لجنة الأمير سلطان بن عبد العزيز الخاصة للإغاثة بتشاد (1425هـ)
k.taweel@hotmail.com

الصورة بالأعلى: البحث الى غايات
الأفارقة متعلقة لتغيرات العظمى

سلسلة كتب قادمة بإذن الله

لرحلات في أفريقيا

الكتاب الثاني: رحلات إلى غابات الأقزام في أفريقيا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

الله أكبر ما أعظم هذا الدين! دين الفطرة والطريق المستقيم...!! وما أصدق الرسول الكريم! صلى الله عليه وسلم الذي قال: (سيبلغ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، وسيأتي آخر الزمان وما

الصورة باليمين: تأمل مصب نهر لاقون في المحيط الأطلسي قبل الوصول إلى غابات الأقزام.

بقي بيت مدر ولا وبر إلا ودخله الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل...) أو كما قال صلى الله عليه وسلم، وقوله صلى الله عليه وسلم: (إنّ الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها...)

نعم إنه الواقع يشهد على صدقية حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وإن كانت صدقية حديث الرسول صلى الله عليه وسلم لا تحتاج إلى شهادة! ولكنها تجربة عايشناها من خلال رحلة استمرت أسابيع في مجاهيل تشاد، وغابات الكاميرون، وأدغال أفريقيا الوسطى، قطعنا خلالها آلاف الأميال بالطائرة، ثم مئات الكيلو مترات بالسيارة، ثم عشرات الكيلو مترات عبر الأنهار بقارب خشبي بدائي الصنع، ثم توغلنا سيراً على الأقدام داخل الأحراش والغابات عدة كيلو مترات بحثا عن مجموعات البكميز «قبائل الأقزام» لتبليغهم هذا الدين العظيم، والوقوف على احتياجاتهم، وإطلاع الدعاة والمؤسسات الخيرية والمسلمين على أحوالهم لفتحها أمام الدعوة الإسلامية، وكسر الاحتكار الكنسي لها، ولم ننس أثناء هذه الرحلة طوال الأقوام من الناس...!!

نعم إنه عصر العمل المؤسسي الجماعي المنظم والمنضبط بضوابط شرعية وإدارية ومالية، ترتقي بالعمل الإسلامي ليؤدي رسالته على أكمل وجه...!!

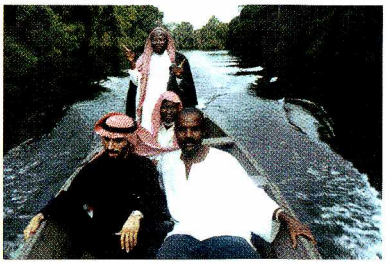

الصورة باليسار: الدخول إلى غابات الأقزام من خلال نهر لاجون.

والحمد لله فقد اكتحلت عيوننا برؤية هذه المؤسسات الخيرية التي تستثمر الجهود الفردية، وتوجهها في نظام جماعي فعال يسير وفق منهج شرعي صحيح...!!

وقد شرفني الله تعالى بالعمل مع مؤسسات الخير التي حملت لواء التربية والتعليم، وإعداد الدعاة وتطويرهم ليكونوا لبنات بناء في مجتمعاتهم، واهتمت ببناء الرجال قبل الأحجار ليقوموا بالدعوة الإسلامية بمنهجها الوسطي المعتدل، وإحياء دور المساجد في المجتمعات الإسلامية، وتعريف غير المسلمين بالإسلام الصحيح...!!

فقد كانت هذه المؤسسات ولا زالت بذرة خير في أفريقيا وغيرها، وأرست قواعد الدعوة الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة منهجا، ـ وكما فهمها سلفنا الصالح ـ حتى في أدغال وغابات وأحراش أفريقيا المجهولة.

ولقد استفدت كثيرا من هذه المؤسسات توجيها ودعما غير محدود لكل ما يخدم الإسلام، وسخرت إمكاناتها لتؤتي هذه الرحلات الاستكشافية الدعوية ثمارها، وقد حملت هذه الرحلة في طياتها أحداثاً غريبة، وأحيانا طريفة، ومواقف صعبة، وأخرى حزينة ومبكية!.

وسأبدأ بذكر لمحات سريعة من الرحلة، ثم أبدأ بسردها محاولاً تجنب الإطالة قدر المستطاع، وأذكر القارئ بما قلته في تقرير الرحلة السابقة بأن نقل أحداث الرحلة على حقيقتها كتابة أصعب على نفسي من الرحلة نفسها بما تحمله الرحلة من مشاق، كالسير في قوارب خشبية بدائية عبر الأنهار...!! وأحيانا مصارعة أمواج البحار في منتصف الليل بهذه القوارب حيث يتولى أحدنا إرجاع الماء المتسرب في القارب إلى البحر أو النهر...!!، أو السير فوق أمواج الرمال ليوم كامل أحياناً، وقد تصرعنا أمواج الرمال، ونجلس الساعات الطوال لإخراج سيارتنا من الرمال...!! أو التوغل سيراً على الأقدام والمبيت في الليالي الباردة في الأحراش والغابات، والتي تحتاج إلى دليل متمرس في متاهاتها، ومجيد للهجات سكانها...!!

وإليكم لمحات من الرحلة التي بدأت من الرياض بتاريخ 1421/4/7 هـ:

• ملك الموت الذي اختار بأمر الله الأخ قاسم رحمه الله أحد أعضاء الرحلة السابقة، يسبقنا في هذه الرحلة إلى لقاء الأخ مهدي رحمه الله...!!.

الصورة بالأعلى: رئيس مجموعة قبلية من الأقزام على إسلامه مع أتباعه.

• الوصول إلى تشاد وذكر بعض فتوحات الدعوة وثمراتها، والوصول إلى مناطق لأول مرة يرى أهلها المسلم الأبيض...!!.

• الوصول للكاميرون...!! بداية صعبة...؟!! حادثة مؤلمة وحزينة...؟!! سبحان الله...!! وفي نفس الوقت غريبة وطريفة...!! ما هي...؟!! ولماذا تسلط هذا الضابط...!!.

• مقابلة ملك المملكة البامونية «إبراهيم ممبوجويا» الذي يتبع له ما يقارب ثمانمائة ألف نسمة يعظمونه، وقد رفع لواء الكتاب والسنة ونصرتها بحكمة وعدل...!!.

الصورة بالأسفل: أحد مجموعات الأقزام في منطقة الجبرات العطش خرجت طلبا من الأشعار.

الصورة بالأسفل: التوغل داخل غابات الأقزام البعيدة للوصول إليهم.

الصورة باليمين: التوغل في غابات الأقزام في أفريقيا الوسطى لدعوتهم إلى الإسلام.

• الانطلاق إلى مناطق الأقزام والوقوف على ثمرات الداعيتين...!! ثمرات تشرح صدور المؤمنين، وترفع هممهم...!! ومشاهد تثير أحزانهم...!!.

• زيارة ملك (سلطان) الأقزام القسيس مرة أخرى ودعوته إلى الإسلام...!! ما طريقتنا...؟!! كيف كان جوابه...؟!! وما المفاجأة السارة بعد ذلك...؟!!.

• الوصول إلى أفريقيا الوسطى...!! وضع البلاد صعب جداً...؟!! الحزن يخيم على الوجوه...!! وجوه تلاميذ حلقات مهدي...!! ومئات الكيلو مترات التي كان يقطعها مهدي سيراً على قدميه للدعوة إلى الله...!! وأشجار غابات الأقزام الشاهقة التي كانت تستقبل مهدي وتضمه في أحضانها في سبيل الله...!! كلها تبكي فراق مهدي...!! رحمه الله رحمة واسعة...!!.

• لماذا تبرع هذا الشاب بسيارته وجعلها تحت تصرفنا...؟!!.

• الوصول إلى غابة الأقزام في أفريقيا الوسطى على حدود الكنغو برازافيل ليلا...!! عبرنا نهر لوبي فوق مناجم الذهب والألماس...!! ولماذا توقفنا وسط النهر...؟!!.

• ما سر الأصوات التي نسمعها في الغابة ولا نرى أحداً...؟!!.

• المبيت في منطقة «باقندو» في طرف الغابة بلا غطاء أو فراش، والتوغل فجراً في الغابة على الأقدام...!! مقابلة مرشد الكنائس...!! ماذا كانت المفاجأة...؟!!.

• العثور على مجموعات الأقزام !! كيف كانت بيوتهم...؟!! إسلام كل مجموعات الأقزام التي دعوناها بحمد الله...!! بعض ردود الأقزام تدمي القلوب وتذرف الدموع...!! لماذا...؟!! ما سر الأصوات التي يطلقونها بعد وصولنا ولها صدى في الغابة...؟!!.

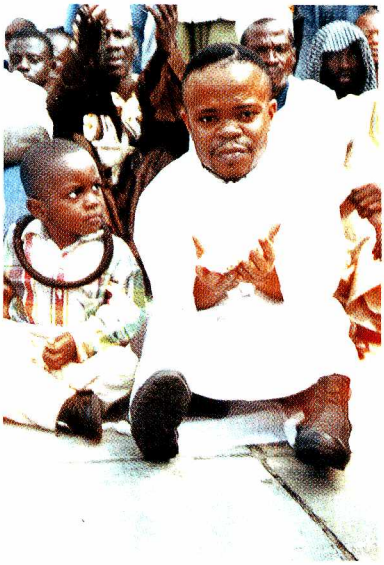

الصورة باليمين: أحد الأقزام عتيق النصرانية وأصبح كاثوليكي قابلشاد قبل دخولنا الغابة.

الصورة باليسار: أحد الاقزام يرفع يديه بالدعاء بعدما اهتدى للإسلام في الكونغو الديمقراطية.

أخيراً: قصص ومواقف وطرائف:

1- طفل تشادي يناديني يا نصراني...!! لماذا...؟!!

2- لماذا استقبلتنا العجوز التشادية زحفاً، وماذا قالت...؟!!

3- الطفل في سفارة أفريقيا الوسطى.. لماذا يطيل النظر إلي...؟!!

4- قصة سائق التاكسي...!! يقول: لماذا أنتم أنانيون أيها المسلمون...؟!!

5- تعطل السيارة على شواطئ المحيط الأطلسي...!!

6- قصة العبارة وبسم الله والله أكبر (إقوي)...!!

7- قصة الشاب الكاثوليكي والساندويتش...!!

8- لقاء مع رئيس البلدية ورئيس شرطة محافظة «باقندو»...!! لماذا لا تدعوننا إلى الإسلام...؟!!

9- قصة الحلم في الفندق خمس النجوم والأمطار...!!

10- الفرقة الموسيقية في المطار وفريق الأقزام...!!

11- قصة المسلم القزم والقسيسة الطبيبة السويسرية...!!

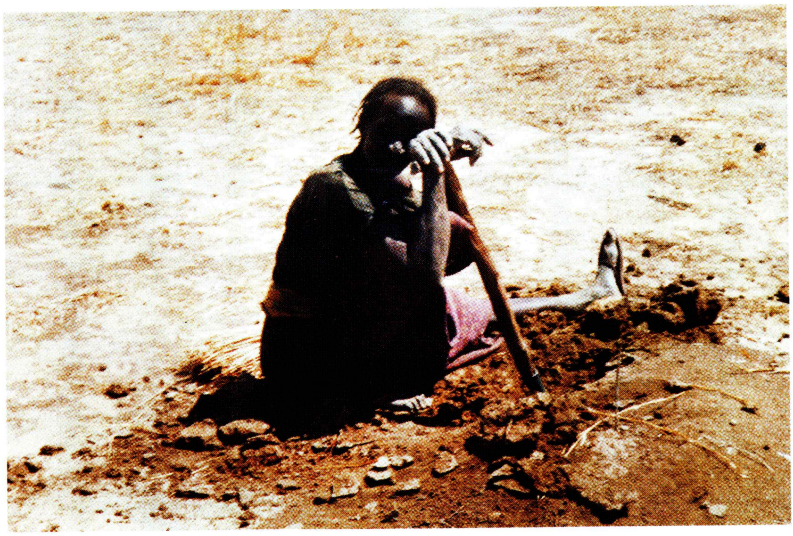

الصورة باليمين: إمرأة عجوز جاوز عمرها التسعين عاماً جالسة على بيت النمل تحاول جاهدة الوصول إلى طعامه لإنقاذ أحفادها.

الكتاب الثالث: صراع مع النمل من أجل البقاء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

كانت رحلة عادية كباقي الرحلات إلى ذلك البلد الذي يعد في تلك السنة من أفقر دول العالم، فالاستعمار لم يبق فيها ولم يذر كعادته في سرقة الثروات وتدمير للبنى التحتية، واستنزاف موارد تلك البلاد عبر التبعية، وحتى بعد الاستقلال . ثم ما تبع بعد ذلك من حروب أهلية طاحنة لم تسلم أيضاً من الأيادي الخفية الاستعمارية المحركة للأحداث والفتن كعادتها.

وفي زيارتي لهذا البلد حرصت على التواصل مع الدعاة لمعرفة أحوالهم، ومساندتهم في أعمالهم الدعوية ومتابعة المشاريع الخيرية المؤسسية . وكعادة المسؤولين في هذا البلد في ترحيبهم للضيوف وخاصة القادمين من أرض الحرمين والخليج العربي ومن ناحية حبهم لمنفعة مناطقهم، وإعمارهم للمساجد وسد عطشها بمشاريع الآبار، مما يجعل من المهم أن نخصص وقتاً للقاء هؤلاء القادة ورؤساء القبائل والبرلمانيين، وخاصة أنهم في هذا البلد يغلب عليهم التواضع والبساطة والكرم، ويحملون من صفات نخوة العرب وعاداتهم وتقاليدهم، لأن غالبيتهم لهم جذور قبلية وامتداد عرقي إلى جزيرة العرب....

ليس غريباً علينا أن نسمع في هذه البلاد عن حالة الفقر والعوز والحاجة للأسباب التي ذكرناها، وأيضاً البلاد لم تمض سنوات طويلة على استقرارها السياسي...!!، لكن الغريب هذه المرة بأنني أسمع كلاماً لا يصدقه العقل في زمن الثورة الصناعية والانفجار المعرفي والعالم الذي أصبح كالقرية الصغيرة بسبب ثورة تقنية الاتصالات والصناعة حتى إن بعض الدول الغربية ترمي الفائض من القمح وبآلاف الأطنان في البحر...!! لماذا...؟!! حتى لا ينخفض سعره في السوق فتقل نسبة أرباح الرأسماليين الجشعين...!! لماذا لا يعطى الفقراء...؟!!

في هذا الزمان وفي هذه الرحلة بعض الدعاة الذين يزورونني يتحدثون عن أناس يهجمون على بيوت النمل، ويسابقونها إلى مخازن غذائها ليظفروا بوجبة طعام من حبيبات «الكريب» تسد جوعهم وجوع أطفالهم، حتى يبقوا على قيد الحياة إلى حين بدء موسم الخريف ونزول الأمطار، بعد جفاف توالى لسنوات، وأمواج الجراد العاتية التي تأكل الأخضر واليابس...!!.

هل ما أسمعه شيء يعقل في هذا الوقت...؟!! لو جمعنا مخلفات طعامنا في إحدى المدن الكبيرة التي ترمى في أماكن النفايات ليوم واحد...!! كم ستطعم من الجوعى هناك...؟!!.

لم أصدق الخبر، وقلت: هذا ضرب من الخيال والأساطير...؟!! ولكن الأخبار تسري وتتوالى من عدة أطراف...!! فماذا حدث...؟!!.

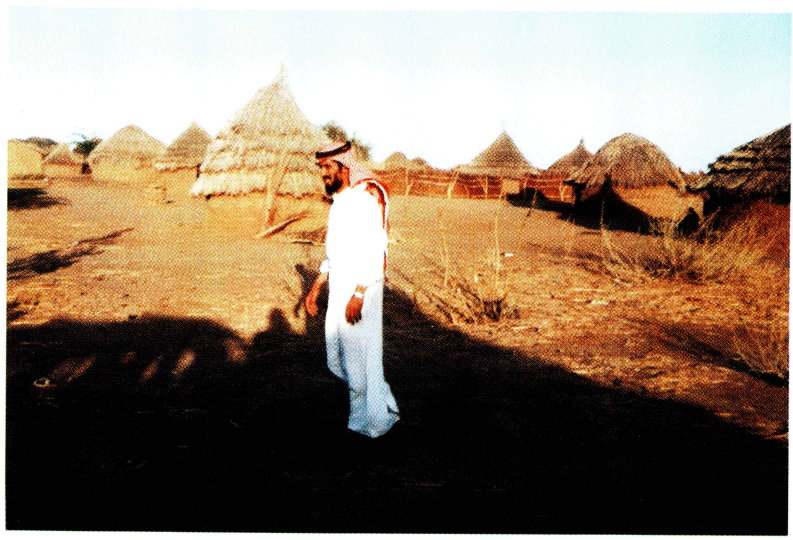

الصورة باليمين: القرية خاوية لأن الرجال سافروا بحثاً عن لقمة العيش منذ شهور أما النساء والأطفال فتفرقوا يبحثون عن الطعام في بيوت النمل.

الصورة بالأعلى: صورة لمظهر مأساوي الأطفال يترقبون والدتهم أثناء حفر جحور النمل.

هذا ما ستقرؤه من خلال اللمحات التالية:

التتبع الدقيق للخبر من شخص إلى أخر...!! مَنْ رأى ذلك بعينيه...؟!!، أخيراً وصلنا إليه وطرقنا بابه الساعة الحادية عشرة ليلاً...!!، يقول: نعم رأيتهم بأم عيني...!!.

قلت له: هل تسافر معي إليهم غداً فجراً...؟!! قال: هذا ما أتمناه...!! انطلقنا صباحاً باتجاه الشرق في طريق ترابي...!! انطلقت مشاعر الحزن مع الحيرة إضافة للشوق للتثبت من الأمر! حتى وإن رأينا الكارثة وتأكدنا من الحقيقة كيف سيصدق المسلمون في العالم العربي هذا الأمر...؟!!.

مناظر غريبة على جانبي الطريق...!! الأرض كأنها خرجت من حرب طاحنة...!! الحُفَر الكبيرة منتشرة في كل مكان...!! الدليل يقول: هذه بيوت النمل حفرها الناس من الجوع واستولوا على ما فيها من حبيبات جمعها النمل شهوراً طويلة...!! ولكن أين الناس...؟!!.

توقفنا في إحدى القرى..!! أهلها تعجبوا كثيراً.. !! فرحوا بهذا الزِّي العربي...!! بعض النساء هربن خوفاً من هذا الغريب الشكل...!! سألناهم عن الخبر...؟!! انطلقت ألسنتهم وعيونهم تفيض من الدمع...!! أكثر سكان القرى أطفال ونساء ولكن أين الرجال...؟!! صورنا القليل من الحبيبات التي

الصورة باليمين: مشهد مأساوي امرأة وأولادها في إحدى القرى تحفر بيت النمل للبحث عن الطعام.

جمعوها وسجلنا نداءهم لإخوانهم...!! رجعنا عائدين إلى العاصمة...!!.

الوصول لمنطقة غير آمنة...!! السؤال عن أحد دعاة المنطقة...!! استعرنا منه بعض الوسائد والفرش للمبيت خارج القرية...!! حارس الرحلة ومسؤول الأمن المصور «خالد زاكي»...!! لماذا نام داخل السيارة وأغلقها على نفسه رغم أنه مكلف بالحراسة...؟!!.

رجعنا بعد صلاة المغرب عائدين والخواطر تتسابق إلى مخيلتي ماذا سأقول للناس...؟!! كيف سنحرك الغيورين...؟!! فما بالك بالغافلين أيضاً...؟!! هل سيصدقني الناس...؟!! وهل يكفي ما صورته...؟!!.

بعدما قطعنا مسافة 40 كم عائدين قررت الرجوع إلى منطقة المجاعة...!! لماذا...؟!!.

بعد صلاة الفجر لم نجد الناس في القرى...!! القرى خالية...!! أين ذهبوا...؟!! التوغل داخل البراري...!! الكاميرا ترصد من بعد مناظر يقشعر منها البدن...!! النساء والأطفال يهربون من السيارة...!! ما العمل...؟!! وقفات مع مشاهد مؤلمة:

امرأة عجوز جاوز عمرها التسعين سنة...!!

امرأة حامل تحفر في حر الشمس...!!

امرأة تحفر وأطفالها حولها ينتظرون...!!

أين المؤسسات الغربية الإنسانية المتواجدة في هذه المناطق منذ سنوات...؟!!.

الرجوع إلى الرياض...!! إنتاج شريط بعنوان: «صراع مع النمل من أجل البقاء»...!!.

ما قصة النداء العاجل...؟!! ما هي ردود الأفعال...؟!!

إنها مجاعة حقيقية اضطرت الناس إلى البحث عن الطعام في بيوت النمل من خلال حفر تلك البيوت، وبعد جهد شاق من طلوع الشمس إلى الغروب تتمكن العائلة من الحصول على حفنة قليلة من الحبوب في مخازن النمل، والتي ادخرها لفصل الشتاء ومواسم الجفاف...!! بالكاد يسد رمقها...!!.

• في بعض القرى.. الناس أكلوا أوراق الشجر...!! بل حتى السام منها بعد غليه في الماء...؟!!.

• في قرية واحدة مات سبعة وعشرون إنساناً كلهم من الأطفال والنساء المسلمين...!! سبحان الله...!! أين المسلمون...؟!!

صديقي الضابط تحدث في مجلس عن هذه المجاعة بعدما شاهد الفيلم المرئي ليذكر الناس بالنعم العظيمة التي نعيشها...!! فإذا بذلك الشيخ المسن الوقور ذي اللحية البيضاء يتنهد بعد نفس عميق ويقول: لا تستغربوا! فقد عايشنا في أرض نجد ما تسمعون الآن...!! كنا نحتال ونخدع النمل للسطو على طعامه...!! كيف...؟!! بطريقة احترافية..!!.

الأمير سلطان بن عبدالعزيز يرى مشاهد النساء والأطفال يَتَحَلَّقون حول بيوت النمل للبحث عن طعامه، ويوجه بتسيير جسر جوي لمناطق المجاعة من خلال لجنة الأمير سلطان بن عبد العزيز الخاصة للإغاثة...!!.

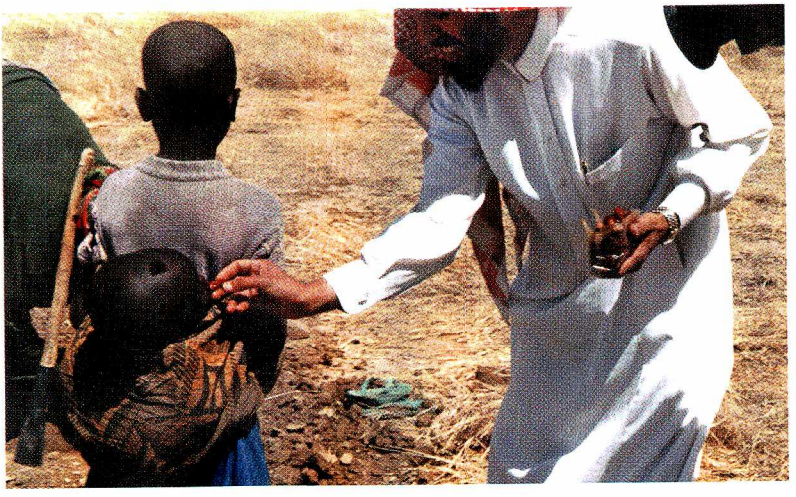

الصورة باليمين: رضيع عمره أربعة أشهر ابتسم عندما داق حلاوة التمر وقد أحرقته الشمس بحرارتها.

مؤسسات الخير في بلادنا الحبيبة تهب لنجدة إخواننا في تلك البلاد...!! وتتسابق للوصول للمنطقة...!!.

المملكة العربية السعودية سجلت مواقف مشرفة سواء على مستوى المسؤولين أو المؤسسات الرسمية و الخيرية، أو المواطنين...!! بل حتى الأطفال في قصص مؤثرة...!! تهز المشاعر وتُثلِج صدور المؤمنين...!! ما هي...؟!!.

ثمرات الخير تجاوزت مسألة إنقاذ عشرات الألوف من الناس من الموت جوعاً إلى تغيير الصورة المشوهة عن بلادنا شعباً ومسؤولين وانتشار الدعوة الصافية...!!.

مناظر تقشعر منها الأبدان:

• امرأة عجوز جاوز عمرها التسعين عاماً تجلس الساعات لتحفر بيت النمل بسواعدها الضعيفة التي أنهكها التقدم في السن...!! وأضعفها مرارة الجوع للحصول على حفنة من الحبيبات لتسد رمق جوعها وجوع أحفادها...!!.

طفل لم يتجاوز أربعة أشهر محمول خلف ظهر طفل لم يتجاوز التاسعة من العمر حول بيت النمل ينتظران الأم المجهدة والمنهمكة في الحفر وقد أحرقت أجسامهما الشمس الحارقة وطفح جلدهما من العرق لعلهما يظفران بشيء من الطعام...!!.

كل ذلك سيصدر في كتاب قريبا إن شاء الله.

الصورة باليمين: أم تحمل ابنها وتبذل جهدها للحصول على قوت يومها من جحور النمل.

المصورة بالأعلى: أحد مخيمات لاجئي دارفور الذين دخلوا تشاد وتاهوا في وديانها وصحرائها.

الكتاب الرابع: شاهد عيان

عندما بكى الصقر الأبيض...!!

(رحلة إلى لاجئـي دارفـور بشرق تشاد)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

بعدما صعدنا فوق جبل نشاهد ذلك المنظر المهيب والكارثة الرهيبة، حيث عشرات الألوف من البشر وصلوا سيراً على الأقدام، بعدما ماتت دوابهم من الحمير والجمال...!!، البعض منهم ركب بعض المراكب في الطريق...!!، هرباً من جحيم حرب وفتنة القتال في دارفور...!!، إنهم جزء من شعب السودان من أبناء دارفور، الذين ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، بسبب الفتنة العمياء التي أشعلتها أيادي الخبث وأصابع المكر من أعداء الإسلام...!!.

صعدنا لنرى صفوف الخيام التي لم تستوعب الكثير من اللاجئين من أبناء دارفور، الذين عبروا الحدود من السودان إلى تشاد في رحلة عذاب ومحنة...!!.

صعدنا لنوجه النداء وقلوبنا تحترق، وعيوننا تسكب العبرات...!! فنحن نشاهد رايات الصليب بأنواعها ترفرف في تلك المخيمات بين إخواننا الدارفوريين المسلمين من أبناء شعب السودان في حين غابت الرايات العربية والإسلامية...!!.

صعدنا لنطلق صرخة حزينة من قمة ذلك الجبل...!!، لم تكن صرختنا من فوق تلك القمة عالية الصوت...!!، لأنها جاءت من بعيد...!! من أعماق القلب...!!، وكانت بصوت رخيم لأنها اختلطت مع الدموع ببكاء قلب صامت حزين...!!.

إنها صرخة عَبَّرَت عن دمعة ذلك الشيخ المسن الذي تحدث عن مأساته في الطريق، وفقدانه لبعض أفراد عائلته وجميع ما يملك من ماشية...!!.

إنها صرخة ذلك الرجل الوقور الذي فقد بصره وضاع أكثر أفراد عائلته، وجميع ما يملك من ماشية...!!.

إنها صرخة تلك المرأة التي جاوز عمرها التسعين عاماً...!! وخرجت من خيمتها حبواً لتستقبلنا حزينة وتروي لنا مأساتها...!!.

إنها صرخة المرأة العجوز التي باتت مع أطفالها في العراء ليلة البارحة بلا خيمة تؤويهم من المطر الغزير...!!.

الصور: باتسن- مع السكتير حقار في زيارة لمخيمات منطقة الرهيد العالية، وقد تحسر قلة من أطفال ونساء مارفين.

إنها صرخة المرأة الصماء والبكماء في نفس الوقت، والتي رفعت شكواها إلينا، ولا معين لها إلا الله...!!.

هذه الصرخة بذلك الصوت الرخيم، من تلك القمة في أقصى شرق تشاد بالقرب من الحدود مع السودان وصلت إلى مسامع خادم الحرمين الشريفين بواسطة أحد الخيرين من الأوفياء للدين وللمليك فوجدت قلباً كبيراً فلبى النداء...!!.

بعد رحلة عجيبة فيها توثيق أحوال إخواننا المسلمين رغم غزارة الأمطار، وجريان الوديان، وخطورة التنقل في مغامرة حقيقية في مناطق تنعدم فيها الطرق وتنفجر السماء فيها بالأمطار...!!.

هذا ما ستقرؤه عن هذه الرحلة من خلال اللمحات التالية:

مأساة دارفور والحرب الطاحنة تتصدر الأخبار العالمية...!!.

تضارب الأنباء عن حقيقة ما يحدث في دارفور...!!.

رائحة المخالب الصهيونية والصليبية الكريهة والملطخة بدماء المسلمين تفوح من بين ثنايا التغطيات الغربية المتراكمة للأحداث في دار فور...!!.

الدكتور حقار يطلق صيحات النذير...!! (أنقذوا اللاجئين المشردين في البراري والوديان داخل تشاد)...!!.

نصيحتي للدكتور حقار...؟!!.

الشيخ مازن رحمه الله يرفع لواء نصرة اللاجئين المشردين، ولكن لا حياة لمن تنادي...!! لماذا...؟!!.

تركت رحلة العلاج إلى أمريكا... !! لماذا...؟!!.

تواتر الأنباء بعظم الكارثة في شرق تشاد...!! الجياع نزلوا على الفقراء في شرق تشاد...!!.

ما سر إلحاح الدكتور حقار، وماذا كان شَرْطي...؟!!.

دعوة المؤسسة لاجتماع طارئ وعاجل...!!. والدتي - حفظها الله - توافق على سفري وهي تذرف الدموع من عينيها...!!.

سر نجاح الرحلة - بعد توفيق الله - يكمن في الحقيبة الصغيرة...!!.

الصورة باليمين: حقول الأرحال والطين معاناة للوصول الى مناطق رؤساء القبائل ودعوتهم.

الاستعداد للسفر والمغامرة في موسم الأمطار...!!.

ولكن ماذا عن موسم الخريف...!! الأمطار الغزيرة بدأت في تشاد...!! خاصة في الجنوب والشرق...؟!!.

هل يوجد طرق معبدة...؟!!.

ما هي المعلومات الأولية...؟!!.

الوصول إلى تشاد ومقابلة فخامة «دوسا ديبي» الأخ الأكبر لرئيس الجمهورية (شخصية الرجل)...!!.

«دوسا ديبي» الأخ الأكبر للرئيس يودعنا ويوصينا...؟!!.

المرافقون في الرحلة وقيادة السيارة...!!.

الإجراءات الرسمية...!!.

انطلاق الرحلة...!!.

آثار الأخطار واضحة...!!، دخلنا قرية لزيارة أحد الدعاة...!! ما سر الخيمة البيضاء في مدخل القرية...!!.

هل فعلاً دخلنا قرية تفشى فيها وباء الطاعون «الكوليرا»...؟!! وهل نستطيع أن نخرج منها، وهل يجوز

ذلك شرعاً...؟!! وماذا كان نتيجة اجتهادنا...؟!! ثلاثة من أبناء الداعية ماتوا بالطاعون...!!.

الخريف بدأ بقوة وهنا مصدر الخطر...!! السماء تتفجر بالأمطار الغزيرة...!!.

آلام الناس في الطريق...!! سيارات متوقفة معطلة...!! وبعضها سقط في حفر في الطريق غمرتها المياه...!! حالات مؤلمة...!!.

لا يوجد جسور لعبور الوديان...!!

هل نستطيع عبور وادي (بنق بنق) الرهيب بعد نزول الأمطار...؟!! هنا بداية التحدي...!! اختبار حقيقي...!! إما التراجع وإما المواصلة...؟!!.

لماذا عم الظلام عند عبور الوادي رغم أني لم أطفئ الأنوار...؟!!.

الداعية «الضي شقيفات» يغامر بنفسه في الوادي...!!

السؤال عن الكاردنال القس «هنرى كودري» - محافظ الكرسي الرسولي البابوي بتشاد - ممثل البابا في المنطقة...؟!!.

القسيس يستفز مشاعرنا ويخجلنا بقوله: أين المسلمون والعرب...؟!! لماذا تأخروا...؟!!.

ولماذا خرج لاستقبالنا رغم أنه في خلوة كنسية...؟!! في محافظة «منجو» كان اللقاء...!!.

كيف كسبنا صداقة القسيس...؟!! ولماذا ساعدنا...؟!! قدم لنا خدمة كبيرة...!!.

القسيس أقام 37 سنة في تشاد، لماذا...؟!!.

وادي أم حجر كاد ينهي الرحلة...!! كيف تم عبور هذا الوادي الذي تحول إلى نهر جارف...!!.

عند وادي أم حجر كيف كان الاتفاق مع الناس...؟!!

هل سيكتمل بناء الجسر وينهي معاناة الناس...؟!!

الوصول إلى مدينة أبشة (1000 كم) عن العاصمة...!!

لقاء المسؤولين (الحاكم - المحافظ - مدير الشرطة - رئيس اللجنة الوطنية العليا لشؤون اللاجئين... وغيرهم) فرحة المسؤولين بوصولنا...!!.

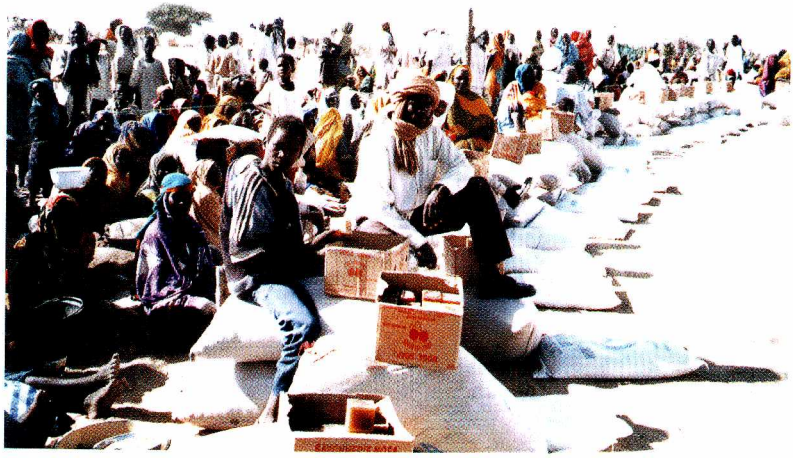

لماذا أعطانا مسؤول الأمم المتحدة للاجئين بتشاد الأمريكي «جريك ساندرس» معلومات دقيقة عن اللاجئين...؟!!، مع أنه كان يستفزنا ببعض العبارات الشامتة بصمت العرب، وعدم وصولهم..؟!! لماذا لم تأتوا لمساعدة إخوانكم المسلمين...؟!!

«جريك ساندرس» رحب بأي مساهمة من العرب، وسأل أين هم من هذه الكارثة...؟!!.

لقاء القنصل السوداني خالد، يقول: أطلقوا علينا الرصاص، كادوا يقتلوننا...!! علماً بأننا شربنا معهم الشاي صباحاً...!! لماذا...؟!!.

عندما بكى الصقر الأبيض...؟!! ولكن أين الطفل الذي صرخ في هذه البراري...؟!!.

بوادر الأمطار الغزيرة تثير مخاوفنا من عدم إمكانية مواصلة الرحلة...!!.

في الشرق قرى تنقطع عن العالم شهوراً عدة...!! لماذا...؟!!.

كيف تكون أحوال الناس في هذه المناطق (حلق القرآن ـ الصلاة ـ المدارس ـ الأمراض)...؟!!.

من يحرك الأمور في المخيمات ويؤجج الحقد والكراهية ضد كل ما هو عربي في مخيمات اللاجئين...؟!!.

المسؤولين التشاديون و الشعب التشادي في المنطقة يبذلون جهوداً جبارة لمساعدة إخوانهم من اللاجئين السودانيين من دارفور...!!.

الملك عبد الله بن عبد العزيز يستجيب لنداء وصل صداه إليه من جبال ووديان منطقة بهاي شرق تشاد...!!.

الملك عبد الله بن عبد العزيز يأمر بمساعدات للنازحين بالسودان و اللاجئين بتشاد بقيمة 40 مليون ريال سعودي من خلال جمعية الهلال الأحمر السعودي...!!.

سلة الغذاء السعودية أذهلت الغربيين...!!

الهلال الأحمر السعودي يسطر أجمل الصفحات في إغاثة إخواننا المسلمين في السودان وتشاد...!!.

الندوة العالمية للشباب الإسلامي أول مؤسسة خيرية إسلامية توزع المساعدات في المنطقة مع مؤسسة المنتدى الإسلامي...!!.

كل ذلك سيصدر في كتاب قريبا إن شاء الله.

الصورة بالبسين خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله يأمر بتوفير مليون ريال لإغاثة النازحين في السودان واللاجئين في تشاد ويبدأ الصورة جهود بعض مؤسسات الملكة الخيرية.

الصورة بالأعلى: طفل بلغ به الجهد والجوع وكأنه يشير بيده المسلمين طلباً للإغاثة.

الكتاب الخامس: جئت من هناك (النيجر مأساة حقيقية)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

رغم مصابنا بوفاة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ـ رحمه الله ـ إلا أن توفيق الله لنا يسر إكمال رحلة تقصي أحوال إخواننا في جمهورية النيجر الشقيقة...!!.

إنه شعب تعلق قلبه بالإسلام، وكغيره من شعوب القارة الأفريقية التي عانت من الاستعمار ونهب للثروات المدفونة في أرضه، مع بقاء الفقر والجهل والمرض وضعف البنية التحتية، ولكن رغم ذلك تجد بعض الطرق الجيدة، وخدمات بذلت فيها حكومة النيجر جهوداً واضحة...!!.

كان من المهم أن تكون الرحلة برية للوقوف على الحقائق رغم طلب مكتب رئيس الوزراء تحديد موعد الوصول لاستقبالنا في المطار، لكن الكارثة تجاوزت النيجر، وتأثرت بها كل من جمهورية تشاد ومالي، وهي الدول الفقيرة التي تعاني من عدم وجود منافذ بحرية كانت الرحلة تحمل في طياتها مشقة ومعاناة...!! حيث قلة المعلومات، وطول المسافة، وضيق الوقت، وضعف الإمكانات المتاحة للرحلة.

أحد أهم محطات تلك الرحلة هي وقوفنا عند تلك المرأة العجوز التي جاوز عمرها الثمانين سنة، وهي تقطف أوراق الشجر وتنظفها، وهي جالسة على قارعة الطريق، فبمجرد أن رأيتها طَلَبْتُ من السائق التوقف لسؤالها عن هدفها من تنظيف تلك الأوراق...؟!!، فقالت: حتى نأكلها مع أطفالنا..؟!!.

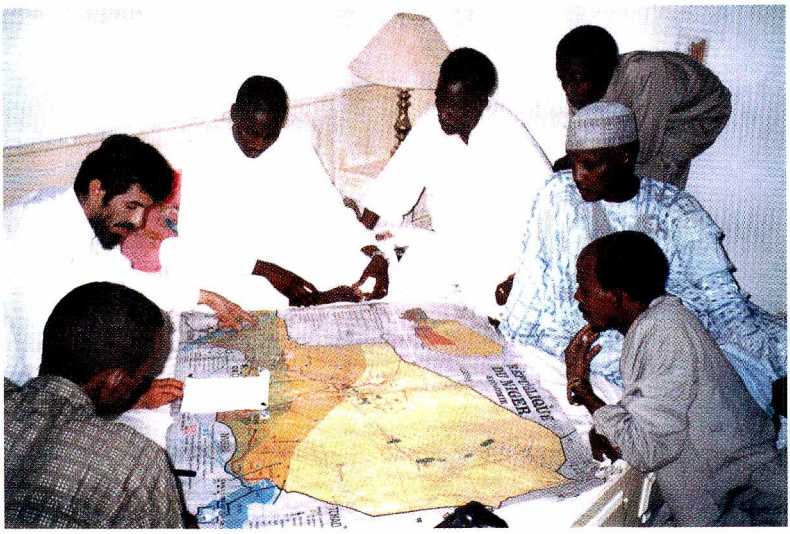

الصورة باليمين: تحديد أكثر المناطق تضرراً من المجاعة وكيفية الوصول اليها.

أجمل ما في هذا اللقاء هي تلك العزة والتعفف التي تحملها في قلبها عندما سألتها: ماذا تقولين للشعب السعودي والملك عبدالله...؟!! قالت: سَلِّم على الملك عبدالله وسَلِّم على الشعب السعودي..!! فقلت: هل تطلبين المساعدة...؟!! قالت: إن كان عندكم قدرة على مساعدتنا...!! فساعدونا...!! الله أكبر على هذا الرضا بالقدر، والعفاف في قلب تلك المرأة العجوز...!! ما أعظم هذا الدين الذي يغرس الرضا بالقدر في القلوب...!!

كيف كانت الرحلة...؟!! وما هي ثمراتها...؟!!

هذا ما سنقرؤه من خلال اللمحات التالية:

النيجر بلد يحوي في باطنه أغلى وأخطر سلعة في العالم...؟!! ما هي...؟!! إنها «اليورانيوم»..!! المادة التي تصنع منها القنابل النووية...!! من يتحكم في بيع هذا المعدن...؟!!

كيف تم كسر النسبة 100%...!! يعني أن الشعب لم يعد كله مسلماً...!! ولماذا...؟!!

شعب النيجر كغيره من الشعوب الأفريقية التي عانت من ويلات الاستعمار ونهبت الثروات الممنهج...؟!!

لماذا غيرت اتجاهي في إجازة الصيف إلى الصحراء ومجاهيل وسط القارة الأفريقية في رحلة طويلة بالسيارة عبر تشاد والنيجر ومالي...؟!!.

الإعلامي الغربي يتحدث عن إرهاصات مجاعة حقيقية في النيجر تهدد الملايين من المسلمين...!!.

الإحصائيات مثيرة...!! الأخبار تتوالى...!! أربعة ملايين مسلم من شعب النيجر مهددون بالموت جوعاً...!! الأطفال الأكثر تضرراً...!!

القنوات الفضائية تغطي أخبار وتطورات المجاعة بسبب توالي سنوات الجفاف على هذا البلد الفقير في عيشه، العزيز بدينه...!!

الدكتور حقار في اتصالاته يستنجد بالمؤسسات الخيرية والحكومة السعودية لإنقاذ هؤلاء المساكين...!!.

آثار المجاعة والجفاف تتعدى حدود النيجر إلى شمال تشاد وشرق مالي...!!.

حكومة النيجر تطلق صيحة نذير بنفاد مخزوناتها الاحتياطية من الحبوب، وهي تواجه كارثة حقيقية...!!

الاستجابة الدولية وخاصة العربية كانت ضعيفة...!! الأمم المتحدة تعلن تخصيص 60 مليون دولار...!! ولكن أين هي في أرض الواقع..؟!!.

أين تذهب هذه الأموال...؟!! وكم حجم المصروفات الإدارية لموظفي المؤسسات الدولية من الغربيين...؟!!.

الدكتور عبدالرحمن السميط «رئيس لجنة مسلمي أفريقيا الكويتية» يطلق نداء للمسلمين...!! ويسبق إلى الميدان...!!

الدكتور حقار يتصل ويقول: عندي لك خطاب رسمي من مكتب رئيس الوزراء بالنيجر...!! سألته: لماذا خصني بالخطاب...؟!! وأين الدول..؟!! قال:...؟!!.

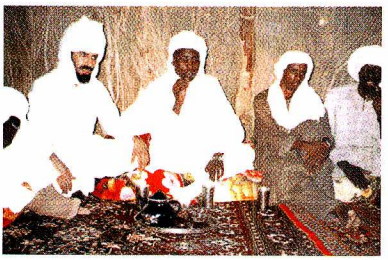

الصورة باليمين: في ضيافة أحد القبائل العربية (الشرفان) بالنيجر حيث الكرم العربي رغم المجاعة.

الصورة باليسار: مع رئيس قبائل الشرفان العربية بالنيجر رحمه الله والتقاء بأبناء يرتع الله عنهم المجاعة ويدوي الفقر

الصورة باليمين: سلطان قبائل الهوسا بالنيجر وممثل سلاطين المنطقة وبجواره الكولونيل علي كولومو والمستشار الخاص لرئيس جمهورية تشاد فخامة الرئيس إدريس ديبي.

عزمت على السفر إلى تشاد ثم إلى النيجر، ولكن بشرط..!! الدكتور حقار يسأل: ما هو الشرط...؟!! وافق على شرطي...!!

حزمت حقائبي..!! وودعت زوجتي وأطفالي ووالدتي وحملت الكاميرا متجهاً إلى تشاد..!!

الدكتور حقار كان في استقبالي، ولكن قبل الانطلاق إلى النيجر كانت الصدمة المفاجئة...!! إنا لله وإنا إليه راجعون...!!

ملك المملكة العربية السعودية الملك فهد بن عبدالعزيز يودع الدنيا «رحمه الله»...!! حقار يضطر للسفر إلى المملكة العربية السعودية...!! بقيت في تشاد...!! شاركت سفارة بلادنا في استقبال الوفود المعزية...!!.

الدكتور تأخر في المملكة...!! قررت الرجوع مع توالي الأخبار بالمساعدات الغربية...!! وصَلْتُ المملكة وقررت السفر بعائلتي لقضاء إجازة الصيف...!! ما الذي حدث...؟!! ولماذا غيرت رأيي..؟!!.

جملة صغيرة في موقع على الإنترنت غيرت كل شيء...!! هل يتوقع الكاتب هذا التغيير...؟!! لعل الكاتب كان صادقاً في عبارته...!! ولكن ما ذا كتب...؟!!

الصورة باليمين: أحد المخيمات التابعة لمنظمة أطباء بلا حدود الفرنسية سمحوا لنا بالدخول والتصوير بعدما عرضنا عليهم خطاب مكتب رئيس وزراء النيجر.

الصورة باليسار: ٥٪ من الأطفال الذين يصلون إلى الملاجئ الصحية حالتهم سيئة ميؤوس منها ويموتون.

عبارة «من للنيجر»...؟!! هل من حملة كحملة تسونامي...؟!! هذه الجملة أطارت النوم من عيني تلك الليلة...!! قررت الرجوع إلى تشاد...!! ثم النيجر...!! ولكن كيف...؟!!

قصة طويلة حتى وصلت إلى تشاد...!! ثم النيجر ثم صحراء...!! ثم...!!.

مستشار رئيس دولة تشاد الكولونيل «علي كولوتو» قرر مرافقتي بدل الدكتور حقار...!! جهز الأوراق الرسمية...!!

انطلقت الرحلة من عاصمة تشاد واتجهنا إلى النيجر...!! في شمال وشمال غرب تشاد بعض القرى لم يبق فيها إلا العائلات التي لم تستطع الهجرة والانتقال...!! القبائل العربية تستنجد بنا لإغاثتهم...!!.

الأمر رهيب...!! والكارثة مروعة...!! والإحصائيات مخيفة...!! بعملية حسابية بسيطة...!! أكثر من أربعة آلاف قرية تأثرت بالمجاعة في النيجر...!! على أقل تقدير وحسب الإحصائيات الرسمية، وأيضاً ما وقفنا عليه في الميدان. يموت طفل على الأقل في كل قرية يومياً...!! يعني أربعة آلاف طفل مسلم يموت يومياً...!! الله أكبر إنها كارثة عظيمة...!!

شيوخ القبائل العربية كانوا في استقبالنا..!! ماذا قالوا...؟!! لماذا اجتمع أكثر من 30 رئيس قبيلة وطلبوا مقابلتي على حدود النيجر مع تشاد...؟!!.

التوغل في الصحراء باتجاه الجزائر شمالا...!! العصافير ساهمت بإتلاف المحاصيل...!! التصحر والجفاف زحف مهدداً حياة الناس..!!.

لماذا غضب رئيس النيجر من المؤسسات الغربية...؟!! وبماذا صرح في الصحافة...؟!! ولماذا...؟!!.

دخلت بيوت بعض العائلات في النيجر..!! لماذا تحولت قدور الطبخ والأواني إلى اللون الأخضر...؟!!.

الصورة باليمين: دخلنا أحد المنازل فإذا بهم يطبخون أوراق الشجر من شدة الجوع.

حتى الأوراق السامة يتم غليها وتؤكل...!! عجوز جاوز عمرها الثمانين تنظف أوراق الشجر بجانب الطريق...!! ماذا كان نداؤها بعد شكرها لوصولنا...؟!! سلم على الملك عبدالله...!! وتدعو للملك فهد رحمه الله بالرحمة والمغفرة...!!.

رئيس وزراء النيجر استقبلنا في مزرعته..!! التواضع والخلق الكريم...!! أطرقت رأسي خجلاً مما يقول...!! لماذا...؟!!.

لم نستطع الوصول إلى مالي...!! لماذا...؟!!

كيف استطعنا الوصول والدخول إلى مخيمات المنظمات الغربية المقامة للأطفال...؟!! لماذا رفضت مسؤولة منظمة أطباء بلا حدود الفرنسية دخولنا لمخيم الأطفال رغم تصريح مكتب رئيس الوزراء...؟!!.

كيف رجعنا...؟!! ولماذا نزلنا في طرابلس عاصمة ليبيا...؟!! ولماذا نحن خائفون...؟!! وماذا كانت المفاجأة التي تنتظرنا في ليبيا...؟!!

نداء المرأة العجوز يصل صداه إلى مسامع خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز...!! ماذا كان جوابه...؟!! كاد قلبي يطير من الفرح والنشوة...!!.

كيف وصل النداء...؟!! ومن هو صاحب الفضل بعد الله عز وجل...؟!! إنه الأمير الفاضل...!!.

بشائر الخير في الميدان تتوالى أخبارها...!!.

المملكة حكومة وشعباً تبقى على العهد بنشر الإسلام ونجدة المنكوبين وإغاثة الملهوفين...!! بعض الدول العربية والخليجية ساهمت في الإغاثة والنجدة للمنكوبين...!!.

مؤسسات الخير من بلادنا الحبيبة المباركة تتسابق إلى الميدان...!!

وصَلتُ المملكة...!! عشرات الدعاة وطلبة العلم كانوا في انتظار وصولي لمعرفة أخبار وأحوال إخوانهم المسلمين في النيجر...!!

ذهبت للقائهم وشرح أحوال إخوانهم...!! ولكنهم حملوني إلى المستشفى مغشياً عليّ...!! حمى «ملاريا» النيجر كادت تقتلني..!!

«قناة المجد» تعرض مشاهد من رحلتنا في مناطق المجاعة في برنامج ساعة حوار...!! الشعوب العربية تفاعلت مع المشاهد...!! هذه ردود الأفعال...!! مواقف مبكية...!!.

شريط الرحلة يحرك القلوب...!! تسابق الناس للمساهمة في الخير عبر مؤسسات المملكة الرسمية...!!.

الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ومؤسسة الإعمار العالمية ومؤسسة المنتدى الإسلامي في مقدمة المبادرين...!! المؤسسات أطلقت حملة إغاثية عاجلة للنيجر...!!

تم بحمد الله إغاثة البطون والقلوب...!! الهلال الأحمر السعودي ينزل للميدان حسب توجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز وفقه الله لكل خير...!! الثمرات...!!

كل ذلك سيصدر في كتاب قريباً إن شاء الله.

الصورة باليسار: الكثير من الصغار لم يعد قادراً على الأكل فيتم تغذيته بالأنابيب.

الصورة باليسار: شيوخ وعلماء من القبائل العربية والإفريقية مطلوا اللقاء للتعزية في وفاة الشاب نور رحمه الله وتعزية ذويه لتلك المصيبة التي ألمت بهم

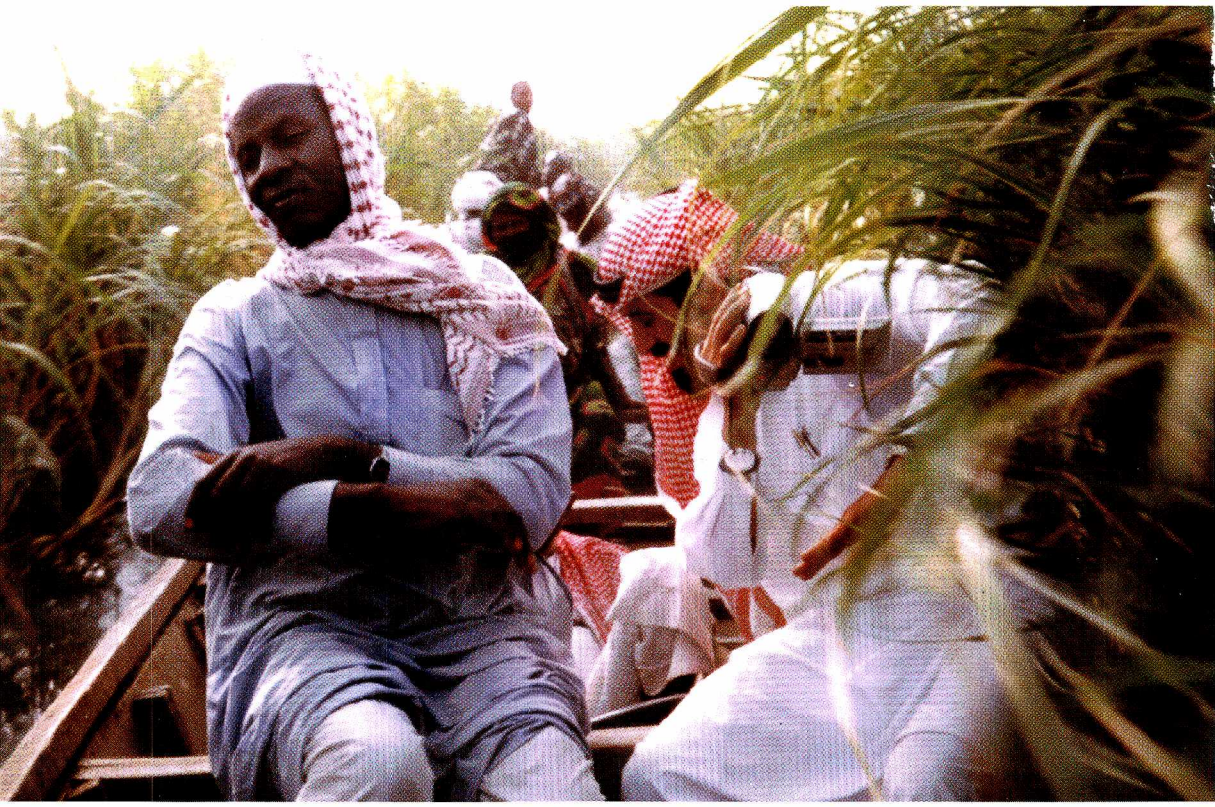

الصورة بالاعلى في التارب الخمس محاول بحذب انتباه المسير بسرعة في المجاري قبل التوغل في البحيرة.

الكتاب السادس: رحلات إلى الجزر المنسية في بحيرة تشاد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

يصاب الإنسان بالحيرة والدهشة من جلد صاحب الباطل وتقاعس صاحب الحق والفطرة السليمة، فما سمعته من وصول الجحافل والوفود الكنسية منذ سنين طويلة إلى بلد يغلب على سكانه القبائل العربية المسلمة مثل جمهورية تشاد الشقيقة، بل تعدى ذلك بالوصول إلى أماكن لم يخطر ببال دعاة الخير ومؤسساتهم مثل تلك الجزر المنتشرة في بحيرة تشاد..!!، تلك البحيرة العذبة التي يتجاوز طولها وعرضها مائتي كيلو متر تقريباً (200كم)، والتي بوصولنا إليها في رحلات مثيرة، أثارت دهشة سكانها من وصول هذا العربي المشرقي من أرض «مكة» وهي التي يسمونها بلاد الله...!!

لقد تجاوز عدد الكنائس حسب ما ذكر الدكتور حقار، والتي وقفنا على بعضها - ما يقارب ستاً - وخمسين (56) كنيسة..!! بل في جزيرة واحدة رأيت ثلاث كنائس رغم قلة عدد النصارى النازحين إليها...!!.

لقد أسميناها «الجزر المنسية» أي من قبل المسلمين وكافة العرب...!! ولكن بحمد الله فقد أصبحت الآن

المصورة باليمين: الوصول الى عمق البحيرة باتجاه الجزر المنسية.

المصورة باليسار: أحد الرجال يخرج الماء المتسرب إلى قاربنا القديم حتى لا نغرق.

غير منسية بدخول المؤسسات الخيرية من هذه البلاد المباركة، وارتفاع منارات المساجد، وبدء انتشار حلق القرآن والعلوم الشرعية...!!، هذه الرحلات وغرائبها سنقرؤها من خلال هذه اللمحات:

رحلات كانت بالنسبة لي أشبه بالخيال...!!، هل يعقل أن أصل لأناس لم يشاهدوا العربي...؟!!.

كيف الدخول إلى تلك الجزر...؟!! لا يوجد قوارب حديثة...!!.

القوارب من صنع الأهالي بشكل بدائي...!! الغَنيّ منهم يضع في القارب ماكينة مستعملة وقديمة...!!.

لا بد أن نخصص أحدنا لإرجاع الماء المتسرب في القارب من خلال الثقوب إلى البحيرة ونتناوب على ذلك...!!.

في الجزيرة الكبيرة «كناسروم» ابتهج الأهالي وخرجوا لاستقبالنا...!!.

في جزيرة مدغشقر زغردت النساء فرحاً بوصول عربي من بلاد الله من مكة...!!.

بعض الأطفال يناديونني: «مكة»...!! والبعض الآخر على أطراف الجُزر يحيونني بتحية القساوسة: أيها البابا (لا ليك...!!) لماذا...؟!!.

القساوسة تجولوا في الجزر وأنشؤا ما يقارب ستاً وخمسين كنيسة بروتستانتية وكاثوليكية....!!.

بعض النصارى الأقلية النازحين أنشؤا خمَّارات في هذه الجزر النائية...!! الناس يحتاجون إلى التوعية...!!.

فرس النهر بحجمه الضخم يثير الرعب...!!، في إحدى الزيارات قالوا لنا: فرس النهر صدم قارب أحد الصيادين وأكله...!!، وفي الزيارة الثانية أخبرونا أنهم اصطادوا الفرس وأكلوه...!!.

في ظلمة الليل تعطل بنا القارب بين الأحراش الممتدة في البحيرة...!! «أعشاب هائلة» ...!! كيف كان

الصورة بالأعلى: أهالي جزيرة كتلسروم في وداع أحمد في الرحلة.

الموقف...؟!! وماذا نعمل...؟!! ليل بهيم....!! وظلام دامس...!!.

ثعابين البحيرة تتجول بين الأحراش والقش...!! شكلها مخيف...!! أفراس النهر بحجمها الضخم ترقبنا بالممرات المائية...!!.

في بعض الجزر الأهالي لم يتحدثوا معنا في البداية «خافوا من هذا الضيف الغريب الشكل» لماذا...؟!!.

أكثر من (150) قسيساً زاروا المنطقة في عام ألفين...!! ما هدفهم...؟!! وصلنا بعدهم بيوم...!!.

يوزعون نشرات باللهجات المحلية بعنوان (أنتَ ماشي وين...؟!!). ماذا يقصدون بها...؟!!.

مؤسسات الخير في بلادنا تستجيب لتقارير الرحلات...!! المنارات الشامخة ترتفع في الجزر «بحمد الله»...!!.

المنارات هداية للقلوب...!! وهداية للتائهين من الصيادين في البحيرة...!! عندما تهب الرياح تكون الكارثة، على الصيادين والمسافرين...؟!! لماذا...!!.

محاولة لقياس الأعماق والقش في الطرقات المائية بين الجزر النائية

الصورة بالأسفل: في احدى الرحلات الجزر النائية لاكتشاف جزر جديدة.

هل يعقل أن هناك جزراً متحركة....؟!! وكيف وصلت أبقار الكوري الضخمة إلى تلك الجزر...؟!!

مشاريع الخير تعم كثيراً من الجزر المنسية في البحيرة...!! مسجد الأميرة موضي آل سعود ـ وفقها الله ـ منطلق للدعوة والخيرات في تلك المنطقة...!!.

النوم لأول مرة في الجزيرة...!! الرطوبة عالية...!! والحشرات تضيء ليلاً...!! والبعوض قاتل...!!.

الداعية التابعي «عمر بن ليلى» دخل هذه الجزر قبل 12 قرناً، وكان له قدم سبق في نشر الإسلام في تلك المنطقة...!!

ماذا قال الوفد الكنسي عندما تفاجأ ببناء المسجد ذي المنارتين الشامختين في الجزيرة الكبرى «كناسروم»...؟!! وماذا كانت إجابة ممثل السلطان...؟!!.

عندما وصلنا إلى أول جزيرة ابتهج الأهالي وقالوا: أنتم أناس مباركون...!! سألناهم: لماذا...؟!! الجواب كان مفاجأة بالنسبة لنا...!! وأيضاً محرجاً في نفس الوقت...؟!! كيف سنتصرف في هذا الموقف...؟!! ثمرات الرحلات...!!.

كل ذلك سيصدر في كتاب إن شاء الله.

الصورة باليمين: في ضيافة ملك الباماون بعد صلاة العيد وفي كلمته للناس يوصيهم بالتمسك بالكتاب والسنة.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

«الكنغو الديمقراطية» «زائير سابقاً» جمال الطبيعة...!! ثروات هائلة...!! مساحات شاسعة...!! موقع إستراتيجي...!! المسؤولون يحترمون الإسلام...!!.

المستشار القانوني للرئيس قام من مكتبه وأشار إلى الخارطة...!! ماذا قال...؟!! وماذا يريد بكلامه..؟!! وبماذا أوصاني...؟!!.

غرائب البلاد...!! الناس يبحثون عن كل ما هو جديد...!! فراغ روحي...!! لماذا يناديونني ويقولون: «يا يسوع خلصنا»...؟!!.

الناس يبحثون عن الإسلام...!! الفرق الضالة تستقبل المهتدين الجدد...!! يعطونهم المنح الدراسية...!! يغزون مساجد السنة بحيل ماكرة...!! ويعلمونهم سب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولعن عائشة رضي الله عنها...!! ترتيل القرآن وسيلتهم إلى قلوب المهتدين...!! كيف ذلك...؟!! هذا ما شاهدته بأم عيني...!!.

ماذا قال الرئيس الشيوعي الروسي الهالك ستالين عن زائير (الكونغو الديمقراطية)...؟!!.

بلاد الغرائب والتناقضات...!!، في الكنغو برازافيل الشرطي يترك تنظيم السير ويشير إلي بإشارات غريبة...!! لماذا...؟!! وماذا قال له صاحبنا اليمني المقيم في المنطقة منذ عشرين سنة...؟!!.

في «الكنغو الديمقراطية» راعي الكنائس هرول مسرعاً باتجاهي، وتهجم علي بكلام غريب...!!، ماذا قال...؟!! وبماذا يتهمني...؟!! ومن هو الذي قتل المسيح حسب زعمه...؟!!.

في الكنغو الديمقراطية ـ زائير سابقاً ـ يتعجب الزائر من جمال الطبيعة، حيث الغابات الهائلة ذات الأشجار الشاهقة الارتفاع، والأنهار الجارية التي يتجاوز عددها أربعمائة نهر، وعلى رأس هذه الأنهار يتبختر نهر الكنغو العظيم، ويخترق هذه البلاد بشموخ وكبرياء، هذا النهر العظيم يعد أكبر نهر في العالم بعد نهر الأمازون من حيث كمية منسوب المياه، فقد تعجبت كثيراً أثناء عبورنا لهذا النهر بواسطة زورق سريع بعد مغادرة «الكنغو الديمقراطية» متجهين إلى دولة «الكنغو برازافيل»، حيث يفصل هذا النهر العظيم بين الدولتين، وقد يصل عرضه في بعض المناطق إلى عدة كيلو مترات.

وكم كنت أتخيل وأنا أنظر إلى هذا النهر وهو يجري عبر هذه المساحات الشاسعة أولئك المستكشفين من طلائع الاستعمار الغربي من القساوسة الذين هلكوا في هذا النهر...!! والذين دفنوا تحت أرض هذه الغابات بسبب البعوض القاتل والأمراض الفتاكة...!! حيث كانت الأماني والأحلام تراودهم في السيطرة على هذه المناطق ويسيل لعابهم من أجل مناجم الذهب والألماس المنتشرة خاصة في المناطق الشرقية للكنغو الديمقراطية التي يتركز فيها المسلمون...!! وهنا دفنت أحشاء المستكشف القس «ديفيد ليفنجستون»! نعم، إنها أرض الثروات...!! الذهب، الألماس، والأحجار الكريمة، الفضة، المنجنيز، النحاس، الزئبق، اليورانيوم...!! وأخيراً البترول بكميات هائلة حسب الدراسات الغربية السرية...!!

وهي أرض الثروة الغابية والزراعية، حيث الغابات تمثل 65% من مساحة الكنغو الديمقراطية التي تعتبر أكبر دولة من حيث المساحة في أفريقيا بعد الجزائر والسودان والأمطار مستمرة تسعة أشهر في السنة بشكل غزير...!!، وتمثل أيضاً ثروة بشرية حيث يصل تعداد سكانها إلى 62 مليون نسمة تقريباً، منهم 15 مليون مسلم، وفوق كل هذا فهي اسم على مسمى حيث تقع في منطقة البحيرات العظمى، وبها ثروة مائية هائلة...!! وسوف يدرك الناظر من علو شاهق من الطائرة لتلك المناظر الخلابة سر استمرار الحرب الشرسة التي يحركها الغرب ويتصارع للسيطرة عليها...!!.

لقد نسيها المسلمون في حين أن المنظمات التنصيرية رسخت أقدامها في تلك الأرض منذ قرون، لدرجة أنك ترى في الحي الواحد بين الكنيسة والأخرى كنيسة ثالثة، ورغم قلة المساجد والمصليات إلا أن النصارى يبادرون ببناء الكنائس بجوارها ومع ذلك نبشر المسلمين والدعاة خاصة بأن الشعب الكنغولي يبحث عن الإسلام، لأن الكنيسة رغم حملتها المركزة والشرسة على هذا الشعب لم ترو عطشه الروحي...!! بل زاد الفراغ الروحي لديه بشكل كبير ،وأصبح يبحث عن كل جديد، ولا يجدون ضالتهم إلا في الإسلام.

وكم صادفت من المواقف والطرائف بسبب الزي العربي الذي لا أتركه أبدا حيث يعتقد الكثير منهم بأني المسيح، وينادونني بمقولة تتكرر دائماً...!! «يا يسوع خلصنا»، بل أحيانا إذا لم ألتفت إليهم ينادون من يرافقني من الدعاة المحليين، ويقولون لهم: يا رسل المسيح اجعلوا عيسى يلتفت إلينا...!! سبحان الله...!! إنه الفراغ الروحي الذي يعيشونه، وهذا ما اعترفت به راهبة كاثوليكية كنا نتحاور معها أثناء زيارتنا لأحد المجمعات الكنسية للوصول للمكتبة الكاثوليكية.

ولا أنسى ذلك الرجل الطويل القامة (نصراني كاثوليكي تبين أن جده مسلم ومؤسس المسجد القديم) في مدينة «بنتنوار» الذي توسل إلي لأقبل منه بعض النقود في الكنغو برازافيل، وعندما سأله الدكتور حقار: لماذا...؟!! قال: لأنه رجل عظيم...!! لفت نظره وأثار دهشته هذا الزِّي الغريب...!!.

ولقد كان للتجار المسلمين القادمين من غرب أفريقيا أثر كبير في انتشار الإسلام في تلك المنطقة وإن كان يشوبه بعض الانحرافات أحياناً، والخطر كل الخطر يكمن في غسيل الدماغ الذي تمارسه الفرق الهدامة التي تدعي أنها تمثل الإسلام وتحتوي المهتدين الداخلين في الإسلام، وتغرس في نفوسهم مظلمة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتغذي في قلوبهم الحقد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسائه الطاهرات، وتربي فيهم كره أهل السنة بزعم وقوفهم مع الطغاة الظالمين ضد آل البيت...!!.

كل هذا في غياب المؤسسات الخيرية الإسلامية ذات المنهج الصافي من هذه البلاد المباركة خاصة، ودول الخليج والدول العربية الباذلة لأعمال البر والإحسان عامة...!!.

سفير أكبر دولة عربية...!! يقول أين أنتم يا أهل الخليج...؟!! الناس يبحثون عن الإسلام...!!

الوصول بعد أحداث سبتمبر...!! الواقع تغير...!! غرائب، طرائف...!!.

أحداث ومواقف طريفة...!! وفي نفس الوقت محرجة...!!.

كل ذلك سيصدر في كتاب إن شاء الله.

الكتاب الثامن: رحلات إلى ملوك وسلاطين ورؤساء القبائل في أفريقيا

(عندما يتحول السلطان إلى داعية)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

ورد في الأثر عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه قوله: (إن الله لَيَزَع بالسلطان ما لا يَزَع بالقرآن...) أي أن صاحب المكانة والسلطة له التأثير الكبير إذا تبنى نصرة الحق والدعوة بجاهه ونفوذه وسلطانه.

كانت قصة البداية عجيبة...!! حيث لم يخطر ببالنا التركيز على رؤساء القبائل والملوك التقليديين في أفريقيا، وإذ خطر ذلك في أذهاننا تجلت العقبات والمحاذير وقلة الخبرة، لكن ذلك الموقف الذي أراده الله في ذلك المجمع الكنسي في تلك المدينة النائية في شرق تشاد بناءً على دعوة المحافظ المسيحي لنا لحضور الدورة التي تقيمها الكنيسة الكاثوليكية لرؤساء القبائل والسلاطين المسلمين من العشائر العربية وغير العربية...!! تكريما لنا بسبب الإغاثات التي قدمتها المؤسسات الخليجية عامة والسعودية منها خاصة في محنة المجاعة...!!.

كان حضور ذلك اللقاء، وما حدث فيه من المواقف الطريفة لشخص يلبس الزّي العربي يعتبر غريباً ومثيراً للدهشة والحيرة في مثل

الصورة بالأعلى: لقاء مع أحد عظماء سلاطين أفريقيا سلطان مملكة «كانم» التاريخية السلطان أليفة علي زارتي.

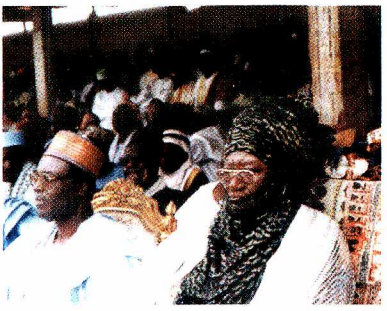

الصورة بالوسط: أحد عظماء السلاطين والملوك التقليديين في أفريقيا (ملك الباموين).

الصورة بالأسفل: في قصر الملك إبراهيم ممبوجويا في المملكة الباموينية بجمهورية الكاميرون للسلام عليه بعد العيد وفي ضيافته الخاصة.

الصورة باليمين: السلام على السلطان اليشه علي زازرعي سلطان مملكة كاسم بعد العيد مباشرة وفي ضيافته الخاصة.

تلك المنطقة...!!، كان بداية لبرنامج التواصل مع الملوك والسلاطين ورؤساء القبائل...!! عاداتهم وتقاليدهم...!! التفاعل مع المراسم والبروتوكولات الخاصة بهم وضيوفهم...!!

كيف كانت النتائج...؟!! وما أثر الدورات الخاصة برؤساء القبائل على الدعوة..؟!! وكيف كانت الصداقة والعلاقة مع أعظم السلاطين والملوك في أفريقيا...؟!! ولماذا نذر بعضهم نفسه للدعوة إلى الله ونشر الإسلام...؟!! وكيف كانت الانطلاقة من خلال إفطار خادم الحرمين الشريفين الملك فهد رحمه الله للصائمين...؟!! هنا بدأت بشائر الخير تتوالى وثمرات الدعوة تنتشر...!!

وهذه لمحات موجزة عن الرحلات...!!

بداية الخير أثناء تنفيذ مشروع إفطار خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ بتشاد...!!.

الصورة باليمين: أهل السنة والجماعة وبشاركتهم في العيد.

الصورة باليسار: الاحتفال بالعيد عبارة عن فلكلور تاريخي يعبر عن حضارة القبيلة أو المملكة القديمة.

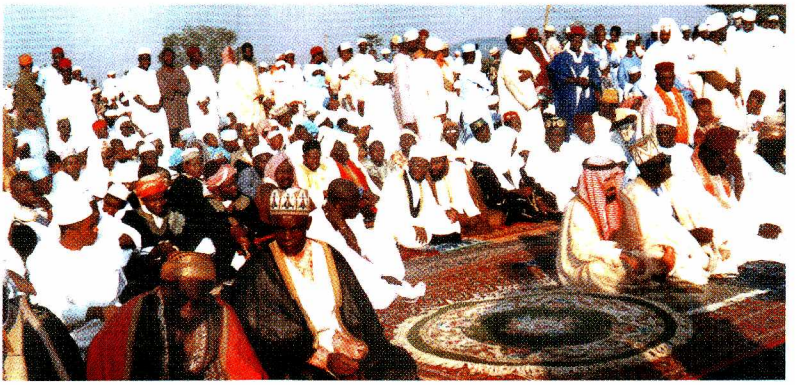

الصورة باليسار: صلاة العيد في مملكة الياموتية التاريخية في جمهورية الكاميرون مع أحد أعظم سلاطين أفريقيا الملك إبراهيم مبيوحويا وفي ضيافته الخاصة وبجوار سجادته الخاصة.

مشروع الإفطار تبرز التلاحم والأخوة والإنسانية بين المسلمين، فيدخل الناس في الإسلام أفواجاً..!!.

برنامج دعوة السلاطين ورؤساء القبائل بجنوب تشاد، ثمار عظيمة في زمن يسير..!! متى بدأت الفكرة...؟!! وكيف...؟!!.

الكنيسة تنفق الملايين الطائلة خلال أكثر من 90 سنة لتنصير قبائل «قلاي» في جنوب تشاد...!! الإسلام يقطف الثمرة بحمد الله...!! كيف ذلك...؟!!.

الصورة باليمين الأعلى: في هذه اللقاء أسلم السلطان وأكثر من ١٢٠ من اتباعه في نفس الجلسة بحمد الله.

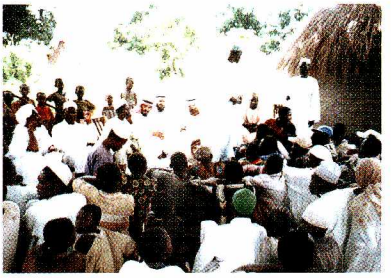

الصورة باليمين الأسفل: عرض الاسلام على رئيس إحدى المجموعات القبلية.

الصورة باليسار: معانقة رئيس أحد المجموعات القبلية بعد إعلانه الاسلام ونطقه بالشهادتين بحمد الله.

الصورة باليمين: محمد التحطاني (أبو عبدالمجيد) رحمه الله جاء الى تشاد للتجارة والدعوة فأسلم على يده السلطان وأربعين من أتباعه والشيخ وليد العباس ينتظر دوره ليسلم على يده أربعين أيضاً.

الصورة باليسار: أعلن إسلامه عندما عرف أني من بلاد الله من مكة المكرمة.

ما قصة الشاب «علي رمضان» الذي أسلم وأصبح داعية مشهوراً...؟!! لماذا رشحته القبيلة الوثنية وجعلته سلطانا عليها...؟!!.

مئة كرتون من التمر استلمها الداعية السلطان علي رمضان من لجنة الأمير سلطان بن عبد العزيز الخاصة للإغاثة بتشاد كان لها الأثر الكبير في دعوة قبيلته...!!.

إسلام السلطان الجنرال «موسنقار» الذي يعتبر من السلاطين الكبار بجنوب تشاد في العشر الأواخر من رمضان على يد دعاة المنتدى الإسلامي...!! يعتبر من أقوى النكسات التي تتوالى على الكنائس بجنوب تشاد...!!.

لماذا رفض السلطان الجنرال «موسنقار» النصرانية عندما عرضت عليه قبل سنوات...؟!!.

ما أهمية هذا السلطان الجنرال...؟!! وكيف أسلم...؟!! وماذا قرر بعد إسلامه...؟!!.

وتتوالى بشائر الخير بإسلام أربعة سلاطين آخرين بعد شهر رمضان المبارك، وخلال أقل من ثلاثة أشهر في جنوب تشاد على يد دعاة مؤسسات الخير، ولله الحمد والمنة...!!.

يزيد أتباع هؤلاء السلاطين المهتدين على مائتي ألف نسمة (200 ألف)...!! هل سيسلم هؤلاء الأتباع...؟!! بإذن الله ...!!.

إسلام السلاطين بجنوب تشاد يحرم الكنائس العالمية من تحقيق حلمها العظيم وهو...؟!!.

المؤسسات الإسلامية تصيب العمل التنصيري في محافظة «قوندي» بجنوب تشاد بنكسة أخرى عظيمة بإسلام الرجل الثاني في الكنيسة الكاثوليكية القسيس «ماجمباب» على يد دعاة مؤسسات الخير...!!.

فريق التحقيق المرسل من الكنيسة يتساءل: كيف أسلم هذا القسيس؟ وقد أنفقنا عليه الأموال الطائلة خلال 23 سنة من الإعداد والتدريب...؟!!، كم أعطاه المسلمون من مليون ليسلم....؟!!، إنه نداء الفطرة...!!.

يسَّر الله حج القسيس بعد إسلامه بأسبوعين...!! لماذا انهمرت دموعه وهو يطوف بالبيت الحرام...؟!! وبماذا دعا ربه...؟!! وماذا كان شعوره عندما سجد في الحرم مع الملايين من المسلمين...؟!!.

التقيت بهم في الحج (القسيس والسلاطين المهتدين) عبروا عن شعورهم بكلمات تدمي القلوب، وتبكي العيون، ويقشعر منها البدن، وتهتز لها مشاعر كل من له غيرة على الإسلام...!! أنقل لكم هذه الكلمات لتخرج الأمانة من عنقي إلى عنق كل قارئ لهذه السطور...!!.

ممثل (25) قبيلة طلب مقابلتي في المكتب...!! ماذا يريد..؟!! ولماذا طلب أن يسلم على يدي...؟!! وما علاقة إفطار الصائمين التي تقيمها المؤسسات الخيرية من الخليج...؟!!.

يعتبر من السلاطين العظماء في أفريقيا...!! يقول: سأنصر الدعاة إلى الله كما...؟!!.

أحد السلاطين المثقفين يتبع له حوالي «600 ألف» من قبيلته عندما عرف أني أرغب في زيارة منطقته المنسية قال لي: اعتبروني جندياً من جنود الإسلام، وأنا على استعداد للتفرغ للعمل الدعوي...!!.

يتبع له ما يقارب (200) ألف نسمة، كان، يحارب الدعاة ويصفهم بالوهابية ويحرم حتى مصافحتهم...!! وبعد كفالته للحج والتواصل معه اهتدى للحق وتاب إلى الله وأعلن نصرته للدعوة، ونشر العلم الصحيح...!!، قابلته والدموع تغرق عينيه...!! يقول: أسأل الله أن يمد في عمري لأنصر الدعوة وأكفر عن ذنوبي...!! السلطان يقول: كانت صورة أهل السنة في الخليج مشوهة عندنا..!! الحمد لله على وصولكم...!! بعد وصول الإغاثات من بلاد الحرمين وسماع الكلمات أدركنا أنكم تُصَلُّون على الرسول صلى الله عليه وسلم، وتحبونه، وتحبون الخير للمسلمين ومساعدتهم، بعكس ما كنا نسمع سابقاً...!! الثمرات...!!

الصورة باليمين: توزيع الحلوى على الأطفال له أثر عظيم في نفوس الأطفال وأسرهم.

الصورة باليسار: إحدى معاناة رحلات الوصول إلى رؤساء القبائل في موسم الأمطار.

الكتاب التاسع: من غرائب وطرائف القصص الواقعية في أفريقيا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

في تلك الرحلات المتعددة في القارة الأفريقية منذ أكثر من اثنتي عشرة سنة، والتي تجولنا فيها في تلك القارة حرصت كل الحرص على الوصول إلى مناطق مهمة لم تصل إليها أيدي المحسنين ومؤسساتهم الخيرية، أو إلى مناطق كوارث لم يستجب أحد لصرخات المستضعفين من المسلمين فيها، أو قد تكون الصرخات تلك لم تصل إلى مسامع الغيورين من أبناء الخليج خاصة، والمسلمين عامة، وفي هذه الرحلات تكون المواقف الصعبة، والحوادث المفاجئة، والطرائف المضحكة، والمواقف الغريبة والمدهشة، والقصص المشوقة...!!

فإليك بعض العناوين من تلك القصص:

طفل تشادي يناديني: يا نصراني! لماذا...؟!!

العجوز التي استقبلتنا مع لجنة الأمير سلطان...!!، ماذا قالت...؟!!

قصة الشاب الكاثوليكي والساندويتش...؟!!

قصة المسلم القزم والقسيسة الطبيبة السويسرية...؟!!

وقعت السيارة في الرمال فأسلم من أخرجنا...؟!!

رسومات نزول المسيح في قرية قسيس، صعد فوق البرميل للصعود عام 2000م...!!

الوصول إلى أناس في «غابات الأقزام «لم يسمعوا أن هناك ديناً أصلاً...!!

أسلم على يديه رجل قبل أن يدخل هو في الإسلام...!!

قصة ضياعنا عام 2000/1/1م بالطائرة ...!!

في غابات نهر « لاقون» أسلم رئيس القبيلة القزم، وقال متعجباً: لأول مرة يدعونا أحد إلى دين...!!

أمام جزيرة «كناسروم»: أنتم أناس مباركون وصلتم ليلة المولد النبوي...!!

150 قسيس يتجولون عام 2000/1/1م في الجزيرة، ويوزعون نشرة بعنوان « أنت ماشي وين»...؟!!

هذا البابا حقنا في مكة...!!

في الطائرة يقول: أنت رجل عظيم...؟!!

الطفلة تجري ثم تقف أمامي وتقول هذا هو المسيح...!!

اتصل عليّ من السودان يقول: أنه أبو بكر من برازافيل أمام جامع مدينة «بنتنوار»..!!

قال: يا عبيد المسيح اجعلوا عيسى يلتفت إلينا...!!

الأطفال يضعون أصابعهم في أفواههم، ثم يمسحون بها على يدي (هل يتغير اللون)...؟!!

حادثة الكامرون...!! هل مات الطفل...؟!!

نريد حلوى عيسى + تنفيس المرأة الوالدة! نحن رسل المسيح...!!

الراهبة في «الكنغو برازافيل» تقول إنك تشبه عيسى...!!

ابن رئيس القبيلة المسلم شكرنا لدعوتنا لأبيه وهو يخفي إسلامه...!!

رئيس بلدية «برازافيل» أسلم وقال إنه قرأ في الإنجيل أن رسولاً يأتي من بعد عيسى...!!

يرتد عن الإسلام بسبب ابنه المقعد ويدعو الآخرين للمسيحية وأعطته الكنيسة قطيعاً من الخنازير، كيف رجع إلى الإسلام...!!

إفطار الصائم جعله «ممثلاً لـ 25 قرية».يسلم على يدي...؟!!

يقول سنشتكيكم أيها...!! أمام الله يوم القيامة...؟!!

تعطلت سيارتنا...!! فأنقذتنا مؤسسة مسيحية...؟!!

ثلاثة أدلاء إلى قرية «دم دم»...؟!! في الأخير أضعنا القرية...!!

قرية المهتدين «دار السلام» في مالي سببها رجل واحد...!!

أصبح مستشاراً خاصاً لرئيس الجمهورية بعدما كفلت دراسته المؤسسة الخيرية...!!

اتصل بي بعد إلقاء الكلمة وقال: سأذهب أنا وفلان إلى الأمير...؟!!

كل ذلك وغيرها من القصص سيخرج في كتاب قريباً بإذن الله.

شكر وعرفان:

الحمد لله الذي مَنَّ علينا بنعمه العظيمة، وأسبغ علينا عطاياه الكثيرة، ورتب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم من الأجور وأجزل في المثوبة. فالأعمال الصالحة القليلة يقابلها حسنات كثيرة، أحمد الله الذي مَنَّ علينا بإنجاز وإتمام هذه الرحلة ميدانياً، ثم أكرمنا بانجازها كتابة.

هذا الكتاب عبارة عن توثيق بأسلوب قصصي لرحلة حقيقية تمت في شهر ذي الحجة عام 1425هـ، لمنطقة كانت وما زالت محط اهتمام كثير من الباحثين والمُنَصِّرين والمستكشفين الغربيين.

أردنا من خلالها استكشاف المنطقة ولفت أنظار المؤسسات الخيرية لحاجة هذه المنطقة وأهميتها الدعوية والاقتصادية، ولم يخطر ببالنا أنها ستخرج في كتاب. ولكن من تيسير الكريم المنان أن سخر لنا إخوة أفادونا بعضاً من توجيهاتهم، وعلى رأسهم الأستاذ الفاضل الكاتب والداعية المعروف/عبد الملك القاسم الذي ما زلت أتذكر نصيحته في أول رحلة لي عام 1418هـ، حيث ذكَّرني وشجَّعني على أهمية توثيق الرحلات بتقارير، ولكن بحمد الله تطورت هذه المهارة إلى أن أصبحت على شكل كتاب، والشكر موصول للداعية والباحث والرَّحالة الدكتور/حقار محمد أحمد وهو من عرب دولة تشاد الشقيقة على رفقته الطيبة لي في هذه الرحلة، والذي سخر حياته للدعوة إلى الله تعالى في كل مكان، ومكافحة التنصير وخاصة في أفريقيا.

وكما أثني الثناء العطر على فخامة الأخ/دوسا ديبي «الأخ الأكبر لرئيس جمهورية تشاد» على حسن ضيافته وكرم أخلاقه وأُخُوَّته، ورعايته لأعمال الخير من خلال مساندته وتوجيهاته الكريمة لنا...

الصورة بالبيمين: صورة لفخامة رئيس دولة تشاد الرئيس إدريس ديبي أتنو

فإني أخص رئيس دولة تشاد فخامة/إدريس ديبي أتنو -وفقه الله- بالشكر والتقدير لما رأيناه من أمن وأمان ورعاية واستضافة خلال زياراتنا لهذا البلد الكريم المضياف منذ أكثر من 12سنة.

وليفخر فخامة الرئيس أن التاريخ سجل في عهده وقوفه المشرف مع اقرار اللغة العربية كلغة رسمية في الدولة مع اللغة الفرنسية واعادة الاعتبار للغة القرآن الكريم وأيضاً المغامرة الشجاعة والمخاطرة بقرار استخراج البترول في تشاد رغم المصاعب مما ساهم وسيساهم في تطور تشاد وتوفير العيش الكريم لأبناء شعبه فنسأل الله له التوفيق لكل خير.

وأما مؤسسة عبد آل ثاني الخيرية التي كان لها السبق في إنشاء أول مشروع إسلامي في تلك المنطقة، وأشْرَفَت على إنشائه مؤسسة المنتدى الإسلامي، فللقائمين على تلك المؤسستين منا الدعاء لهم بالبركة في الأعمار، والتوفيق في الأعمال.

وفي الداخل.. فلسمو الأمير الدكتور/بندر بن سلمان بن محمد آل سعود «مستشار خادم الحرمين الشريفين» أصدق عبارات الشكر والدعاء له بالتوفيق والرفعة في الدنيا والآخرة، لما نجده من سموه من كريم السجايا وحسن التواضع، ورفعة الأخلاق، والاهتمام الصادق بقضايا المسلمين وخاصة في أفريقيا، والوقفات الصادقة المشرفة التي أينعت ثمارها الإنسانية والدعوية في الميدان.

ولكل من ساهم في نجاح الرحلات الدعوية، ومن أفادنا بتوجيهاته وملاحظاته التي أسهمت في خروج هذا الكتاب بهذه الحلية نقول لهم سدد الله خطاكم على دروب الخير، ورفع قدركم دنيا وآخرة، وأجزل لكم المثوبة، وجعلكم مباركين أينما كنتم...

وعلى رأسهم كل من:

- أستاذي وشيخي الفاضل الشيخ الدكتور/إبراهيم أبو عباة «رئيس جهاز التوجيه والإرشاد بالحرس الوطني» الذي شرفني بكتابة المقدمة.

- الدكتور/يحيى بن جنيد «الأديب المعروف والذي حصل على جائزة الملك فيصل في الأدب، والأمين العام لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية».

- عالمنا الفاضل وشيخنا الدكتور/سعد بن ناصر الشثري «المستشار بالديوان الملكي وعضو هيئة كبار العلماء».

- سمو الأمير/تركي بن سعد آل سعود «محافظة الرياض».

- الشيخ الدكتور/محمد العريفي «الداعية المعروف».

- الشيخ الدكتور/ناصر العمر «المشرف العام على موقع أنا المسلم».

- الشيخ الدكتور/محمد الدويش» المشرف العام على موقع المربي».

- الشيخ/أحمد الصويان «رئيس تحرير مجلة البيان، رئيس رابطة الصحافة الإسلامية».

- الدكتور/عادل بن محمد السليم «الأمين العام لمؤسسة المنتدى الإسلامي سابقا، وأمين عام مؤسسة السبيعي الخيرية حاليا».

- فضيلة الدكتور/صالح بن سليمان الوهيبي الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي.

- الأستاذ الدكتور/عبد العزيز العمري «أكاديمي ورجل أعمال معروف».

- الدكتور/خالد العواد «عضو مجلس الشورى»

- الدكتور/مازن بليلة «عضو مجلس الشورى»

- الأستاذ الدكتور/أحمد الزيلعي «عضو مجلس الشورى»

- سعادة اللواء/خضر الزهراني «مساعد مدير الأمن العام.

- سعادة اللواء الدكتور/سعيد الغامدي «مدير إدارة الشؤون المالية والإدارية بكلية الملك فهد الأمنية».

- الدكتور/أحمد بن حماد العمر «استشاري طب الأطفال بمجمع الملك فهد الطبي، ورئيس قسم الأمراض المعدية».

- الأخ الفاضل الشاعر/محمد سعد العجلان.

- الشاعر/عبدالمحسن بن بدر المسعودي الشمَّري «كاتب ديوان أبناء الموحد».

- الدكتور/فهد السنيدي «إعلامي معروف بقناة المجد».

- الشاعر/يوسف أبوعواد «شاعر المعوقين وعضو اتحاد الصحفيين العرب».

- الأستاذ/عبد الله البابطين «صاحب مركز الإلقاء ومستشار التدريب».

وهناك جنود مجهولون ممن ساهم برأيه المفيد، فجزاهم الله عني كل خير، وجعل ما قدموه في ميزان حسناتهم.

وأختم هذه الرسالة بالدعاء الصادق والشكر الوافر لوالدتي «نورة العجلان» التي نورت دربي، فهي تصبر على سفري، وتلهج بالدعاء لي في ترحالي، وتذرف الدموع عند وداعي ويعتصر قلبها على فراقي، ومع ذلك فهي آثَرَت السماح لي بفراقها من أجل إخوانها المسلمين في تلك المناطق، وهي مع زوجتي أم الوليد وأولادي الوليد ومحمد وعبد العزيز وعبد الله وطفلتي لين كلّهم جزء لا يتجزأ، وسبب من أسباب نجاح هذا الكتاب بإذن الله.

وأدعو بالرحمة والغفران والقبول في دار الجنان لوالدي محمد بن عبد الله الطويل - رحمه الله رحمة واسعة - الذي كان محباً للمساكين، عطوفاً عليهم. وكان يدعو لي عند وداعه للسفر إلى أفريقيا، ويقدم ما تجود به نفسه، ويسألني إن كان لي حاجة! وقد فارق هذه الحياة، وغادر هذه الدنيا في لحظات وأنا في صحراء أفريقيا ورمالها، ولم أهنأ بوداعه. ولا بقُبْلَة على جبينه قبل أن يوارى الثرى، ولا الصلاة عليه ووضعه في مثواه الأخير في هذه الدنيا، وذلك لبعد المسافات، وإنما جاءني خبر وفاته باتصال عبر جهاز الثريا المتصل بالأقمار الصناعية، وبقيت الحسرات تعتصر قلبي! والحمد لله على كل حال...!!.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،

أبو الوليد/خالد محمد الطويل
يوم الجمعة الموافق 1430/5/13هـ

قالوا عن الكتاب

رحلة المشاركين في هذه المغامرة كانت عجيبة ودوافعها عظيمة وسامية كان الجميع في همة عالية للدعوة إلى الله.

العبارات المستخدمة واللغة رائعة ومشوقة من خلال سرد تحركات المجموعة في مجاهيل الصحراء وفي الليالي السوداء، وقد وضح قدرتكم في الوصف والتصوير لمراحل الرحلة بشكل جلي وواضح، حتى إنني والله في مواضع كثيرة من القراءة أتخيل نفسي معكم من دقة وكمال الوصف ووضوح الصورة من خلال الكلمات المنتقاة والعبارات المستخدمة حتى إنني شعرت بالبرودة والحرارة والخوف من المجهول الذي لاقاه، وكان ينتظره فريق الرحلة.

اللواء/خضر بن عايض الزهراني (مساعد مدير الأمن العام)

تأتي رحلة الأخ خالد الطويل إلى أفريقيا أنموذجاً مباركاً للجهود الدعوية التي يقوم بها عدد كبير من الدعاة لنشر دين الإسلام في مجاهيل أفريقيا، وتدوين هذه الرحلة ليس الهدف منه الرواية أو التسلية المجردة، ولكن لإيقاف القارئ الكريم أمام مسؤوليته الدعوية تجاه دينه وأمته، وهذه الرحلة دعوة لجميع الدعاة الذين يجوبون الآفاق لتسجيل تجاربهم وخبراتهم، فشكر الله لأخينا خالد الطويل هذا العمل، وبارك في جهوده، وجعله مفتاحاً للخير مباركاً أينما كان.

الشيخ /أحمد بن عبدالرحمن الصويان
رئيس تحرير مجلة البيان، رئيس رابطة الصحافة الإسلامية

أخي أبو الوليد! قرأته وسرني محتواه، وعجبت لجهود النصارى هناك!! سررت بما احتواه من معلومات قيمة تعكس جهودا مميزة ومشقة بالغة خصوصا وأني اطلعت على شريط مصور لتلك الرحلة. هذه الجهود بعثت في نفسي مزيدا من الأمل بأن أمتنا بخير، وأن دولتنا رائدة في العمل الإسلامي بجهود أبنائها المخلصين...

دكتور علي بن شايع النفيسة
مدير التوعية والتوجيه بوزارة الداخلية

أخي العزيز خالد الطويل! أطال الله عنقك بالعز والمجد والدعوة إلى الله، اطلعت على كتابك القيم والفريد من نوعه والمميز في عرضه، والشيق في قراءته، أُهَنيك على هذا الإنجاز، وأرى أنه صالح جداً للنشر.

الدكتور/خالد العواد عضو مجلس الشورى
مدير عام إدارة التربية والتعليم بمنطقة الرياض (سابقاً)

بارك الله فيك، مجهود جبار ولم أستطع النوم إلا بعد الانتهاء منه

مهندس مدني/تركي الحميد

(رحلة شاقه وقد بذلتم فيها جهوداً مضنية تبعث على الفخر والمتعة)،

إن الاستثمار الحقيقي ليس في المال ولكنه في الأعمال الخيرية التي تدر أرباحاً ناهضة وغير قابلة للخسارة، وخصوصاً إذا صدقت النيات. وأحسب الأستاذ خالد الطويل أنه يستثمر جهده ووقته في العمل الخيري، وأسأل الله له التوفيق والأجر والثواب، وهو عندما يكتب عن قصته مع الصحراء إنما يدعو أهل الخير للاستثمار وليس لإبراز الذات والله حسيبه.

اللواء الدكتور/سعيد بن محمد الغامدي
أستاذ مادة التطوير التنظيمي بكلية الملك فهد الأمنية وجامعة الأمير نايف للعلوم الأمنية

فكرة الكتاب رائعة، والموضوع شيق، ومثير للمتابعة والقراءة.

محبكم الدكتور /مازن بليلة
عضو مجلس الشورى

رحلة ممتازة ومؤثرة ونافعة، والأسلوب أكثر من رائع، جهد مبارك وعمل موفق. أسأل الله تعالى أن لا يحرمك أجره.

وقراءة هذا الكتاب يمثل دورة تدريبية عظيمة الأثر في البناء والتربية والإيجابية والإخلاص لدين الله.

محبك الدكتور/أحمد العمر
استشاري أطفال بمجمع الملك فهد الطبي، رئيس قسم الأمراض المعدية

أخي الحبيب! السلام عليكم..

أهنئك أيها العزيز بهذا السفر النفيس الذي يجمع بين عاطفة الداعية وأسلوب الأديب، ومعلومة العالم، ومنهج الباحث الجاد، بدأت بقراءة الكتاب والاستمتاع بما فيه رعاك الله وسددك.

أخوك الدكتور/محمد الصامل
أكاديمي وعضو باللجنة الأهلية للدعوة في أفريقيا

رغم أن الأخ غير متخصص في المجال الروائي والقصصي والإعلامي لكن أسلوبه سهل وبسيط، يستطيع جر القارئ من سطر لأخر، ومن صفحة لأخرى. وهذا إن دل على شيء يدل على المصداقية في طرح الأحداث والمشاهد. وأشكره لإبداعه لأنه مبدع!.

والكتاب لو نشر على هذا الأسلوب لكان له رائجة غير سهلة، لأن أسلوبه ممتاز، وسهل يستطيع الجميع قراءته والاستفادة منه.

أحمد عزت
خبير إعلامي

فيسرني أن أشكركم على هذا الجهد، وأفيدكم بأن فكرة الكتاب جميلة، وتجربته شائقة، يعيش المسلم فيها مع إخوانه، يأسى لتقصيره في حقهم، وغفلته عن مساندتهم ودعوتهم.

أسأل الله تعالى أن يكتب لكم ولمن رافقكم في رحلتكم جزيل الأجر والثواب على تجشمكم الصعاب، وقطعكم المفازات المهلكة خدمة لإخوانكم.

الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي
د/صالح بن سليمان الوهيبي

الكتاب يعبر عن مغامرة في رحلة خطيرة مثيرة قام بها الكاتب بنفسه، وسطرها بقلمه، وخطها بمشاعره، وطعمها بأهدافه ودوافعه. أجاد في صياغتها، وأحسن في عرضها وكتابتها، تستحق القراءة والتمعن ليستفيد منها عشاق الرحلات، ومتابعي المغامرات كما تعد دروساً يستفيد منها الدعاة.

وفقه الله لكل خير وأسال قلمه بالمفيد.

أ.د/ عبد العزيز بن إبراهيم العمري
رجل أعمال وأكاديمي سابق بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

لقد كانت دقائق ممتعة، ولحظات جميلة تلك التي قضيتها في قراءة مسودة كتابكم، أقلب صفحات الكتاب وكأني أصحبكم في الرحلة مع الفارق الكبير. فأنا أقرؤها في منزلي بين أطفالي، وأنتم كتبتموها من رحم المعاناة والمشقة.

أعجبني ما كتبتم، وشعرت أن سطور الكتاب تنقلني إلى الواقع كما هو دون رتوش أو تكلف، وأضاف إليه التعبير البلاغي والأدبي رونقاً وجمالاً لم يخرجه من محاكاة الواقع.

لمست بين حروف الكتاب روحٌ حيه تنقل القارئ من الرحلة إلى القيم والمشاعر وحياة القلب والصلة بالله والاعتماد عليه دون تكلف أو فاصل يشعره بالخروج من إطار الرحلة.

كتبه أخوكم الدكتور/محمد بن عبد الله الدويش
المشرف العام على موقع المربي

عشت لحظات جميلة في قراءة كتابكم الرائع وألفيته زاخرا بالمعلومات والأرقام، زادها جمالا سرد القصة ذات الحبكة الصادقة وكأنك تقرأ لقصص المغامرات الخيالية...

أحمد بن عبدالعزيز الفايز
مدير الشؤون الخيرية بمؤسسة السبيعي الخيرية

أخي أبو الوليد! بعد السلام... تم الاطلاع على سفركم الرائع...

لمن أراد الاطلاع على حياة يوم داعية...

لمن أراد معرفة الكنوز الدعوية في الجوهرة السوداء «أفريقيا»، لمن أراد أن يطمئن قلبه بأن هناك من يحمل لواء الدعوة من أبناء الجزيرة العربية فليقرأ هذا الكتاب؟!!

مستشار تدريب ومدير مركز الإلقاء
الأستاذ/عبدالله البابطين

أبو الوليد رائع ما خطه قلمك..!! فقد استمده من ذاكرتك التي اعتقد أنها أثناء الاستذكار تضحك تارة وتبكي تارة، بل إنها قد تتعجب تارة من الذكريات..!! أبو الوليد دمعت عيناي من مناداة المسجد... ووالله إني أخشى عليك من الإثم إن لم تخرج هذا الكتاب...!!

عبدالعزيز القحطاني
إعلامي بقناة المجد

هذا الكتاب يتجاوز كتب أدب الرحلات ويقدم ما هو أكثر، ففي هذا الرصد المتكامل جغرافياً واجتماعياً وتاريخياً يقدم الأخ الأستاذ خالد الطويل صورة مشرقة لرسالية إنسان هذا الوطن المؤمن الذي استشعر هم الدعوة إلى الله فجعلها أولويته الأولى حتى وإن جاءت على حساب عائلته وأسرته وأقرب المقربين إليه.

لقد جعلني أبو الوليد آسي على نفسي كثيراً، وألومها وأقلل من شأنها، وشعرت في مقاطع كثيرة مما ورد في هذا الكتاب بأنني أغبطه، أبكاني في مواضع وأسعدني في أخرى، وأعادني إلى سير الصالحين من السلف، تلك السير التي قد لا يصدقها أهل هذا الزمان...

الشاعر والأديب
محمد بن سعد العجلان
المدير المكلف بالتعليم الأجنبي بوزارة التربية والتعليم (سابقاً)

رأي...

في عصر العولمة، يتحدث المترفون عن رحلاتهم السياحية، وفنادق خمسة النجوم، والسيارات الفارهة والشواطئ الدافئة والمنتجعات والشاليهات واليخوت، و...و.....!!

يتحدثون عن الأسواق والماركات العالمية، والشلالات والحمامات والرالييهات والمولات وعن...!

قليلون الذين يتحدثون عن أسفار لغير تلك الوجهات التي تمور دفئاً، وتميس حضارة وتقنية، وتسبق بشطحاتها العصر في إرهاصاته. وربما وجدت بعض المعنيين والمهتمين بالآثار ممن فرضت عليهم طبيعة العمل، أن يذهبوا للكهوف المهجورة، ويحفروا الأرض بحثاً عن حضارات وئدت، أو قصور دفنت، أو عن بقايا قلاع وحصون وأسواق تتوسد أحشاء الرمال..

لكن أن تجد من يجازف بعمره في الصحاري والفيافي الموحشة يسير في طرقات وعرة تحفها المخاطر!!.

أن تجد من يغامر ليس في سبيل صفقة تجارية، ولا من أجل أن يكتشف عالماً آخر ليضاف اسمه إلى قائمة المكتشفين والرحالة العالميين!!.

أن تجد من يركب الهول ويمتطي المخاطر، ليصافح أيدياً أنهكها العمل، وقست عليها الأيام ليُثَبِّتَها بقليله على شهادة: أن لا إله إلا الله، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله، فيما سواه من المبشرين والحملات التبشيرية المنظمة يقدمون لها إغراءات لا تعد و لا تحصى لحملها على التنصير!!

إنه شيء لا يكاد يصدق!!

إنه يشبه الأساطير والحكايات الشعبية وقصص الزير سالم وألف ليلة وليلة!!

لكنه حصل فعلاً، وبطله من الشباب السعودي الغيور على دينه وإسلامه، المتشدد في انتمائه لوطنه وعروبته، إنه الأستاذ/خالد بن محمد الطويل، الذي يمتعك ويرعبك ويجبرك أن تقاوم النعاس بشتى الوسائل لتنهي قراءة ما كتب عن أسفاره في القارة السمراء، عندما يضعك على مسافة متساوية بين واقع الخيال وخيال الواقع، ويجعل كل ملكاتك في حالة تأهب قصوى وأنت تتابع بشغف ما يرويه عن أسفاره، التي تذكرني بمقولة لوليم شكسبير يقول فيها: «استطيع أن أروي أقصوصة تسلب أصغر كلماتها الروح، وتجمد الدم الغض، وتحرك العينين كالنجوم في مآقيها، وتفك خصلات الشعر المتشابكة، لتجعل كل شعرة تقف وكأنها الشوكة على ظهر قنفذ شرس!!!»

شيء من ذلك تملكني وأنا أطالع ما كتبه الأخ أبو الوليد عن أسفاره تلك.

هذه وجهة نظري الخاصة، والحكم الأخير يبقى لكم أنتم معشر القُرَّاء.

شاعر المعوقين/يوسف أبوعواد
(عضو الاتحاد العام للصحفيين العرب)

المراجع

القرآن الكريم.

الحديث.

بحث عن التنصير في أفريقيا للدكتور حقار محمد أحمد.

بحث مقدم في مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثاني في الدوحة 2006م ، للدكتور حقار محمد أحمد.

تاريخ ملوك البرتغال، فيرماندوس داسيلفا.

التنصير، مفهومه، أهدافه، وسائله، سبل مواجهته، علي إبراهيم النملة، الرياض، ط4 ، 1426هـ .

حاضر العالم الإسلامي، تأليف لوثروب ستودارد الأمريكي، نقل وتعليق الأمير شكيب أرسلان، دار الفكر.

الزحف إلى مكة، حقائق ووثائق عن مؤامرة التنصير في العالم الإسلامي، عبد الودود شلبي، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، 1409هـ.

ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب، محمد عبد الله السلومي، ط1 ، 1426هـ .

عرب الصحراء، هارولد ريتشاردو باتريك ديكسن، ترجمة وتعليق سعود غانم العجمي، ط1، 1997م، الكويت.

كشف القارة الأفريقية، دكتور زاهر رياض، ط1، مكتبة الأنجلو مصرية، 1969م، القاهرة.

مجلة قراءات أفريقية، العدد الأول من رمضان 1425هـ، فصلية تصدر عن المنتدى الإسلامي.

معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير، إبراهيم سليمان الجبهان، ط 6، دار المجتمع، جدة.

مكتشفو أفريقيا، مورفين كام، ترجمة وتعليق د. السيد يوسف نصر، ط1 ، 2007م، مركز الإسكندرية للكتاب.

موقع المختصر للأخبار الإلكتروني.

موقع شبكة نور الإسلام الإلكتروني.

موقع طريق الإسلام الإلكتروني.

سيرة ذاتية C.V

الاسم : خالد بن محمد عبدالله الطويل .

الحالة الاجتماعية: متزوج

عدد الأولاد/خمسة

مكان الميلاد والسكن: الدرعية

• المؤهلات الدراسية:

1- دبلوم الكلية المتوسطة بالرياض عام 1410هـ (تخصص رئيسي/دراسات قرآنية) (تخصص فرعي/دراسات إسلامية)

2- بكالوريوس من كلية المعلمين بالرياض عام 1423هـ تخصص دراسات قرآنية.

3- دراسات عليا ـ الماجستير ـ بجامعة الملك سعود بالرياض كلية التربية ـ قسم الثقافة الإسلامية (تخصص العقيدة).

4- دراسات عليا ـ الماجستير ـ جامعة كلومبس الأمريكية تخصص الإدارة والتخطيط التربوي.

الخبرة العملية والإدارية:

العمل بوزارة التربية والتعليم تسع عشرة سنة (مازلت على رأس العمل) منها:

4 سنوات مرشداً طلابياً للمرحلة الابتدائية (مع التدريس ـ بتقدير ممتاز).

8 سنوات معلماً ومسؤول الحاسب الآلي بمدارس تحفيظ القرآن الكريم بالدرعية.

سنة واحدة وكيل قائماً بإدارة مدارس تحفيظ القرآن الكريم بالدرعية (ابتدائي و متوسط و ثانوي) عام 1423هـ.

خمس سنوات مدير مجمع مدارس تحفيظ القرآن الكريم التعليمي بالدرعية (المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية) من عام 1423هـ إلى عام 1428هـ.

سنتين في إدارة وتأسيس مدارس صرح العلوم الأهلية للبنين (مازلت على رأس العمل) من عام 1428-1430هـ .

الدورات التدريبية وبناء الذات

حاصل على ما يقارب من ثمانين (80) دورة في التطوير وبناء الذات، وفي الإدارة والتخطيط والقيادة والتدريب.

في التدريب:

(متخصص في مجال التحفيز وتحريك الدافعية الداخلية نحو التغيير الإيجابي واكتشاف الطاقات وتشجيعها نحو الانطلاق)

1) مدرب معتمد من جامعة كولومبس الأمريكية.

2) مدرب معتمد من أكاديمية ماليندا البريطانية.

3) مدرب معتمد من المجموعة الكندية للمدربين المحترفين.

4) مدرب معتمد من جامعة لاهاي الهولندية.

5) مدرب معتمد من الكلية الأوروبية.

6) مدرب معتمد من معهد أدكس للتدريب بالرياض.

7) مدرب معتمد من منتدى التطوير الذاتي للمدربين المحترفين بجدة

8) مدرب حاصل على الرخصة الدولية للتدريب.

تم إعداد الحقائب التدريبية التالية وإلقاؤها:

1) الثقة في النفس وبناء الذات بعنوان (ثق بنفسك وحقق ما تريد).

2) فن مهارات الاتصال والتعامل مع الآخرين.

3) كن مؤثرا.

4) انطلق نحو القيادة البارعة.

4) تم إلقاء دورات في القيادة البارعة على مدراء ووكلاء التعليم الابتدائي، والمتوسط، والثانوي.
إلقاء دورات مهارات الحياة لموظفي شركات القطاع الخاص.

الخبرة في العمل المؤسسي الخيري التطوعي، والميداني:

- المشاركة والإشراف على الأعمال الخيرية (أكثر من أثنتي عشرة سنة) في أفريقيا منذ عام 1418هـ.

- الرحلات الدعوية في مناطق الكوارث الطبيعية (موفد رسمي مكلف):

- رحلة اكتشاف مجاعة تشاد عام 1422هـ
- رحلة إغاثة ضحايا بركان جوما شرق الكنغو الديمقراطية عام 1422هـ
- رحلة إلى مناطق المجاعة في النيجر عام 1426هـ.
- اللاجئين
- رحلة لاجئي دارفور بشرق تشاد عام 1425هـ.

• المؤسسات التي تم العمل أو التعاون معها:

- المؤسسة العالمية للإعمار والتنمية (عضو لجنة أفريقيا) التابعة لرابطة العالم الإسلامي.

- مؤسسة إدارة المساجد والأعمال الخيرية سابقا.

- مؤسسة الراجحي الخيرية (عضو شعبة الكنغو والكاميرون) سابقا.

- مؤسسة مكة المكرمة الخيرية التابعة لرابطة العالم الإسلامي سابقا.

- موفد لجنة الأمير سلطان بن عبدالعزيز الخاصة للإغاثة بتشاد عام (1425هـ).

- مؤسسة المنتدى الإسلامي (لجنة تشاد - مسؤول الحلقات القرآنية).

- الهلال الأحمر السعودي.

- الندوة العالمية للشباب الإسلامي - عضو شعبة أفريقيا (مازال العمل مستمراً).

- الهيئة العالمية للتعريف بالإسلام التابعة لرابطة العالم الإسلامي - رئيس لجنة أفريقيا - (مازال العمل مستمر).

- المشاركة بمقالات وتقارير في بعض الصحف والمجلات السعودية مثل:

(جريدة الجزيرة - مجلة شباب - مجلة الأسرة - المجلة العربية).

- انجاز الكتاب الأول بعنوان (الطويل في غابات الأقزام وفي مجاهيل الصحراء الكبرى) من سلسلة كتب دعوية وتربوية تهدف إلى إظهار الوجه الحضاري الإنساني للمملكة ومؤسساتها وتحفيز القارئ لاكتشاف قدراته واستغلالها في أوجه الخير.

مشاركات إعلامية وفضائية مرئية وإلقاء محاضرات:

1) المشاركة في بعض القنوات الفضائية مثل قناة الراية والمجد وإذاعة القرآن الكريم.

2) إنتاج فيلم عن مجاعة تشاد (بعد القيام برحلة توثيقية) بعنوان (صراع مع النمل من أجل البقاء) لحساب لجنة الأمير سلطان بن عبدالعزيز الخاصة للإغاثة. ساهم في تسيير حملات إغاثية كبيرة لمناطق المجاعة، ووجه الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود بجسر جوي مباشر للمتضررين بتشاد.

3) إنتاج فيلم عن أوضاع لاجئي دارفور بشرق تشاد (بعد القيام برحلة توثيقية) بعنوان:

- شاهد عيان - تم عرضه في قناة المجد في برنامج ساعة حوار، أمر بعدها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز بمساعدات للنازحين بالسودان واللاجئين بشرق تشاد (بمبلغ 40 مليون ريال سعودي تقريبا عبر الهلال الأحمر السعودي).

4) إنتاج فيلم عن المجاعة بالنيجر (بعد القيام برحلة توثيقية) بعنوان (النيجر مأساة حقيقية) وتم عرضها بقناة المجد في برنامج ساعة حوار، تبرع بعدها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز بمبلغ 60 مليون ريال تقريبا مساعدة عاجلة عبر الهلال الأحمر السعودي لشعب النيجر.

5) إلقاء محاضرات عامة عن جهود المملكة ومؤسساتها الخيرية في القارة الأفريقية مثل:

- محاضرة الأيادي البيضاء في القارة السمراء (بمركز الملك فهد الثقافي)،

- محاضرة في النادي الثقافي للطلبة السعوديين بجامعة الشارقة بدعوة من الملحقية الثقافية بسفارة خادم الحرمين الشريفين حفظه الله بدولة الإمارات الشقيقة.

- محاضرة في المركز الإسلامي ببريطانيا (لندن).

- المشاركة في دورات توجيهيه للسجناء.

«مشروع التغيير الإيجابي»

تم بحمد الله الانتهاء من وضع دراسة عن مشروع التغيير الإيجابي. والفكرة منطلقة من تجارب وخبرات متعددة تم التوصل من خلالها إلى مجموعة برامج وفق خطة تدريبية وزمنية محددة، وقابلة لقياس التغذية الراجعة (المخرجات).

ستحقق بإذن الله تعالى التغيير الإيجابي الذي نطمح إليه في مجتمعنا ومدارسنا وجامعاتنا..... والذي أساسه تغيير أنماط التفكير واكتشاف أسرار تحريك الدافعية عند المستهدفين من خلال إجراءات عملية.

وأختم هذا الكتاب بالدعاء الصادق والشكر الوافر لوالدتي نورة العجلان التي نورت دربي فهي تصبر على سفري وتلهج بالدعاء لي في ترحالي وتذرف الدموع عند وداعي ومع ذلك فهي آثرت السماح لي بفراقها من أجل إخوانها المسلمين في تلك المناطق وهي مع زوجتي أم الوليد وأولادي الوليد ومحمد وعبد العزيز وعبد الله وطفلتي لين كلٌ جزء لا يتجزأ وسببا من أسباب نجاح هذا الكتاب بإذن الله .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

خالد محمد الطويل
يوم الجمعة
13/5/1430هـ